
الدم
في الشعر العربي الحديث
في سورية ولبنان وفلسطين
الدكتور جهاد فيض الإسلام


بسم الله الرحمن الرحیم

القدس فی الشعر العربی الحدیث فی سوریه و لبنان و فلسطین (۱۹۴۸–۲۰۰۰ م.)

کاتب:

جهاد فیض الاسلام

نشرت فی الطباعة:

جامعة المصطفی (صلی الله علیه وآله) العالمیة

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
القدس فی الشعر العربی الحدیث فی سوریه و لبنان و فلسطین (۱۹۴۸-۲۰۰۰ م.) ----- ۱۲
اشاره ----- ۱۲
الإهداء ----- ۱۲
کلمه الناشر ----- ۱۶
شکر وتقدیر ----- ۱۹
الفهرس ----- ۲۰
المقدمه ----- ۳۰
اشاره ----- ۳۰
أهداف البحث ومسوّغاته ----- ۳۱
الدراسات السابقه ----- ۳۲
المنهج وخطه العمل ----- ۳۴
تمهید ----- ۳۸
القدس الشامخه ----- ۳۸
۱. الخصائص الجغرافیه ----- ۳۸
۲. القدس - أسماؤها ونعوتها ----- ۳۹
۳. أصاله القدس العربیه والإسلامیه ----- ۴۰
۴. القدس فی الإسلام ومکانتها عند المسلمین ----- ۴۲
القدس فی عصور ما قبل الإسلام ----- ۴۵
۱. القدس فی العصر الکنعانی ----- ۴۵
۲. القدس فی عصر التوحید ----- ۴۶
۳. القدس فی العصر البابلی ----- ۴۷
۴. القدس فی العصر الفارسی (الساسانی) ----- ۴۷
۵. القدس فی العصر الیونانی ----- ۴۷

۶. القدس فی العصر الرومانی ----- ۴۸

القدس فی عصر الحضاره الإسلامیه ----- ۴۹

۱. القدس فی العصر النبوی ----- ۴۹

۲. القدس فی العصر الإسلامی الأول ----- ۴۹

۳. القدس فی العصر الإسلامی الثانی ----- ۵۰

۴. القدس فی العصر الأیوبی ----- ۵۱

۵. القدس فی عصر الممالیک ----- ۵۳

۶. القدس فی العصر العثمانی ----- ۵۳

أیّام لها صدی ----- ۵۴

القدس فی العصر الحدیث ----- ۵۷

۱. القدس والصهیونیه العالمیه ----- ۵۷

۲. القدس والمقاومه العربیه - الإسلامیه ----- ۶۰

۳. لمحات من تاریخ سوریه ولبنان وفلسطین الأدبی والسیاسی فی العصر الحدیث ----- ۶۴

الباب الأول: دواعی شعرالقدس واتجاهاته ----- ۶۹

اشاره ----- ۶۹

تمهید ----- ۷۱

۱. شعر القدس، الدواعی والاتجاهات العربیه ----- ۷۳

إیقاظ الوجدان القومی ----- ۷۳

اشاره ----- ۷۳

۱. القدس وخطاب الأربعینیات ----- ۷۶

۲. خطاب الخمسینیات ----- ۷۸

۳. الستینیات ونکسه حزیران ----- ۸۰

۴. خطاب السبعینیات ----- ۸۴

۵. القدس فی الثمانینیات ----- ۸۷

۶. القدس فی التسعینیات ----- ۹۰

۷. القدس فی عام ۲۰۰۰ ----- ۹۶

الحنین إلی القدس ----- ۱۰۰
اشاره ----- ۱۰۰
۱. القدس وآه الأربعینیات ----- ۱۰۱
۲. القدس فی حنین الخمسینیات ----- ۱۰۲
۳. حنین الستینیات ----- ۱۰۳
۴. القدس وحنین السبعینیات ----- ۱۰۷
۵. حنین الثمانینیات ----- ۱۱۲
۶. حنین التسعینیات ----- ۱۱۴
استصراخ الضمائر العربیه ----- ۱۱۶
اشاره ----- ۱۱۶
۱. الضمائر العربیه فی خطاب الأربعینیات ----- ۱۱۷
۲. الضمیر العربی فی الخمسینیات ----- ۱۱۹
۳. خطاب الضمائر فی الستینیات ----- ۱۲۰
۴. الضمیر العربی فی السبعینیات ----- ۱۲۲
۵. خطاب الضمائر فی الثمانینیات ----- ۱۲۴
۶. التسعینیات وخطاب الضمائر العربیه ----- ۱۲۵
إرجاع العرب إلی ماضیهم المشرق ----- ۱۲۸
اشاره ----- ۱۲۸
۱. القدس وماضی العرب فی الأربعینیات ----- ۱۲۸
۲. القدس فی الخمسینیات والستینیات ----- ۱۲۹
۳. السبعینیات والتذکیر بالماضی ----- ۱۳۰
۴. عبر الماضی فی الثمانینیات ----- ۱۳۱
۵. الإشاده بالأمجاد فی التسعینیات ----- ۱۳۳
الشجاعه وحجاره الغضب ----- ۱۳۵
اشاره ----- ۱۳۵
۱. انتفاضه الثمانینیات وحجر الغضب ----- ۱۳۶

۲. الشجاعه وحجاره الغضب فی التسعینیات ۱۳۸
۳. عام ۲۰۰۰ م وحجر الغضب ۱۳۹
القدس ودور الشباب العربی والمسلم ۱۴۱
اشاره ۱۴۱
القدس وشباب الثمانینیات ۱۴۲
القدس والمرأه العربیه والمسلمه ۱۴۳
اشاره ۱۴۳
۱. المرأه فی السبعینیات ۱۴۴
۲. الثمانینیات ودور المرأه ۱۴۵
۲. الدواعی والاتجاهات الإسلامیه ۱۴۸
مدخل ۱۴۸
القدس والیقظه الإسلامیه ۱۵۰
ملامح الیقظه الإسلامیه فی القدس ۱۵۱
القدس والوحده الإسلامیه ۱۶۱
القدس – الثوره والجهاد ۱۶۳
القدس – الصمود والمقاومه ۱۷۲
القدس – الشهاده والشهید ۱۷۹
بعض ما توصل إلیه البحث فی هذا الفصل ۱۹۰
۳. الدواعی والاتجاهات السیاسیه ۱۹۳
القدس والضمیر السیاسی ۱۹۳
القدس والوحده العربیه والإسلامیه ۲۰۴
القدس وقضیه السّلام ۲۰۹
القدس والانتفاضه المقدسه ۲۲۰
الباب الثانی: صوره القدس الجمالیه ۲۳۰
اشاره ۲۳۰
۱. الصوره الشعریه فی شعر القدس ۲۳۲

وقفه مع الصوره ---------- ۲۳۲
۱. مفهوم الصوره الشعريه ---------- ۲۳۲
۲. الصوره الشعريه فی النقد الحديث ---------- ۲۳۴
المؤثرات فی صور القدس فی الشعر ---------- ۲۳۷
۱. المؤثرات القرآنيه ---------- ۲۳۷
۲. المؤثرات التاريخيه والتراثيه ---------- ۲۴۳
الصوره الوظيفيه فی شعر القدس ---------- ۲۵۱
۱. توظيف العاطفه ---------- ۲۵۱
۲. توظيف الحياه اليوميه ---------- ۲۵۷
۳. توظيف الخيال ---------- ۲۶۳
بعض ما توصل إليه البحث فی هذا الفصل ---------- ۲۶۷
۲. اللغه والأساليب فی شعر القدس ---------- ۲۶۸
اللغه الشعريه ---------- ۲۶۸
۱. الألفاظ والمفردات ---------- ۲۶۸
۲. التراكيب وأساليبها ---------- ۲۷۰
أ) التكرار ---------- ۲۷۰
ب) الاستفهام ---------- ۲۸۲
ج) النفی ---------- ۲۸۵
د) النداء ---------- ۲۸۸
الأساليب ---------- ۲۹۳
۱. الأسلوب الخطابی ---------- ۲۹۳
۲. الأسلوب التعبيری ---------- ۲۹۶
۳. الأسلوب الرمزی والأسطوری ---------- ۳۰۰
۴. شعر التفعيله ---------- ۳۰۵
۵. القدس والشعر المنثور ---------- ۳۱۱
موسيقی شعر القدس ---------- ۳۱۵

اشاره ۳۱۵
۱. الموسیقی الخارجیه ۳۱۶
أ) الوزن ۳۱۶
ب) القافیه ۳۲۰
۲. الموسیقی الداخلیه ۳۲۲
أ) الإیقاع ۳۲۲
ب) التصریع ۳۲۴
ج) التکرار ۳۲۴
د) الجناس والطباق ۳۲۷
بعض نتائج ما توصل إلیه البحث فی هذا الفصل ۳۲۸
۳. فنون وخصائص شعر القدس ۳۳۰
القدس والفنون الشعریه ۳۳۰
۱. الشعر الغنائی ۳۳۰
۲. القدس فی الشعر القصصی والدرامی ۳۳۴
۳. القدس والشعر الملحمی ۳۴۲
خصائص وسمات شعر القدس ۳۴۹
۱. الخطابیه المفرطه والمباشره ۳۴۹
۲. البساطه والوضوح ۳۵۴
۳. روح العقیده والالتزام والمقاومه ۳۵۶
بعض نتائج ما توصل إلیه هذا الفصل ۳۵۷
شعراء محور البحث ۳۵۹
خاتمه البحث ۴۰۶
شهاده ۴۱۴
فهرس المصادر والمراجع ۴۲۲
أولاً: المصادر والمراجع الدینیه والمقدسه ۴۲۲
ثانیاً: المصادر والمراجع العامه ۴۲۲

ثالثاً: المصادر والمراجع الخاصه ---------- ٤٢٣
رابعاً: الدواوين والمجموعات الشعريه ---------- ٤٢٧
خامساً: الرسائل والأطروحات الجامعيه ---------- ٤٣٤
سادساً: الكتب المترجمه ---------- ٤٣٤
سابعاً: الكتب الأجنبيه ---------- ٤٣٥
ثامناً: الدوريات ---------- ٤٣٥
تعريف مركز ---------- ٤٣٦

القدس فی الشعر العربی الحدیث فی سوریه و لبنان و فلسطین (۱۹۴۸-۲۰۰۰ م.)

اشاره

سرشناسه: فیض الاسلام، جهاد، ۱۳۴۳

عنوان و نام پدیدآور: القدس فی الشعر العربی الحدیث فی سوریه و لبنان و فلسطین «۱۹۴۸-۲۰۰۰ م.» / جهاد فیض الاسلام.

مشخصات نشر: قم، مرکز بین المللی ترجمه و نشر المصطفی صلی الله علیه و آله، ۱۳۹۰ ش / ۱۴۳۳ ق

مشخصات ظاهری: ۳۵۲ ص

شابک: ۹۷۸-۹۶۴-۱۹۵-۵۹۶-۲

وضعیت فهرست نویسی: فیپا

یادداشت: عربی

موضوع: شعر عربی -- قرن ۲۰ م. -- تاریخ و نقد

موضوع: بیت المقدس -- شعر

رده بندی کنگره: ۴ ۱۳۹۰ ق ۹ ف / PJA ۲۲۸۵

رده بندی دیویی: ۸۹۲/۷۱۶۰۹

شماره کتابشناسی ملی: ۲۶۴۰۵۹۴

ص: ۱

الإهداء

إلى الذين تضرّجوا بدمائهم على أرض الإسراء والمعراج: فلسطين إلى شهداء المقاومه فی جنوب لبنان الخالدين

إلى روح الإمام الخمينی المنادی بتحرير القدس

إلى السيد القائد الخامنئی

إلى السيد حسن نصر الله

إلى كل المناضلين والمقاومين

إلى الجمهوريه الإسلاميه فی إيران حكومه وشعباً

إلى أمی وإلى أبی رحمه الله

إلى زوجتی وأولادی لما تحملوه فی هذا الطريق الشاق

إلى كل من علّمنی حرفاً

وإلى كل من أخذ بيدی نحو الصواب أهدی هذا العمل المتواضع.

القدس فی الشعر العربی الحدیث فی سوریه ولبنان وفلسطین

«۱۹۴۸-۲۰۰۰ م»

الدکتور جهاد فیض الإسلام

ص:۳

القدس فی الشعر العربی الحدیث

فی سوریه ولبنان وفلسطین

المؤلف: الدکتور جهاد فیض الإسلام

الطّبعه الأولی: ۱۴۳۳ ق / ۱۳۹۱ ش

النّاشر: مرکز المصطفی صلی الله علیه و آله العالمی للترجمه والنشر

المطبعه: توحید السّعر: ۵۵۰۰۰ ریال عدد النّسخ: ۲۰۰۰ نسخه

التوزیع:

قم، ساحه الشهداء، شارع الحجتیّه، معرض مرکز المصطفی صلی الله علیه و آله العالمی للترجمه والنشر.

هاتف - الفکس: ۹-۰۲۵۱۷۸۳۹۳۰۵

قم، شارع محمّد الأمین، تقاطع سالاریّه، معرض مرکز المصطفی صلی الله علیه و آله العالمی للترجمه والنشر. هاتف: ۰۲۵۱۲۱۳۳۱۰۶ فکس: ۰۲۵۱۲۱۳۳۱۴۶

www.eshop.miup.ir www.miup.ir

root@miup.ir E-mail: admin@miup.ir

ص:۴

کلمه الناشر

(الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِی أَنْزَلَ عَلی عَبْدِهِ الْکِتابَ وَ لَمْ یَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً) والصلوه والسلام علی النبیّ الأمین محمّد صلی الله علیه و آله وآله الهداه المهدیین وعترته المنتجبین واللعن الدائم علی أعدائهم أعداء الدین.

لقد شهدت علوم الدین مدی أربعه عشر قرناً علی طیله تاریخها العلمی المشرّف مستویً من التغیّر المستمرّ فی الحرکه إلی الأمام علی صعید الثقافه والحضاره الإسلامیه فأوجد تطوّراً منهجیّاً فی العلوم الرئیسه المختصّه بالشریعه ک -: الفقه الإسلامی وعلم الکلام والفلسفه والأخلاق.. وتبعاً لهذا الجانب ترک التطوّر انطباعاً موازیاً بیّناً فی العلوم الأدواتیه ک -: المنطق وعلم الرجال والحقوق....

وفی ضوء انتصار الثوره الإسلامیه الإیرانیه المعظّمه وحدثها الداعی إلی رؤیه دینیه حدیثه فی نطاق الحکم بغضون القرن الداعی إلی الإنفلات من ظلّ الدین والأیدیولوجیه الدینیه وما یعرض فی مسرح أحداثه من تطوّرفی مسار نظریّات العلاقات الدولیه أو تصاعد الأسئله المعرفیّه المتعلّقه بمفهوم الوجود ومستلزماته الشاغله لذهن الإنسان الحاضر وکذلک

ماحصل من توسّع لدى علم الوجود الإنسانى فى ظلّ الأحداث والمتغيرات المعنيه بهذا الجانب؛ جعلت المفكّر الإسلامى فى أعلى مستوى من المسؤوليه أكثر ممّا سلف، خاصّه فى الدول الإسلاميه التى باتت فى محاوله ضروريه لمواجهه الشعارات الخاويه فى عصر العولمه فى ضوء التدقيق والملاحظه والنقد البنّاء لاجتياح أىّ فقره يخشى أن تسبّب مشكلات فى مقتبل الأيام.

ومن هذا المنطلق يتطلّب الصعيد الحوزوى والجامعى النيّر ضروره الوقوف على آخر المستجدّات الفكريه فى حقولها المتعدّده والاستعانه بضروب من التحقيق العلمى الرصين بمعايير عالميه حيّه لتوظَّف فى نطاق الدين والشريعه للإجابه على المتطلّبات العصريه والمنطلق الداعى إلى التكامل والتعالى فى ظلّ الدين والتزام نظامه فى العلم والحياه من جهه أخرى حيث يتطلّب الأمر من الحوزه العلميه مسؤوليه وضع حدّ لردع الجانب العولمى وتبعاته المنحطّه على الإنسان بلحاظه العام.

وقد كانت رؤيه التصدّى لهذا الأمر فى عنايه من مؤسسى الحوزه العلميه، هذه الشجره الطيبه التى (أَصْلُها ثابِتٌ وَ فَرْعُها فِي السَّماءِ) ، سيّما الإمام الخمينى رحمه الله الراحل والقائد المبجّل الإمام السيّد على الخامنئى دام ظله الوارف فى الوقت الراهن.

وقد سعت جامعه المصطفى صلى الله عليه و آله العالميه فى ضوء ما تقدم لنيل النجاح فقامت بإرساء مركز المصطفى صلى الله عليه و آله العالمى للترجمه والنشر حيث تكفّل بنشر نتاج هذا الجانب العلمى الهامّ.

وإنّ هذه الدراسه القدس فى الشعر العربى الحديث فى سوريه ولبنان وفلسطين جاءت بجهود فضيله الأستاذ الدكتور جهاد فيض الإسلام متوافقه مع نسق الرؤيه السائده المتّبعه وهذه الأهداف الساميه.

كما ندعو أصحاب الفضيله والاختصاص بما لديهم من آراء بنّاءه وخبرات علميه ومنهجيه حصريه بالمساهمه معنا والمشاركه فی نشر علوم أهل البيت عليهم السلام.

وختاما ليس لنا إلّا تقديم الشكر الجزيل لكافّه المساهمين الكرام بجهودهم الخاصّه بإعداد الكتاب للطباعه والنشر.

مركز المصطفی صلی الله عليه و آله العالمی للترجمه والنشر

شكر وتقدير

الحمد والشكر لله – أولاً وأخيراً – الذى سدّد خطاى فى طريق رحلتى الطويل وحقق لى النجاح والتوفيق.

ثم أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من قدّم لى العون والمساعده لمواصله دراستى فى إيران وسوريه لاسيما أستاذى الفاضل الدكتور خليل الموسى الذى أشرف على رسالتى فى سوريه.

كما أسجّل بفخر عظيم امتنانى وشكرى لجامعه دمشق وكذلك جامعه المصطفى صلى الله عليه و آله العالميه وإلى كل من أسهم معى فى إنجاز هذا البحث من أساتذه وزملاء وأصدقاء وأخصّ بالذكر السيد هاشميان.

ص:٨

الفهرس

المقدمه ١٥

أهداف البحث ومسوّغاته ١٦

الدراسات السابقه ١٧

المنهج وخطه العمل ١٩

تمهيد ٢٣

القدس الشامخه ٢٣

١. الخصائص الجغرافيه ٢٣

٢. القدس – أسماؤها ونعوتها ٢٤

٣. أصاله القدس العربيه والإسلاميه ٢٥

٤. القدس فی الإسلام ومكانتها عند المسلمين ٢٧

القدس فی عصور ما قبل الإسلام ٣٠

١. القدس فی العصر الكنعانی ٣٠

٢. القدس فی عصر التوحيد ٣١

٣. القدس فی العصر البابلی ٣٢

٤. القدس فی العصر الفارسی (الساسانی) ٣٢

٥. القدس فی العصر اليونانی ٣٢

٦. القدس فی العصر الرومانی ٣٣

القدس فى عصر الحضاره الإسلاميه ۳۴

۱. القدس فى العصر النبوى ۳۴

۲. القدس فى العصر الإسلامى الأول ۳۴

۳. القدس فى العصر الإسلامى الثانى ۳۵

۴. القدس فى العصر الأيوبى ۳۶

۵. القدس فى عصر المماليك ۳۸

۶. القدس فى العصر العثمانى ۳۸

أيّام لها صدى ۳۹

القدس فى العصر الحديث ۴۱

۱. القدس والصهيونيه العالميه ۴۱

۲. القدس والمقاومه العربيه - الإسلاميه ۴۴

۳. لمحات من تاريخ سوريه ولبنان وفلسطين الأدبى والسياسى فى العصر الحديث ۴۸

الباب الأول: دواعى شعرالقدس واتجاهاته

تمهيد ۵۳

۱. شعر القدس، الدواعى والاتجاهات العربيه ۵۳

إيقاظ الوجدان القومى ۵۳

۱. القدس وخطاب الأربعينيات ۵۳

۲. خطاب الخمسينيات ۵۳

۳. الستينيات ونكسه حزيران ۵۳

۴. خطاب السبعينيات ۵۳

٥. القدس فى الثمانينيات ٥٣

٦. القدس فى التسعينيات ٥٣

٧. القدس فى عام ٢٠٠٠ ٥٣

الحنين إلى القدس ٥٣

١. القدس وآه الأربعينيات ٥٣

٢. القدس فى حنين الخمسينيات ٥٣

٣. حنين الستينيات ٥٣

٤. القدس وحنين السبعينيات ٥٣

٥. حنين الثمانينيات ٥٣

٦. حنين التسعينيات ٥٣

استصراخ الضمائر العربيه ٥٣

١. الضمائر العربيه فى خطاب الأربعينيات ٥٣

٢. الضمير العربى فى الخمسينيات ٥٣

٣. خطاب الضمائر فى الستينيات ٥٣

٤. الضمير العربى فى السبعينيات ٥٣

٥. خطاب الضمائر فى الثمانينيات ٥٣

٦. التسعينيات وخطاب الضمائر العربيه ٥٣

إرجاع العرب إلى ماضيهم المشرق ٥٣

١. القدس وماضى العرب فى الأربعينيات ٥٣

٢. القدس فى الخمسينيات والستينيات ٥٣

٣. السبعينيات والتذكير بالماضى ٥٣

٤. عبر الماضى فى الثمانينيات ٥٣

٥. الإشاده بالأمجاد فى التسعينيات ٥٣

الشجاعه وحجاره الغضب ٥٣

١. انتفاضه الثمانينيات وحجر الغضب ٥٣

٢. الشجاعه وحجاره الغضب فى التسعينيات ٥٣

٣. عام ٢٠٠٠ م وحجر الغضب ٥٣

القدس ودور الشباب العربى والمسلم ٥٣

القدس وشباب الثمانينيات ٥٣

القدس والمرأه العربيه والمسلمه ۵۳

۱. المرأه فى السبعينيات ۵۳

۲. الثمانينيات ودور المرأه ۵۳

۲. الدواعى والاتجاهات الإسلاميه ۵۳

مدخل ۵۳

القدس واليقظه الإسلاميه ۵۳

ملامح اليقظه الإسلاميه فى القدس ۵۳

القدس والوحده الإسلاميه ۵۳

القدس - الثوره والجهاد ۵۳

القدس - الصمود والمقاومه ۵۳

القدس – الشهاده والشهيد ۵۳

بعض ما توصل إليه البحث فی هذا الفصل ۵۳

۳. الدواعی والاتجاهات السياسيه ۵۳

القدس والضمير السياسی ۵۳

القدس والوحده العربيه والإسلاميه ۵۳

القدس وقضيه السّلام ۵۳

القدس والانتفاضه المقدسه ۵۳

الباب الثاني: صوره القدس الجماليه

۱. الصوره الشعريه فی شعر القدس ۵۳

وقفه مع الصوره ۵۳

۱. مفهوم الصوره الشعريه ۵۳

۲. الصوره الشعريه فی النقد الحديث ۵۳

المؤثرات فی صور القدس فی الشعر ۵۳

۱. المؤثرات القرآنيه ۵۳

۲. المؤثرات التاريخيه والتراثيه ۵۳

الصوره الوظيفيه فی شعر القدس ۵۳

۱. توظيف العاطفه ۵۳

۲. توظيف الحياه اليوميه ۵۳

۳. توظيف الخيال ۵۳

بعض ما توصل إليه البحث فی هذا الفصل ۵۳

٢. اللغه والأساليب فی شعر القدس ٥٣

اللغه الشعريه ٥٣

١. الألفاظ والمفردات ٥٣

٢. التراكيب وأساليبها ٥٣

أ) التكرار ٥٣

ب) الاستفهام ٥٣

ج) النفی ٥٣

د) النداء ٥٣

الأساليب ٥٣

١. الأسلوب الخطابی ۵۳

٢. الأسلوب التعبيری ۵۳

٣. الأسلوب الرمزی والأسطوری ۵۳

۴. شعر التفعيله ۵۳

۵. القدس والشعر المنثور ۵۳

موسيقی شعر القدس ۵۳

١. الموسيقی الخارجيه ۵۳

أ) الوزن ۵۳

ب) القافيه ۵۳

٢. الموسيقی الداخليه ۵۳

أ) الإيقاع ۵۳

ب) التصريع ۵۳

ج) التكرار ۵۳

د) الجناس والطباق ۵۳

بعض نتائج ما توصل إليه البحث فی هذا الفصل ۵۳

٣. فنون وخصائص شعر القدس ۵۳

القدس والفنون الشعريه ۵۳

١. الشعر الغنائی ۵۳

٢. القدس فی الشعر القصصی والدرامی ۵۳

٣. القدس والشعر الملحمی ۵۳

خصائص وسمات شعر القدس ۵۳

۱. الخطابيه المفرطه والمباشره ۵۳

۲. البساطه والوضوح ۵۳

۳. روح العقيده والالتزام والمقاومه ۵۳

بعض نتائج ما توصل إليه هذا الفصل ۵۳

شعراء محور البحث ۵۳

خاتمه البحث ۵۳

شهاده ۵۳

فهرس المصادر والمراجع ۵۳

ص:۱۳

أولاً: المصادر والمراجع الدينيه والمقدسه ٥٣

ثانياً: المصادر والمراجع العامه ٥٣

ثالثاً: المصادر والمراجع الخاصه ٥٣

رابعاً: الدواوين والمجموعات الشعريه ٥٣

خامساً: الرسائل والأطروحات الجامعيه ٥٣

سادساً: الكتب المترجمه ٥٣

سابعاً: الكتب الأجنبيه ٥٣

ثامناً: الدوريات ٥٣

المقدمه

اشاره

الحمدُ للهِ الذی خلقَ الإنسانَ من العدمِ إلی الوجودِ حمدَ الشاکرینَ، والصلاهُ والسّلامُ علی نبیّهِ الأمین محمد صلی الله علیه و آله وآلِهِ الطاهرین وأصحابه المنتجبین وعلی جمیع الأنبیاء والمرسلین وبعد.

ربّما لا نجد علی وجه الأرض إنساناً یمتلک ضمیراً حیّاً وهو لا یفکر بقضیه القدس وفلسطین ولا یهتم بها، إذ أصبحت القدس وفلسطین فی العقود الأخیره حدیث الساعه وهاجس القلب، ولذا سالت الأقلام وفاضت القرائح وکُتبت العشرات بل المئات من الکتب بشتّی اللغات، وامتلأت المکتبات بالعدید منها، تعالج القدس وما حلّ بها من جراح. ولکن حین نتصفّحها نری أن جلّها تعرضت لقضیه القدس إمّا تاریخیاً أو سیاسیاً أو دینیاً، أما من الناحیه الشعریه والأدبیه فما زالت تفتقر إلی العنایه الأدبیه ولاسیما فی المجال الشعری، لأن الشعر قد تحوّل إلی صوت من أقوی الأصوات المکافحه، بل إلی سلاح یدافع به المظلوم عن کرامته وعن أرضه، ومن هذا المنطلق کان للشعر موقفٌ مشرّفٌ منذ النواه الأولی للاحتلال الصهیونی للقدس إلی الآن، ففاضت قرائح الشعراء قصائد وألفت عشرات الدواوین التی کانت ومازالت المرآه الصادقه التی

تعكس القضيه بسجلّها الضخم أحداثاً ومشاعر، مأساه ولهفه، نعم هى القدس، هى أرض الجراح وبرك الدم الحمراء، هى..، ربّما بات الحديث عن القدس وفلسطين شعراً ونثراً حديثاً مكرَّراً، ولكن مادام الخطب جسيماً والخطر عظيماً، ومادام الظلم والعدوان مستمرَّين، فالمسؤوليه ما تزال على عاتق الجميع قولاً وفعلاً، أما ما يخصنا نحن فى إيران ولاسيما جيل الشباب فإننا لم نعرف حقيقه فلسطين وشعبها المظلوم إلّا بعد انتصار الثوره الإسلاميه؛ إذ أصبحت القدس من أهم أمورنا ليلاً ونهاراً، ولهذا فكّرت – وأنا أتابع الدراسات العليا ومن منطلق إحساسى بالمسؤوليه باعتبارى إنساناً يحمل الشعور الإنسانى والإسلامى معاً، إضافه إلى ندره الأبحاث حول أدب القدس – باختيار هذا الموضوع، أى: «القدس فى الشعر العربى الحديث فى سوريه ولبنان وفلسطين من عام (۱۹۴۸–۲۰۰۰) وشعرت بارتياح تام عندما وافق القسم فى كليه الآداب على هذا الاختيار حيث ستكون لى مشاركه ولو بهذا المقدار المتواضع جداً.

أهداف البحث ومسوّغاته

لاشك أن هناك أهدافاً مهمه تحث على اختيار بحث أدبى يتناول موضوعاً أدبياً ممتازاً، فمن بواعث اختيارى لموضوع القدس الأمور التاليه:

۱. ندره الأبحاث بل جِدَه الموضوع لاسيما فى القطر السورى واللبنانى والفلسطينى.

۲. حيويّه هذا الموضوع لدى الشعوب العربيه والإسلاميه حيث تعيش الأمه العربيه الإسلاميه برمتها هذه المأساه الأليمه وتشاهد احتلال القدس.

۳. إحياء هذا التراث الشعرى العظيم وجعله فى متناول أيدى محبّيه ومشتاقيه من الجيل الجديد ولاسيما المخطوط منه لأننى وجدت الشعر السورى واللبنانى والفلسطينى جديراً بالدراسه والعنايه من جميع النواحى.

۴. محاوله تحريض ودفع الشعر إلى خدمه القدس الشريف وذلك من خلال الاعتناء بجهود شعراء القدس وتعريفهم إلى المجتمع العربى والإسلامى.

۵. تبيين الدواعى والاتجاهات التى سلكها شعراء القدس فى العصر الحديث والتطورات الفكريه والفنيه الموجوده فى هذا المجال ومقارنتها مع غيرها.

۶. تبيين الناحيه الكميه والكيفيه وأساليب وخصائص شعر القدس.

۷. دراسه أثر الشعر فى قضيه القدس وأثر القدس على الشعر.

أمّا الأسباب التى دعتنى لحصر بحثى ضمن هذه البقعه المكانيه (سوريه، لبنان، فلسطين) والفتره الزمانيه (۱۹۴۸–۲۰۰۰ م) فهى:

أولاً: أنها المده التى شهدت الصراع الدامى واحتلال القدس، أى منذ عام ۱۹۴۸ وحتى الآن.

ثانياً: تفجّر بركان شعر القدس كمّاً وكيفاً فى هذه البقعه وفى هذه الفتره بالذات ثم انتشر إلى البلدان الأخرى.

ثالثاً: الأقطار المذكوره هى الخط الأمامى لقضيه القدس ورأس الحربه لمواجهه الاحتلال الصهيونى وهذا ما جعل الشعر هنا يختلف عن غيره.

الدراسات السابقه

على الرغم من اهتمام الدارسين بالأدب والشعر الفلسطينى فى العالمين العربى والإسلامى، لم أجد أحداً استوفى فى دراسته هذا الموضوع ماخلا دراسات عامه تعرضت للأدب الفلسطينى، وقد أجاد بعضهم فى كتاباتها إلّا أنها مرّت على قضيه القدس مرور الكرام أذكر منها: بيت المقدس فى أدب الحروب الصليبيه للدكتور عبد الجليل عبد المهدى، الذى درس فيه أدب بيت المقدس بصوره عامه أيام الحروب الصليبيه من سنه ۴۹۲ إلى سنه ۶۴۲ ه وبيّنَ صدى تلك الفتره فى الأدب العربى من شعر وقصه ومسرحيه ورسائل، وأمّا كِتاب القدس

الشـريف بين شـعراء الشـعوب الإسـلاميه لحسـين مجيب المصـرى فعرض فيه المؤلف نمـاذج من شـعر القـدس باللغـات: العربيه والفارسيه والأرديّه والتركيه، ويلاحظ عليه أنّه لم يكتب بالشعر العربى ولايختص بالشعر فى الأقطار المذكوره ويظهر أنه أراد أن يبيّن أهمّيه القدس لدى الشعوب الإسلاميه.

وأمّا كتاب الشـعر الفلسـطينى فى نكبه فلسـطين للـدكتور عبـد الرحمن الكيالى والاتجاهات الفنيه فى الشـعر الفلسـطينى للدكتور كامل السوافيرى والمحاضـرات فى الشـعر الحـديث فى فلسـطين والأردن» للـدكتور ناصـر الدين الأسد، وحياه الأدب الفلسـطينى الحـديث من أول النهضه حتى النكبه للـدكتور عبـد الرحمن اليـاغى وكتـابه أيضـاً دراسات فى شـعر الأرض المحتله وغيرها من الـدراسات المشابهه لها فمع أنّ مؤلّفيها بذلوا جهداً جباراً فى دراسه قضـيه فلسـطين، إلّا أنّ جميع هذه الدراسات لم تتناول شـعر القـدس فى الزمان والمكان اللذين اختص بهما بحثى فهى خارجه إمّا زماناً أو مكاناً وإمّا كمّاً أو كيفاً، وبعباره أخرى خارجه إمّا تخصيصاً وإمّا تخصّصاً.

ومن هنا كان الموضوع جديداً فى تناوله لهذا البحث. وقد اعتمدت فى مصادر البحث على مايلى:

١. دواوين الشعر المتوفره فى المكتبات.

٢. الاتصال بالشعراء.

٣. الرسائل الجامعيه المخطوطه والمطبوعه منها.

۴. المجلات والصحف.

۵. كتب التاريخ.

لذلك توافرت لدىّ ماده غزيره فى أثناء عمليه الجمع للنصوص الشـعريه، وقد واجهتْ الدراسهُ صـعوباتٍ عدّه أهمّها: أولاً: كثره الدواوين الشعريه وبعثره النصوص التى ترتبط بالقدس.

ثانياً: صعوبه فهم اللغه العربيه للأجانب ولاسيما الشعر منها.

ثالثاً: حداثه الموضوع والنصوص المختصه به.

آمل أن تَروى محاولتى المتواضعه ظمأ طلاب شعر القدس ومشتاقيه، أو تلفت أنظار الأساتذه لهذا الموضوع الجديد إن شاء الله تعالى.

المنهج وخطه العمل

وقد اعتمدت فى دراستى لشعر القدس منهج المقارنه التاريخيه والمنهج التحليلى اللذين يبيّنان أثر الأحداث التاريخيه فى شعر القدس وأثر القدس فى تلك الأحداث؛ لأننا إذا أمعنّا النظر فى الموضوع وجدنا هناك واقعين أساسيين يسيران جنباً إلى جنب: واقعاً ظاهراً وبارزاً يجرى فيه الصراع الإسلامى العربى - الصهيونى؛ وواقعاً فكرياً وأدبياً تبلور على السنه الأدباء والشعراء لاسيما فى سوريه ولبنان وفلسطين، ومحور هذين الواقعين هو القدس الشريف. فعلى هذا الأساس حاولنا تحليل النصوص الشعريه وقراءتها وتبيين اتجاهاتها ودواعيها المختلفه، وما هى التطورات الشعريه والفكريه التى حملها شعر القدس، وكيف حاول الشعراء الملتزمون تسريب القضيه إلى الجيل الحديث وتغذيتهم بروح الحماسه والمقاومه من أجل تحريرها.

وأمّا محور البحث فهو نصوص شعر القدس فقط فى سوريه ولبنان وفلسطين فى الفتره ما بين (١٩٤٨-٢٠٠٠ م)، فتناولت كل شاعر له دور ملموس فى مسيره شعر القدس بغضّ النظر عن انتمائه الفكرى والإيديولوجى والسياسى، ثم عمدت إلى ما طبع من دواوين ومختارات شعريه، فعكفت على قراءه المؤلفات وكتب الدراسات الفنيه والأدبيه التى لها صله بالموضوع، وقد وزّعت ماده دراستى إلى مقدمه وتمهيد وبابين وخاتمه، ففى المقدمه تناولت سبب اختيارى لهذا الموضوع والأهداف التى قصدتها

والخطه التى اتبعتها فى البحث، وفى التمهيد تحدثت عن لمحات من تاريخ القدس وفلسطين منذ عام ٥٠٠٠ ق. م حتى نكبه (١٩٤٨) وأيضاً بيّنت مكانه وأهميه القدس عند العرب والمسلمين والمسيحيين.

وقد خصصت الباب الأول بحصر دواعى شعر القدس واتجاهاته الرئيسيه وهى:

الدواعى والاتجاهات العربيه.

الدواعى والاتجاهات الإسلاميه.

الدواعى والاتجاهات السياسيه.

ثم فصّلت تلك الدواعى والاتجاهات فى ثلاثه فصول، تناول الحديث فى الفصل الأول منها الدواعى والاتجاهات العربيه وأبرز المحاور التى سلكهاشعراء القدس وحاولوا من خلالها معالجه القضيه، فوجدت أن شعر القدس فى هذا الاتجاه تحدث عن استصراخ الضمائر وإيقاظ الوجدان والشجاعه ودور الشباب ودور المرأه وحنين المبعدين ومن اشتاق إلى القدس، وقد كثُرَ منادوا روّاد هذا الاتجاه بتحرير القدس، حاثِّين الأمه على النضال والمقاومه والجهاد ضد الاحتلال الصهيونى للقدس الشريف وذلك تحت شعار القوميه العربيه.

وفى الفصل الثانى تحدثت عن الدواعى والاتجاهات الإسلاميه وأثرها على القدس وأثر القدس على روّادها، فأهم المحاور التى خاضها شعراء هذا الاتجاه مابين عامى (١٩٤٨-٢٠٠٠ م) هى: الشهاده والشهيد، الصمود والمقاومه، اليقظه الإسلاميه، الثوره والجهاد، الوحده الإسلاميه، فحاول الشعراء إرجاع المسلمين إلى قيمهم ومعتقداتهم والتمسك بها؛ لأن القدس هى قبلتهم الأولى وهم أَوْلى بتحريرها من غيرهم مهما اختلفت لغاتهم وتعددت طوائفهم؛ ذلك لأن الإسلام يجمع الكل تحت لوائه.

وفى الفصل الثالث تناول الحديث الدواعى والاتجاهات السياسيه، فاستمد روّاد هذا الاتجاه ماده شعرهم من أهم الحوادث السياسيه والوطنيه لتحريك المكان فأصبحت القدس رمزاً لمقاومه الاحتلال الصهيونى الإسرائيلى، فطرق الشعراء محور الضمير السياسى محاولين توجيه العالم بأسره لما تعانيه القدس من وطأه الاحتلال وتوعيه المسلمين خاصه، وأيضاً كان للانتفاضه وقضيه السّلام نصيب كبير فى هذا الاتجاه.

أمّا الباب الثانى من البحث فهو يتحدث عن صوره القدس الشعريه والجماليه فى سوريه ولبنان وفلسطين من خلال فصول ثلاثه أيضاً:

ففى الفصل الأول تناول البحث مفهوم الصوره الشعريه والمؤثرات التى لها دور كبير فى صوره القدس أمثال المؤثرات القرآنيه والتاريخيه وما لهما من أثر على قضيه القدس، ثم تكلمت فى آخر هذا الفصل عن التوظيف ودوره فى صياغه صور القدس الشعريه.

وانصرف الفصل الثانى إلى اللغه والأساليب فى شعر القدس وتركّز البحث على الألفاظ والمفردات والتراكيب والتكرار والاستفهام والنفى والنداء والأسلوب الخطابى والأسلوب التعبيرى والرمز والأسطوره وشعر التفعيله وشعر النثر وموسيقى شعر القدس، وغير ذلك من الأمور المهمه التى أعطت شعر القدس الجماليه والطراوه والأثر اللازم والبالغ.

وأفردت الفصل الثالث والأخير للحديث عن الفنون والخصائص والسمات لشعر القدس، فتطرق البحث للشعر الغنائى ونصيب القدس فيه، إذ كان أبرز روّاده الشاعر عبد الرحيم محمود والشاعر هارون هاشم رشيد وكذلك عمر أبو ريشه فتغنّى هؤلاء لتكون القدس حيّه على طول التاريخ.

أمّا الشعر القصصى والدرامى، فكان له الأثر المشهود فى القدس، وفى المقابل كان للقدس أثر بليغ فيه أيضاً، ولعل أول من طرقه الشاعر برهان

الدين العبوشي وفدوى طوقان، حيث حكت الأخيره قصه المحتلين لمدينه القدس العذراء وليلها الداجى.

وفى نهايه هذا الفصل تناول البحث خصائص وسمات شعر القدس أمثال الخطابيه المفرده ولاسيما فى بدايه الاحتلال، والبساطه والوضوح وروح العقيده والالتزام والمقاومه حيث ثبت لنا فى هذا المجال أن الشاعر نزار قبانى، وهارون هاشم رشيد، ودرويش، وطوقان، والبحيرى كان لهم الدور الأكبر.

وأخيراً خصّصت الخاتمه لإيجاز ماتوصل إليه البحث وسرد بعض نتائجه.

وبعد:

فقد بذلت كل ما بوسعى وحاولت بأقصى جهدى أن أقترب نحو الواقع، وأمّا ما وقعت فيه من نواقص وعيوب فذلك يعود لى وحدى، والذى كان يواسينى ويبرر لى عملى محاولتى الدؤوبه لإنجاز هذا البحث، فإن وفّقتُ فالفضل والشكر لله سبحانه، وإن تراجعت فيكفى أننى جاهدت.

وإمّا ما اعترانى من مشاكل وعراقيل فكان معوّلى فيه على الله تعالى، إنه بكل شىء عليم والحمد لله رب العالمين.

جهاد فيض الإسلام دمشق - ٢٠٠٦ م

تمهيد

القدس الشامخه

١. الخصائص الجغرافيه

تقع القدس على خط العرض ٣١.٥٢ شمالاً وخط الطول ٣٥.١٣ شرقی غرينتش، وتمتد وسط فلسطين الواقعه فی غرب آسيا، وهی جزء من الوطن العربی والإسلامی، تتوسط مفارق الطرق بين آسيا وأفريقيا وأوربا، وتصل مابين البحر الأبيض المتوسط الموصل بالمحيط الأطلنطی والبحر الأحمر وجزء من المحيط الهندی. ويحدّها من الغرب البحر الأبيض المتوسط، ومن الشرق سوريه والأردن، ومن الشمال لبنان وسوريه، ومن الجنوب صحراء سيناء وخليج العقبه. وتمتاز فلسطين بما فيها القدس الشريف بموقع جغرافی على درجه كبيره من الأهميه، لأنها تتصل بأوروبا عبر البحر الأبيض المتوسط، كما ترتبط بأفريقيا عبر البحر الأحمر، ثم تتصل بالطرق البحريه بآسيا. ومكانتها هذه جعلتها بمنزله مركز حيوی وجسر للسيطره على السواحل البحريه، وأيضاً فهی تشكل قاعده انطلاق للمستعمرين المستكبرين لأهدافهم التوسعيه فی الشرق الأوسط لاسيما فی سوريه ولبنان والأردن ومصر،

ص:٢٣

وكـذلك تعتبر فلسـطين بوابه أوروبـا على العـالم العربى الإسـلامى وبالعكس، وتضاعفت أهميتها بعـد اكتشاف حقول النفط فى الشـرق الأوسط إضافه إلى اعتـدال مناخها، وعـذوبه هوائها، وخصوبه أراضـيها، وكثره خيراتها، كما يـدل على هـذا كلام ياقوت حين سـئل: أى بلـد أجل؟ قال: المقدس، قيل: فأيها أطيب؟ قال المقدس، قيل: فأيها أفضل؟ قال: المقدس، قيل: فأيها أكبر؟ قال: المقـدس، قيـل: فأيها أحسن؟ قال: المقـدس، قيل فأيها أكثر خيرات؟ قال: المقـدس.(١) ولـذا جعلت منها هـذه الخصائص هدفاً مستمراً للغـازين والطـامعين فكـانت مطمع الأنظـار فى مختلف العصور والأمصـار، فصبت الويلاـت والحروب عليها واحـده بعد الأـخرى. ومـا يشـهده العـالم من صـراع مرير على القـدس وفلسـطين ما هو إلا اسـتمرار لتلك المطامع والمخططات الاسـتعماريه والاستكباريه المبرمجه المتمثله بالكيان الصهيونى الغاصب.

٢. القدس – أسماؤها ونعوتها

للقدس عده أسـماء سـميت بها تبعاً للأمم والشـعوب التى استوطنتها وسكنتها على مر الدهور وفى مختلف العصور، وربما لاتجد مدينه اكتسبت من الأسماء ما اكتسبته القدس.

ومن هذه الأسماء: يبوس(٢) نسبه إلى اليبوسيّين،(٣) ولعله أقدم اسم للقدس الشـريف. ومن أسمائها شلم(۴) أى: مدينه السلام، سميت بهذا الاسم من قبل الكنعانيين ولذا قالوا إنها كنعانيه الأصل. وأطلق عليها بنو إسرائيل عام

١- (١) ياقوت الحموى، معجم البلدان: ۱۶۷/۵.

٢- (٢) خسرو شاهى، تاريخ بيت المقدس: ص ۷.

٣- (٣) اليبوسيون: هم بطن من بطون العرب الأوائل نزحوا من شبه الجزيره العربيه حوالى عام (۳۰۰۰ ق. م)، المصدر: ص ۸.

۴- (۴) مجير الدين الحنبلى، الإنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: ص ۷۰.

(١٠٤٩ ق. م) اسم أورشليم(١) وهو اسم مشتق من أور - سالم، وعليه فهى ليست عبريه، وأطلق عليها المكابيون حوالى عام (١٣٩ ق. م) اسم يروسليما. وسماها الرومان حوالى عام (٦٣ ق. م) هيروسليما وسوسيموس(٢) وإيلياء.(٣) وظلت تُدعى بهذا الاسم حتى الفتح الإسلامى. وسماها الأتراك القدس الشريف. وسماها القرآن الكريم القريه،(٤) والزيتون،(٥) والمسجد الأقصى،(٦) والأرض المقدسه،(٧) ومن أسمائها أيضاً بيت إيل، أى: بيت الإله. وإيليا كابيتوليا،(٨) وظلت القدس تدعى إيليا لفتره ست سنوات بعد الفتح الإسلامى.

The First Six hundred years names in early islam the full name of Jerusalem Was « » (Iliyaa » madint bayt al makdis »(٩)

٣. أصاله القدس العربيه والإسلاميه

تؤكد الدلائل التاريخيه المسلّمه لدى عامه المؤرخين قديماً وحديثاً من العرب وغيرهم أن صله العرب بالقدس وفلسطين لم تبدأ بالإسلام والفتح الإسلامى وإنما هى مدينه عربيه المنشأ، فقد سكن اليبوسيون القدس منذ أقدم العصور ولعله من العصر الحجرى مابين عام (٧٠٠٠-٥٠٠٠ ق. م)(١٠) وهم قبيله تتفرع من الكنعانين، والكنعانيون فرع من الساميّين وهم أقدم الأمم من بعد نوح وأعظمهم

ص:٢٥

١- (١) موحد خوئى، المسجد الأقصى وبيت المقدس: ص ١١.

٢- (٢) المصدر: ص ١٥.

٣- (٣) الإنس الجليل: ٦٩/١، وكذلك فضائل بيت المقدس لمحمود إبراهيم: ص ٤٥٠.

٤- (٤) الأعراف: ١٦ و ١٦٠؛ وكذلك البقره: ٢٥٩.

٥- (٥) الزيتون: ١.

٦- (٦) الإسراء: ١.

٧- (٧) المائده: ٢٣.

٨- (٨) كامل جميل العسلى، القدس فى التاريخ: ص ١٠٥.

٩- (٩) ۵. nedieL, ١٩٨٩, p.٢٢٣ Vol. abar O. Encjclopaed in of islam.

١٠- (١٠) موحد خوئى، المسجد الأقصى وبيت المقدس: ص ١٧.

قـدره وأشـدهم قوه وآثاراً فى الأرض،[(١)] وقـد بنيت مـدينه القـدس على يد مليكا صادق، ملك اليبوسـين وظلت تُسـمّى أرض كنعان إلى يومنا هذا. وقيل إن الذى بناها هو آدم عليه السلام ثم سام ابن نوح ثم مليكا صادق.[(٢)]

ولقـد أثبت النسـابون والمؤرخون، أصـاله هـذه القبائـل العربيه وأنهـا عربيه صـرفه كما ذكر فى تاريخه محمـد بن جرير الطبرى: «عمليق: أبو العماليق، كلهم أمم تفرقت فى البلاد وكان أهل المشـرق وعمان والحجاز والشام ومصر ومنهم كانت الجبابره بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون».[(٣)] ووصفهم ابن خلدون قريباً من هذا.[(٤)] وقال القلقشـندى: «إن القدس من أعمال بلاد الشام».[(٥)] فـإذا كانت الشام من بلاد العرب والإسـلام، كانت القـدس عربيه إسـلاميه بالضـروره. ومن المحالات أن تكون القـدس التى هى جزء من الوطن العربى والإسـلامى، دوله عبريه وغير عربيه وإسـلاميه، كمـا لا نشاهـد اليوم وسط أمريكا وأوروبا أى دوله عربيه، ولكن وكما أسـلفنا ذكره بأن فلسـطين بحكم موقعها الجغرافى كانت مسرحاً لكثير من الحروب الطاحنه بين الغزاه وأهلها، وظلت القـدس طوال الزمن كنعانيه عربيه إسـلاميه صـفه وسـياده، والاحتلال الأجنبى لم يؤثر فيها، فقد قاوم عرب فلسـطين من مسـلمين وغيرهم هـذا الاحتلال وحافظوا على أصاله القـدس العربيه والإسـلاميه فى أرض آبائهم وأجدادهم أصـحابها الشـرعيين منذ عام (٣٠٠٠ ق. م) وحتى الآن. وما يسـعى إليه الاسـتعمار البريطانى الصـهيو - أمريكى جنباً إلى جنب فى طريق محو عروبه فلسـطين وإسلاميتها بعد هذا التطوير والتعقيد لإقامه دوله لقيطه

ص:٢٦

١- (١) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر: ٢٧/١.

٢- (٢) مجير الدين الحنبلى، الإنس الجليل: ٧١/١.

٣- (٣) تاريخ الرسل والملوك: ٢٠٣/١.

٤- (٤) العبر وديوان المبتدأ والخبر: ٢٧/١.

٥- (٥) صبح الأعشى فى صناعه الإنشاء: ٧٢/٤.

لإسرائيل لم يُجْدِ شيئاً، واتضحت للصغار والكبار كل هذه المخططات والمؤامرات الاستعماريه، إذ ليس فى الوجود الإنسانى قضيه تستند إلى الأباطيل والتخبطات مثلما استندت إليها الصهيونيه فى مزاعمها تجاه فلسطين والقدس الشريف، ولذا نرى أبناءها ثابروا على المجاهده والمقاومه والمطالبه بحقوقهم المغصوبه وأرضهم المحتله، وظلت القدس عربيه إسلاميه عريقه إلى يومنا هذا.

۴. القدس فى الإسلام ومكانتها عند المسلمين

القدس مدينه نشأت بإراده سماويه ربّانيه.(۱) فهى من أقدس المدن الدينيه والإسلاميه، فقد شرفها الله تعالى بالإسراء إذ عرج أشرف الخلائق منها إلى السماء.(۲) ونجد فى القرآن الكريم آيات كثيره أشار المفسرون إلى أنها تخص القدس. ومن تلك الآيات ما جاء فى سوره: (الإسراء، ۱ و ۲) و (المائده، ۲۳) و (البقره، ۲۵۹) و (المؤمنون، ۵۱) و (الأعراف، ۱۶۰) و (التين، ۱) و (الحديد، ۱۳) و (النازعات، ۱۴). نعم إن الله تعالى قدّس هذه المدينه المباركه،(۳) وآيه الإسراء تفيد بأنه علاوه على قدسيه الأقصى فإن ما حوله وأطرافه أيضاً تمتاز بالبركه والأفضليه على سواها ظاهراً وباطناً،(۴) أما بالنسبه إلى الأحاديث الشريفه التى تؤكد مكانه القدس فى الإسلام على اختلاف درجاتها فهى

۱- (۱) ورد عن النبى صلى الله عليه و آله: أنه سئل أىّ مسجد وضع فى الأرض أولاً؟ قال: المسجد الحرام، قال السائل: ثم أىّ؟ قال: المسجد الأقصى، قال: كم بينهما؟ قال: أربعون سنه. مسند أحمد: ۱۵۰/۵.

۲- (۲) الإسراء: ۱.

۳- (۳) روى ياقوت عن ابن عباس قال: بيت المقدس بنته الأنبياء وسكنته الأنبياء، ياقوت، معجم البلدان: ۱۶۷/۵.

۴- (۴) ناصر مكارم شيرازى، تفسير الأمثل: ۲۵۷/۸.

كثيره جداً، فقد ورد فى كتب فضائل القدس(١) عشرات الأحاديث نقلها الفريقان الشيعه وأهل السنه، وإليك نماذج منها:

ذكر فى كتاب (الأنس الجليل) نقلاً عن مقاتل بن سليمان يقول: مافيه – أى: القدس – شبر إلا وقد صلى عليه نبى مرسل أو قام عليه ملك، وتاب الله على داود وسليمان عليه السلام فى أرض بيت المقدس، وبشّر زكريا بيحيى فى بيت المقدس، وأوتيت مريم عليها السلام فاكهه الشتاء فى الصيف، وولد عيسى عليه السلام وتكلم فى المهد صبياً فى بيت المقدس، ورفعه الله إلى السماء وينزل إلى الأرض ببيت المقدس، ونزلت عليه المائده ببيت المقدس وأعطى الله البراق للنبى محمد صلى الله عليه و آله فحمله إلى بيت المقدس، وماتت مريم عليها السلام ببيت المقدس، ويُنصب الصراط على جهنم إلى الجنه بأرض بيت المقدس، وتوضع الموازين يوم القيامه ببيت المقدس، وينفخ إسرافيل فى الصور ببيت المقدس، ومن سَرّه أن يمشى فى روضه من رياض الجنه فليمش فى صخره بيت المقدس، وأيّد الله عيسى عليه السلام بروح القدس، وآتى الله يحيى الحكم صبياً فى بيت المقدس. وروى عن أبى عبد الله الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه و آله، قال: فنزل بى جبرائيل فقال: صل، فصليت، فقال: تدرى أين صليت؟ فقلت: لا، قال: صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى تكليماً، ثم ركبتُ فمضينا ماشاء الله ثم قال لى: إنزل فصل فنزلت وصليت، فقال لى: تدرى أين صليت؟ فقلت: لا، قال: صليت فى بيت لحم، وبيت لحم بناحيه بيت المقدس حيث ولد عيسى بن مريم، ثم ركبت فمضينا حتى انتهيا إلى

١– (١) اطلعت على أكثر من عشرين كتاباً كتب فى فضائل القدس، منها: روضه الأنس فى فضائل القدس لكاتبه عارف شريف، وفضائل بيت المقدس لشمس الدين محمد الكنجى، وفضائل مكه والمدينه وبيت المقدس لأحمد بن محمد، وروضه الأولياء فى مسجد إيلياء لمحمد بن محمود الشافعى، والفتح القسى فى الفتح القدسى للعماد الأصفهانى، وإتحاف الإحصاء بفضائل مسجد الأقصى، لشمس الدين المنهاجى السيوطى و..

بيت المقدس.(۱) وعن ابن عباس أنه قال: «قال رسول الله صلی الله علیه و آله: من أراد أن ينظر إلى بقعه من بقاع الجنه فلينظر إلى بيت المقدس».(۲) وعن حفص بن عمرو نقل أنه من زار بيت المقدس شوقاً إليه دخل الجنه.(۳) وقد تعددت الأقوال فی أول من بنی بيت المقدس، فروی بعض العلماء أن أول من بناه الملائكه بأمر من الله تعالی، ويقال إن الذی بناه إسرافيل. وقد روی عن أبی ذر الغفاری أنه قال: قلت: يا رسول الله: أیّ مسجد وضع على الأرض أولاً؟ قال: المسجد الحرام، قال: قلت: ثم أی؟ قال المسجد الأقصی، قلت: كم بينهما، قال: أربعون سنه.(۴) وذكر أنّ سام بن نوح هو الذی اختط مدينه القدس وأسس مسجدها وكان ملكاً عليها.(۵) إلى غير ذلك من الأحاديث التی ذكرت فی كتب المؤرخين، ويستفاد منها أن بناء المسجد الأقصی كان بأمر إلهی وبوحی منه كما هو الحال فی بناء المسجد الحرام والكعبه المشرفه، ولهذا كانت له قدسيته الخاصه عند الديانات السماويه الثلاث.

وأما بدايه العلاقه الوثيقه بين الإسلام والقدس فمنذ حادث الإسراء. إذ أصبح الإيمان بهذه المعجزه الكبری جزءاً من العقائد الإسلاميه الراسخه، لذكرها فی القرآن. ولاسيما انّ القدس حين وجبت الصلاه على المسلمين كانت قبلتهم الأولى إلى أن جاء الأمر الإلهی بالتوجه نحو الكعبه.

وقد زحف المسلمون لتحرير القدس بأمر من الخليفه الأول وفتحت على يد الخليفه الثانی دون قتال عام (۶۳۸ م)، وبدأت السياده على القدس

۱- (۱) السيد محمد حسين الطباطبائی، تفسير الميزان: ۸/۱۳. وكذلك أنظر: ژبتاريخ القدس والخليل: ۳۶۰/۱ و ۳۶۱.

۲- (۲) مجير الدين الحنبلی، الأنس الجليل: ۳۶۰/۱.

۳- (۳) الطبری، تفسير الطبری: ۴/۱۵ و ۵.

۴- (۴) مجير الدين الحنبلی، الأنس الجليل: ۷۰/۱.

۵- (۵) المصدر: ۷۱/۱.

وأصبحت مظهراً من مظاهر الحضاره العربيه والإسلاميه، ولؤلؤه يتزيّن بها كل مسلم أينما وجد. واتجهت الأنظار لها وخفقت القلوب بحبها وهانت التضحيات لها والجهاد فى سبيلها. ومع هذه المكانه الساميه للقدس عند المسلمين فإنهم يعترفون ويحترمون مكانتها عند الآخرين من أبناء الديانات الأخرى نتيجه اعتراف الإسلام بوحده الأديان السماويه والربانيه.

القدس فى عصور ما قبل الإسلام

١. القدس فى العصر الكنعانى

قبل الخوض فى هذا الموضوع رأيت من الضرورى أن أنوّه إلى نكته مهمه وهى أنّه لم يكن القصد من كتابه هذا التمهيد أن أضمّن الموضوع الأصلى وهو «القدس فى الشعر العربى الحديث» بحثاً تاريخياً لممارسات الاحتلال الصهيونى، أو أذكر الأبعاد السياسيه لقضيه القدس، وإنما القصد أن أعطى فكره موجزه ومختصره جداً عما مر على القدس الشريف طوال العصور الماضيه المليئه بالأحداث والأزمات، ليكون هذا توطئه للدخول فى موضوعنا الأساسى.

وأما القدس فى العصر الكنعانى، فقد بدأت أُولى الهجرات البشريه وأكبر الموجات المهمه التى خرجت من شبه الجزيره العربيه ما بين (٣-٤) آلاف سنه قبل الميلاد، وهى هجره القبائل الكنعانيه الساميه العربيه، واستوطنت فلسطين والتى عرفت بأرض كنعان، وبقيت لهم السياده التامه عليها إلى نحو (١٠٠٠ عام ق. م)، وأول من سكن القدس أحد بطون هذه القبائل العربيه والتى كانت تحمل اسم اليبوسيين الذين أنشأوا الكثير من المدن ووضعوا اللبنه الأولى لمدينه القدس، وحافظ عليها أولئك وطوّروها كعاصمه لهم وما لبث أن كوّنوا قوه وأصبحت لهم حضاره واشتهروا بالزراعه والصناعه كزراعه العنب والزيتون، وصناعه الأسلحه والثياب. كما عرفوا أنواعاً عديده من المعادن منها النحاس

والبرونز وعرفت حضارتهم بالحضاره الكنعانيه، وحملت القدس فی هذا العصر اسم يبوس نسبه لليبوسيين وهی أقدم بلد فی التاريخ عرفه العالم.(۱)

فی عام (۱۱۸۴ ق. م) دخل الفلسطينيون إلی أرض كنعان وامتزجوا بالسكان الأصليين وأصبحت أرض كنعان بعد ذلك تعرف باسمها الحالی «فلسطين».

۲. القدس فی عصر التوحيد

لعلّ فلسطين بما فيها القدس الشريف أقدم بقاع الأرض التی عرفت التوحيد والدعوه إلی وحدانيه المولی عز وجل بعد ما هاجر إليها أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام قادماً من بلده أور العراقيه إلی الشام حوالی عام (۱۸۰۰ ق. م) ومعه زوجته ساره ولوط ابن أخيه لنشر التوحيد الإلهی كما ذكر القرآن الكريم.(۲) وفی فلسطين أنجب إبراهيم إسحاق والد يعقوب الذی كان يلقّب بإسرائيل أيضاً كما يقال وإليه ينسب الإسرائيليون. وأقام يعقوب فی أرض كنعان، أما إبراهيم فهاجر إلی مصر فدخلها أيام حكم العماليق، وفی عهد رمسيس الثانی - فرعون مصر - وبعد أربعمائه وثلاثين عاماً من دخول يعقوب مصر، قرر موسی عليه السلام الخروج ببنی إسرائيل إلی أرض كنعان، وقد وقعت خلال طی المسافه ما بين مصر وفلسطين حوادث كثيره، منها أن موسی عليه السلام عندما غاب عن قومه أربعين يوماً ليأتی بالألواح، عاد قومه مره أخری لعباده الأصنام.(۳) وبسبب هذا العصيان فقد تاهوا فی الصحراء أربعين عاماً، وبعدما توفّی موسی عليه السلام خلفه يوشع فعبر نهر الأردن بتلك القبائل العبرانيه(۴) إلی فلسطين

۱- (۱) مجيرالدين الحنبلی، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: ۳۶۰/۱.

۲- (۲) آل عمران: ۶۷.

۳- (۳) طه: ۸۳ و ۹۸ كذلك البقره: ۵۱.

۴- (۴) لم تكن العبرانيه صفه لإبراهيم عليه السلام كما ادّعی الصهاينه وإنما كانت خليطاً من عده قبائل بدويه منها العبير والخابير، انظر كتاب القدس ماضيها... حاضرها... مستقبلها لكاتبه فهد جابر: ص ۱۷.

حوالى عام (١١٨٦ ق. م) ولم يستطيعوا أن يحتلوا أرض كنعان ولم يدخلوا القدس، وبعد ذلك استطاع داود عليه السلام وقبل ألف سنه من الميلاد أن يجعل القدس عاصمه لمملكته ما بين عام (١٠١٣-٩٧٣ ق. م) بعدما انتصر على جالوت وجنوده دعاه الشرك والوثنيه ودامت حكومته أربعين عاماً فقط وتوفى ودفن فى القدس.

٣. القدس فى العصر البابلى

زحف نبوخذ نصّر البابلى نحو القدس عام (٥٩٧ ق. م) فاحتلها وأخذ ملكها ومعظم جيشه وقادته أسرى إلى بابل فى العراق بعدما غيّر نظام الحكم فى القدس، وعاد إليها ثانيه بعدما تمرد بعض اليهود وأوقع هزيمته الكبرى بهم وسبى أكثر السكان إلى بابل وعُرف هذا بالسبى البابلى.

وهكذا زالت دوله اليهود من فلسطين بعدما عاشت أربعه قرون فقط (١٠٠٠-٥٨٦ ق. م).

٤. القدس فى العصر الفارسى (الساسانى)

انتصر كورش الهخامنشى ملك الفرس آنذاك على البابليين عام (٥٣٩ ق. م) وقد أخضع البلدان واحداً بعد الآخر ماضياً فى فتوحاته حتى احتل القدس وأصبحت له السلطه عليها وألحقها بدولته طيله قرنين، وقد أظهر كورش المداراه لكل القوميات والمذاهب والأديان، وأعاد بقايا اليهود من بابل إلى القدس عام (٥٣٨ ق. م) واستمر الهدوء فى القدس حتى نهايه حكم داريوش الثالث وبدايه الاحتلال الإسكندرى عام (٣٣٢ ق. م).

٥. القدس فى العصر اليونانى

احتل الاسكندر المقدونى القدس عام (٣٣٢ ق. م) بعدما انسحب منها الفرس وتحولت أورشليم إلى مدينه يونانيه وهرولت بقايا اليهود إلى اسكندر وعفى

عنهم وأمرهم أن ينخرطوا فى جيشه.(1) ولما مات الاسكندر المقدونى عام (۳۲۳ ق. م) اقتسم ملكه وكانت القدس من نصيب البطالسه وظلت القدس فى عهد بطليموس، الملك اليونانى تعيش الفوضى والحروب حتى عام (۹۰ ق. م).

۶. القدس فى العصر الرومانى

بدأت السيطره الروميّه على القدس وفلسطين منذ حوالى عام (۶۳ ق. م) حيث شنوا هجوماً كاسحاً على أرمينيا وآسيا وأفريقيا ثم سوريا والقدس بقياده «يامبيوس»، ونصب «هيرودوس» ملكاً على الجليل والقدس وظل يحكمها حتى عام (۴ م)، وفى زمانه ولد النبى عيسى عليه السلام فى بيت لحم، وبعدما بدأ المسيح عليه السلام بالتعليم والتعلّم والإرشاد وشى به اليهود للحاكم الرومانى واتهموه بالكفر وصلب(2) بفتوى شورى اليهود، لكن المسيح عليه السلام بقى خالداً وأصبح له من الأتباع خلق كثير، وكانت النتيجه إبداء المحبه من قبل حكام الروم للسيد المسيح عليه السلام، وأخذوا يعاملون اليهود بقسوه بعد إصرارهم على الطغيان، فهاجم «تيطس» ابن إمبراطور الروم أورشليم وقتل معظم السكان، ومن بقى من اليهود على قيد الحياه فرّ إلى خارج البلاد أو ذاب بين السكان العرب.(3) وآخر محاوله فى زمن الحاكم الرومانى «هادريان» حينما طغى اليهود فقتل ما يقارب من (۵۸۰۰۰۰) نسمه منهم وأمر بإنشاء مدينه جديده مكان القدس سماها «إيليا كابيتولينا» وحرّم على اليهود سكناها.

من الجدير بالذكر أنَّه فى حوالى ثلاثمائه عام بعد واقعه صلب المسيح عليه السلام اعتنق إمبراطور الروم قسطنطين الكبير (۳۰۶-۳۳۸ م) الدين

۱- (۱) عارف باشا العارف، النكبه: ۲۵/۱.

۲- (۲) هذا حسب العقيده المسيحيه ولكن القرآن الكريم ينفى صلب المسيح عليه السلام إذ يقول: (... وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ وَ لكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ...)، النساء: ۱۵۷.

۳- (۳) الموسوعه الفلسطينيه: ۱۹۶/۲.

المسیحی وأعلن المسیحیه فی القدس وأصبحت مرکزاً دینیاً للمسیحیه، وشیّدوا فیها عدداً من الکنائس منها کنیسه المهد والقیامه، وفی عهد خسرو برویز الساسانی الفارسی وقعت حرب ضاریه بین الإمبراطوریه الفارسیه والرومیه آنذاک، وذلک خلال السنوات (۶۰۴-۶۳۰ م) إذ انتصر الفارسیون علی جیوش الروم، وصارت القدس بأیدیهم، ولکن بعد وفاه خسرو برویز سقطت بید «هرقل» البیزنطی الرومانی عام (۶۲۸ م).

القدس فی عصر الحضاره الإسلامیه

۱. القدس فی العصر النبوی

کان القدس الشریف القبله الأولی للمسلمین بعد بعثه النبی محمد بن عبد الله صلی الله علیه و آله حتی السنه الثالثه عشره للبعثه النبویه حیث کان النبی صلی الله علیه و آله یعیش فی مکه المکرمه، وفی السنه الثانیه من الهجره النبویه وبأمر إلهی تحولت قبله المسلمین إلی الکعبه فی مکه المکرمه، وقد تطورت العلاقات بین القدس والإسلام منذ أُسری برسول الله محمد صلی الله علیه و آله عام (۶۲۱ م)، وحرص الرسول الأعظم صلی الله علیه و آله علی أن یحرر القدس من الاحتلال الرومانی فی غزوه مؤته عام (۶۲۹ م) وغزوه تبوک (۶۳۰ م) ولکن لم یکن النصر حلیف المسلمین.(۱) وبعد رحله النبی صلی الله علیه و آله إلی الرفیق الأعلی عام (۶۳۴ م - ۱۳ ه) وقعت معرکه «أجنادین» وانتصر المسلمون فیها علی الروم، وفی عام (۶۳۶ م) وقعت معرکه «الیرموک» وانتصر المسلمون فیها أیضاً وانهزم الرومان هناک.

۲. القدس فی العصر الإسلامی الأول

بعد أن انتصر المسلمون بقیاده أبی عبیده بن الجراح، اشترط البطریرک

۱- (۱) الطبری، تاریخ الطبری: ۳/۳۶-۴۰.

«صفرونيوس» - الحاكم الرومانی - أن يتسلم الخليفه الثانی القدس بنفسه فبادر الخليفه عام (۶۳۶ م - ۱۵ ه) إلی دخول مدينه القدس وصالح أهلها فكتب معهم «العهده العمريه»(۱) وقد عامل الخليفه أهل المدينه بلطف ولين ورأفه ومنذ ذلك الحين اتخذت المدينه طابعها الإسلامی وغيّر اسم المدينه من إيلياء إلی بيت المقدس باعتباره القبله الأولی للمسلمين وحظيت القدس باهتمام المؤلفات العربيه والإسلاميه إلی يومنا هذا، وخضعت القدس إلی حكم معاويه وضمها إلی دمشق مركز خلافته، واهتم بها الأمويون خلال الأعوام (۶۶۱-۷۵۰ م) ومن أهم الآثار الإسلاميه فی العهد الأموی بناء مسجد الصخره علی يد عبد الملك بن مروان، وحرَصَ العباسيون علی القدس من بعدهم، وشهدت القدس فی فتره (۷۰۹-۱۰۷۹ م) عدم استقرار سياسی بسبب الصراعات والنزاعات العسكريه والسياسيه التی نشبت بين العباسيين، والفاطميين، والقرامطه، وكانت النتيجه خضوع القدس الشريف لحكم السلاجقه عام (۱۰۷۱ م).(۲)

۳. القدس فی العصر الإسلامی الثانی

فی منتصف القرن الثالث الهجری أخذت الدوله الإسلاميه بالضعف المستمر حتی تمزقت إلی ثلاث خلافات، الخلافه العباسيه فی الشرق، والخلافه الفاطميه فی مصر والمغرب والشام، والخلافه الأمويه فی الأندلس، وفی تلك الظروف من الكساد والتشتت عاد الاحتلال الأجنبی لمدينه القدس بعد أن دعا البابا «أوربان الثانی» إلی ضروره الحرب ضد المسلمين، وادّعی أنَّ كل من يشترك فی الحروب الصليبيه تغفر له ذنوبه، وأصدر قراراً بأن يَخيط كل

۱- (۱) وثيقه صلح، انظر: الأنس الجليل: ۳۷۷/۱-۳۸۰.

۲- (۲) سيد هادی خسرو شاهی، تاريخ بيت المقدس: ۲۰.

فارس صليباً من القماش على ردائه الخارجى، ولذا عرفت تلك الحروب بالحروب الصليبيه، لأنها اتخذت الصليب شعاراً لها.

احتل الصليبيون القدس عام (۱۰۹۹ م) وارتكبوا مجازر دمويه فى ساحه المسجد الأقصى وقاموا بقتل الكبار والصغار، قدّرتها بعض المراجع التاريخيه بأكثر من سبعين ألفاً.(۱) ويُثبت هذا رساله القائد الصليبى إلى البابا حين يقول: «إذا أردت أن تعرف كيف تمّ التعامل مع الأعداء الذين وقعوا بأيدينا فى بيت المقدس، فاعلم أن جنودنا فى معبد سليمان كانوا يخوضون فى بحر من دم المسلمين وكان الدم يصل ركب الخيل».(۲) واستمر الحكم الصليبى إلى أكثر من مئتى عام، وخلال هذه الفتره تداول المسلمون والصليبيون النصر والهزيمه فى المعارك واحتلال المدن.

بدأت نقطه التحول الحقيقى فى العالم العربى والإسلامى عام (۱۱۲۱ م) عندما ظهر عماد الدين زنكى الذى تولى مسؤوليه توحيد المسلمين فى العراق والشام وأخذ يحقق الانتصارات ضد المحتلين والغزاه. واستمرت جهود زنكى فى توحيد الصفوف حتى قتل عام (۱۱۴۶ م) وتولى بعده زمام الأمور ولده نور الدين محمود وحذا حذو أبيه محاولهًمنه لتحرير القدس الشريف.

۴. القدس فى العصر الأيوبى

بعد وفاه نور الدين محمود عام (۱۱۷۴ م) أصبح صلاح الدين الأيوبى هو الوارث الحقيقى لآمال العرب والمسلمين وأخذ يعمل على توحيد الصفوف منادياً وا قدساه وا إسلاماه، وتركزت جهوده فى معركه حطين عام (۱۱۸۷ م) حيث كان النصر حليف المسلمين بعدما انهزم الغزاه، ثم فتحت المدن واحده

۱- (۱) المصدر: ص ۲۲.

۲- (۲) المصدر: ص ۲۲.

بعـد الأخرى وتطلعت الأنظار إلى القـدس الشـريف فأعدّ صـلاح الدين عدّته وبدأ بحصاره للقدس فكانت النتيجه تسـليم الغزاه، وهكذا عاد القدس إلى أهله فى الثانى من تشـرين الأول عام (١١٨٧ م) وبعدما أزال صـلاح الدين كل ما علق بمقدساتها، واهتز العالم العربى والإسـلامى طرباً وفرحاً بعودتها إلى الوطن العربى والإسـلامى بعـد تسـعين عاماً، وبعـد موت صـلاح الدين الأيوبى أعقبته سلسـله الأـيوبيين، وبعـد حروب طـاحنه ونشـوب الخلافـات فرّط الكامـل محمود فى القـدس إذ اسـتجاب لملـك ألمـانيه «فـدريك الثانى» حينما عقد معه صـلح يافا فى ١٨ شباط (١٢٢٩ م) وتقرر أن يأخـذ الغزاه القدس، وهكذا اسـتولى الفرنجه على بيت المقدس[(١)] وحلّت بالعرب والمسـلمين الطامه الكبرى والمصاب الجلل، الأمر الذى أثار غضب المسلمين فاشتد البكاء وعلا الصراخ وأقيمت المآتم، إذ ترك الاحتلال الصليبى أثراً بالغاً على العرب والمسلمين، وكان له صدىً كبير فى البعد الأدبى حينما وقف الأـدب والشـعر العربى موقفاً قويـاً وهـذا ظـاهرٌ من كلام صـلاح الـدين بعـد فتـح بيت المقـدس حين خاطب فرسانه قائلاً: «لاـتظنوا إنى فتحت البلاـد بسـيوفكم، بـل بقلم القاضـى الفاضل»[(٢)] والـذى يفهـم منـه هـو أن الأـدب لـم يكـن غائبـاً عن أرض المعركه، بـل حرّض الضـمائر الحيّه ضـد المحتلين الغزاه كمـا نرى فى قصـيده ابن الساعـاتى مخاطباً صـلاح الـدين الأيوبى حين يقول:

قضيتَ فريضه الإسلام منها وصدقتَ الأمانى والظّنونا؟

تهزُّ معاطف القدس ابتهاجاً وترضى عنك مكه والحجونا

فقلب القدس مسرور ولولا سطاك لكان مكتئبا حتزينا[(٣)]

ص:٣٧

١- (١) المصدر: ص ٢٥.

٢- (٢) النجوم الزاهره: ١٥٧/٢.

٣- (٣) ابن الساعاتى، الديوان: ٤٠٧/٢.

۵. القدس فی عصر المماليک

بعد الأسره الأيوبيه سيطر المماليک على زمام الأمور لفتره ثلاثه قرون تقريباً بعدما انطلقوا من قاعدتهم فی مصر وألحقوا الهزيمه بالغزاه فی معرکه عين جالوت عام (۱۲۶۰ م) ورجعت فلسطين إلى حضن العرب والمسلمين بما فيها القدس الشريف على يد الأشرف ابن «قلاوون» عام (۱۲۹۱ م).

۶. القدس فی العصر العثمانی

دخل العثمانيون القدس بقياده السلطان «سليم الأول» بعد معرکه «مرج دابق» عام (۱۶۱۶ م) وظلت القدس فی إطار الإمبراطوريه العثمانيه لمده أربعه قرون تقريباً وقام العثمانيون ببعض المشاريع كإعاده بناء أسوار المدينه وقبه الصخره ولم يطرأ على القدس تغير محسوس إلاّ إغماض بل إعطاء الامتياز للجانب الأوروبی والذی کان السبب لتدفق الأجانب نحو القدس، ووقّعت على ضوء تلک الامتيازات عده معاهدات أمثال معاهده «کارلوفيتز»(۱) ومعاهده «کوتشوکقينارجی».(۲) وحملت هذه المعاهده عنوان المحافظه على الأماکن المقدسه ورعايتها، وکان لليهود دور کبير فی کتابه هذه الامتيازات التی أصبحت خطيره على القدس ونمت فی ظلها المؤسسات اليهوديه ولم تستطع الدوله العثمانيه استدراک القضيه بل کان التساهل والتسامح من العثمانيين أحد الأسباب الرئيسه لعوده التيار الصهيونی لاسيما فی عهد سليمان القانونی إلى القدس وقد تضاعف عدد اليهود فی القرن التاسع عشر، حتی ضاق الحی اليهودی فی القدس بسکانه وبنيت أول ضاحيه يهوديه، خارج أسوار المدينه عام (۱۸۶۰ م) وتصاعد بناء الضواحی والمستوطنات الصهيونيه حتی وصل إلى سبع ضواح أخری، والتی کونت فيما بعد نواه مدينه القدس الجديده

ص:۳۸

۱- (۱) . Karlowitz.

۲- (۲) . Kuchuk Kaainardji.

والتى أطلق عليهـا القـدس الغربيه. وتزامنـاً مع هـذا التزايـد اليهودى بـدأ إحياء اللغه العبريه وكانت النتيجه تكوين الثقافه اليهوديه أواخر القرن التاسع عشر الميلادى، هذا إضافه إلى الامتيازات التى أعطتها منظمه الأمم المتحده فيما بعد كما يُذكر.

« Measures taken by israel in violation of the status of jerusalem and their condemnation by the united nations

Since ١٩٤٨ israel has taken three measures in violation of the legal status of jerusalem. :These were

(١) the occapation and annexation of the city

(٢) the alteration of its demographic composition,and

(٣) .the looting and confiscation of arab property

It is obvious that these measures have aimed at the judaization of the government. ((١)

أيّام لها صدى

فى خاتمه موضوع تاريـخ القـدس السياسـى والأدبى رأينا من المناسب أن ننوّه إلى أهم الأحـداث التى مرت بها القدس من عام (٣٠٠٠ ق. م) إلى عام (٢٠٠٠ م) والتى كان لها الأثر البالغ فى مصير القدس الشريف:

ففى عام (٣٠٠٠ ق. م) هاجر الكنعانيون العرب من شبه الجزيره إلى فلسطين.

وفى عام (١٨٠٠ ق. م) هاجر إبراهيم عليه السلام من أور إلى فلسطين.

وفى عام (١٠٠٣ ق. م) اتخذ داود عليه السلام القدس عاصمه له.

وفى عام (٧٢٢ ق. م) سقطت القدس بيد الآشوريين.

وفى عام (٥٨٦ ق. م) سقطت القدس بيد نبوخذ نصر البابلى.

وفى عام (٥٣٨ ق. م) احتل كورش الهخامنشى القدس.

١- (١) ١٩٨٠, P. ٣٠ Cattan HENRY, THE Question OF JERUSALEM, LANDON.

وفی عام (۳۳۲ ق. م) احتل الاسکندر المقدونی القدس.

وفی عام (۶۲ ق. م) احتل الرومان القدس.

وفی عام (۳۷ م) حکم هیرودس القدس، وولد عیسی.

وفی عام (۳۲۴ م) أصبحت القدس تحت الاحتلال البیزنطی.

وفی عام (۶۲۱ م) أُسری بالنبی محمد صلی الله علیه و آله إلی القدس.

وفی عام (۲ ه) صلّی النبی صلی الله علیه و آله أول صلاته إلی القدس.

وفی عام (۶۲۸ م/ ۷ ه) احتل هرقل البیزنطی القدس.

وفی عام (۶۲۹ م/ ۸ ه) وقعت معرکه مؤته.

وفی عام (۶۳۰ م/ ۹ ه) وقعت معرکه تبوک ولم تُحَّرر القدس.

وفی عام (۶۳۴ م/ ۱۳ ه) وقعت معرکه أجنادین وانتصر المسلمون.

وفی عام (۶۳۶ م/ ۱۵ ه) وقعت معرکه الیرموک وانتصر المسلمون.

وفی عام (۶۳۸ م/ ۱۷ ه) دخل المسلمون القدس وصالح الخلیفه الثانی أهلها.

وفی عام (۴۹۳ ه) احتل الصلیبیون القدس وارتکبوا المجازر.

وفی عام (۱۱۸۷ م/ ۵۸۳ ه) استردّ صلاح الدین الأیوبی القدس من الصلیبیین بعد معرکه حطین.

وفی عام (۱۱۹۰ م/ ۵۸۶ ه) وقعت الحمله الصلیبیه الثالثه وسقطت القدس.

وفی عام (۱۲۵۳ م/ ۶۵۱ ه) استولی الممالیک علی القدس.

وفی عام (۱۲۹۱ م/ ۶۹۰ ه) أنهی الأشرف بن قلاوون المملکه الصلیبیه من القدس.

وفی عام (۱۸۳۱ م) استولی إبراهیم باشا علی القدس.

وفی عام (۱۸۵۴ م) أقیم أول حی (مونتفیوری) صهیونی فی القدس.

وفی عام (۱۹۲۰ م) وضعت القدس تحت الانتداب البریطانی من أجل الصهیونیه.

وفی عام (۱۹۴۸ م) اغتصبت الصهیونیه العالمیه فلسطین.

وفی عام (۱۹۶۷ م) احتل الصهاینه القدس وأحکموا سیطرتهم علیها

ص:۴۰

وعلى فلسطين بعد نكسه حزيران وأخذوا يسمونها أورشليم.

وفى عام (١٩٦٩ م) أحرق الصهاينه المسجد الأقصى.

وفى عام (١٩٧٣ م) وقعت حرب أكتوبر.

وفى عام (١٩٧٨ م) وقّع السادات مع مناحم بيجن اتفاقيه السلام.

وفى عام (١٩٨٠ م) تم إعلان ضم القدس إلى دوله الاحتلال بشكل رسمى.

وفى عام (١٩٨٢ م) وقعت مذبحه صبرا وشاتلا.

وفى عام (١٩٨٧ م) وقعت الانتفاضه الأولى.

وفى عام (١٩٩١ م) عقد مؤتمر السلام فى مدريد.

وفى عام (١٩٩٣ م) عقد مؤتمر أوسلو للسلام.

وفى تاريخ (٢٠٠٠/٩/٢٨ م) اشتعلت الانتفاضه الثانيه فى القدس.

القدس فى العصر الحديث

١. القدس والصهيونيه العالميه

منذ حوالى عام (١٩٠٧ م) سار الاستعمار البريطانى والمنظمات الصهيونيه جنباً إلى جنب واتفقت كلمتهما على محو عروبه القدس وإسلاميتها وإباده الشعب الفلسطينى لتحل محله عصابات وجماعات صهيونيه تمهد الطريق لإقامه دوله أطلق عليها عبثاً وزوراً اسم دوله إسرائيل. ولكن فلسطين لم تكن فى حوزه بريطانيا وكانت لا تزال تشكل جزءاً من ولايتى دمشق وبيروت آنذاك فى سلطه الدوله العثمانيه. وما أن اشتعلت الحرب العالميه الأولى عام (١٩١٤ م) ووقفت الدوله العثمانيه إلى جانب ألمانيا والنمسا حتى شنت بريطانيا حملتها على فلسطين واستطاع الجنرال (إدموند) الوصول إلى القدس واحتلالها، وطُوى ملف الدوله العثمانيه وانتقلت إداره القدس إلى الحكومه العسكريه البريطانيه التى اتفقت سراً مع زعماء الصهاينه على منحهم وطناً

قوميّاً لهم فى أرض كنعان حسب قرار مؤتمرهم الأول(١) الذى عقد فى سويسرا عام (١٨٩٧ م) مقابل مساعدتها فى الحرب. وكان هدف بريطانيا إقامه دوله للصهاينه فى فلسطين لتشكل قاعده للاستعمار فى الوطن العربى والإسلامى، وإثر وعد بلفور الذى صدر فى الثانى من تشرين الثانى (١٩١٧ م) بدأت القضيه الفلسطينيه تتكون لتنسج أشباكها المهلكه والخطيره على الشعب الفلسطينى والوطن الإسلامى، ذلك لأن هذا الوعد أفضى إلى قيام وطن قومى للصهاينه على أرض فلسطين العربيه والإسلاميه، وليس من الغريب أن نجد الشعراء يتحدثون عن هذا الوعد ومخاطره بل يرون دوله إسرائيل قائمه بصدور وعد بلفور، ولعل الشاعر اللبنانى «وديع البستانى» الذى كان مقيماً فى فلسطين هو أوّل من حذر من قيام إسرائيل فى قصيدته التى نظمها فى شهر تشرين الثانى من عام (١٩١٧ م) والتى قال فيها:

تريدونها جداً وجداً أقولها من اليوم سراً إن أردتم أو جهرا

فتحنا لكم صدراً، مددنا لكم يداً وإنى لأخشى أن تديروا لنا ظهرا

عرفت طريق الهند من باب طارق إلى عدن عبر القناه ولا نُكرا

فإن تحسبونا الجسر يبنيه عابرٌ فلا تهدموه فى الطريق لكم جسرا

أرى هُوَّةً تزداد عمقاً سحيقةً على عدوه أنتم ونحن على الأُخرى

أرى الوطن القومى يعلو بناؤه أرى غرفه فى القصر تحجبه قصرا

وذكرهُمُ ذكراً ولست مُسيطراً مخافه يومٍ فيه لاتنفع الذكرى(٢)

وهكذا دخل الشعر ميدان المعركه والنضال وأخذ يكشف للناس النوايا الاستعماريه للبريطانيين والصهاينه وينطلق معهم فى الكفاح والجهاد كما نرى

١- (١) مؤتمر بال وبرئاسه أحد زعماء الصهاينه (هيرتزل).

٢- (٢) وديع البستانى، ديوان الفلسطينيات: ص ٨٢.

فی شعر رشید سلیم الخوری حینما یقول:

الحق منک ومن وعودک أکبرُ فاحسب حسابَ الحق یا متجبرُ

تَعِدُ الوعودَ وتقتضی إنجازَها مهج العبادِ، خسئتَ یامستعمرُ

لو کنتَ من أهل المکارم لم تکن من جیب غیرک محسناً یا «بلفرُ»

عِد من تشاءُ بما یشاءُ فإنَّما دعواه خاسرةٌ ووعدک أخسرُ(۱)

وفی هذا السیاق أبیات الشاعر حسین زید الکیلانی إذ یقول:

یا وعد بلفور یا شؤم المواعید یا وصمه العار فی أیامک السود

ما کان أسخاک فیما لست تملکه وما أشدّک إنجازاً لموعود(۲)

ومن منطلق الخطه الصهیونیه العالمیه فتحت حکومه الانتداب البریطانی الباب علی مصراعیه للهجره الیهودیه، وتدفقت العصابات الصهیونیه إلی فلسطین من مختلف أنحاء العالم وارتفع عدد الصهاینه فی فلسطین وبلغ عام (۱۹۴۸ م) ۶۵۰ ألف نسمه. وارتفع عدد الصهاینه فی القدس من ۱۰ آلاف عام (۱۹۱۸ م) إلی ۱۰۰ ألف عام (۱۹۴۸ م). وتمکن الصهاینه - بمساعده الإمبریالیه العالمیه ولا سیما بریطانیا - من إنشاء قوات عسکریه عرفت بالهاغانا التی أصبحت جیش إسرائیل وسلّحتها بأحدث أنواع الأسلحه وبلغ عددها قبل نهایه الانتداب ۷۵ ألف مقاتل إضافه إلی عصابه الارغون وشیترن.(۳) ولمّا اطمأنّ الاستکبار العالمی إلی نجاح المؤامره وتفوّق الصهاینه عسکریاً حان وقت اقتطاف الثمر وبدأت الصهیونیه العالمیه بمرحله جدیده من مخططها

۱- (۱) رشید سلیم الخوری (القروی)، دیوانه: ص ۱۱۱.

۲- (۲) حسین زید الکیلانی، أطیاف وأغارید: ص ۳۶.

۳- (۳) عصابه الأرغون وعصابه شیترن کانت الوکاله الیهودیه تستخدمهما للاجرام السیاسی لتعلن بعد کل جریمه أن هذه العصابات خارجه من طاعتها ومسؤولیتها مثل ما حدث فی مذبحه «دیر یاسین» علی ید العصابه الصهیونیه شیترن.

الغادر وذلك بتقسيم الأراضى المحتله عن طريق هيئه الأمم المتحده، فقررت الأخيره تقسيم فلسطين إلى ثلاثه أجزاء، الجزء الأكبر والأخصب تقام عليه دوله إسرائيل, ولم يجف حبر إعلان التقسيم الذى أُعلن عنه بتاريخ ١٩٤٧/١١/٢٩ م حتى أعلن الرئيس الأمريكى آنذاك اعترافه بدوله إسرائيل، وهكذا تبلورت الدعوه الصهيونيه بأنها خطه استعماريه معدّه من الولايات المتحده، وبريطانيا، وفرنسا، والمنظمه الصهيونيه العالميه لتبادل خدمات المصالح المشتركه، كما يقول حاييم وايزمن: «لو لم تكن الحركه الصهيونيه موجوده لكانت بريطانيا ستخلقها، لأن لها مصلحه بوجودها»(١). وفى عام (١٩٦٤ م) نشرت الولايات المتحده بعض الوثائق السريه التى تعود إلى عام (١٩٤٣ م) ومنها تقرير كتبه ممثلها - روزفلت - فى الشرق الأوسط تلتزم المنظمه الصهيونيه فى فلسطين ببرنامج يقوم على إقامه دوله يهوديه تشمل فلسطين والأردن.(٢) وكان من الممكن أن تظل جميع قرارات الصهاينه ومخططاتهم أمانى وأحلاماً لو بقى اليهود وحدهم فى المؤامرات ضد القدس وفلسطين، إلاّ أنّ تلك الأحلام والمخططات قد توحدت مع مصالح الاستعمار العالمى وخططه فى أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين بزعامه بريطانيا وظلت إسرائيل تخدم الاستعمار وهو يخدمها، وكل ما فى الأمر إنما هى مصالح ومنافع مشتركه بين شياطين الأرض ومحاور الشر.

٢. القدس والمقاومه العربيه – الإسلاميه

اكتسب الكيان الصهيونى فى فلسطين معظم مقومات المجتمع وسمات الدوله الحديثه فى العقود الثلاثه للانتداب، ولم يكن قد بقى إلّا إعلان الدوله

١- (١) إميل توما، ستون عاماً على الحركه القوميه العربيه الفلسطينيه: ص ٣.

٢- (٢) المصدر: ١٩١.

اليهوديه، وهو الأمر الـذى بـدأ بقرار الأمم المتحده بتقسـيم فلسـطين (القرار رقم ١٨١) لعام (١٩٤٧ م)، ثم إعلانـه رسـمياً من تل أبيب ١٤ أيار (١٩٤٨ م). وخلال الفتره من ٢٩ تشرين الثانى (١٩٤٧) إلى ١٥ أيار (١٩٤٨ م) (موعـد خروج بريطانيا) لم ينتظر الصـهاينه خروج المحتل وإنما بادروا إلى ترويع الفلسطينيين والفتك بهم، وفى المقابل وقف الفلسطينيون ضد هذا الاحتلال ولم يستسلموا لسياسه الاستعمار والعصابات الصـهيونيه وعملوا جاهدين على الدفاع عن الكيان والوطن واسـتمروا فى المقاومه ضـد الاحتلال وما يضـمره من نوايا خبيثه، فوقعت مجموعه من الثورات ضـد المحتلين فى بـدايه الأمر ثم الـدفاع والنضال العسـكرى. وحينما واجه الصـهاينه مقـاومه الشعب ارتكبوا جرائم بشـعه مثـل مـذبحه دير ياسـين وكفر قـاسم وذلـك فى نيسان (١٩٤٨ م)، ودخلت الجيوش العربيه فى الصراع من أجل الدفاع عن القدس وفلسطين. ولكن الصهاينه واجهوا العرب بدعم أوروبى وأمريكى بكميه هائله من الطائرات والأسلحه التى أُرسلت لهم، وتغيّر الموقف لصالح الصهاينه بعدما أصبحت تل أبيب تحت مرمى مدافع الجيوش العربيه وبانت معالم النصر، وغمرت البهجه نفوس الشعوب العربيه والإسلاميه وكادت تُسحق تلك العصابات الصهيونيه لولا الدعم الأمريكى - الأوروبى ووقوف الأمم المتحده إلى جانب إسرائيل عندما قررت هدنه لمده أربعه أسابيع، وتوقف القتال من صباح اليوم الحادى عشر من حزيران عام (١٩٤٨ م) وأثبتت الوقائع التى تلت عقد الهدنه أن العرب والمسلمين خسروا حرب فلسطين يوم قبلوا الهدنه الأولى، وأنها غيّرت مجرى القتال وجعلته لصالح اليهود بعد أن كان يتجه لصالح العرب والمسلمين كما قال السوافيرى.(١) ووقف شعراء العرب وقفه عنيفه وثارت ثائرتهم كما نرى

١- (١) كامل السوافيرى؛ الشعر العربى الحديث فى مأساه فلسطين: ص ٣٩٠.

فی قصیده محمد العدنانی التی حملت اسم «انقضوا الهدنه»:

فهدنَه کانت علی العُرب نقمهً أضاعوا بها ما شیّدوا بالجماجمِ

ونالَ الیهودُ الجائعون مُناهُمُ وباتُوا کأن لم یُخذلوا فی الملاحمِ

لقد نکثوا عهداً ففازوا وأیسَرُوا وصاروا بفضل الختلِ مثلَ الضّراغمِ(۱)

ویقول أیضاً:

أَلا یا لیوثَ العُربِ نقضاً لهدنهٍ کنقض عصاباتِ الیهودِ الجوارمِ

ألا تَنْکأُوا ومالمَّ من جُرح قلبنا لکی تَخبُروا من بعدُ فِعلَ المراهمِ(۲)

وفی ۵ حزیران عام (۱۹۶۷ م) أشعلت إسرائیل فتیل الحرب بشنها هجوماً مباغتاً علی مطارات مصر وسوریا والأردن، واحتلالها للضفه الغربیه لنهر الأردن ومرتفعات الجولان فی الحدود السوریه وصحراء سیناء فی مصر. وفی السابع من حزیران عام (۱۹۶۷ م) سقطت القدس الغربیه بید الصهاینه وأطلق الإسرائیلیون القذائف علی الحرم الشریف، وفی ۲۸ حزیران عام (۱۹۶۷ م) ضمت إسرائیل القدس الشرقیه لها أیضاً.(۳) وفی عام (۱۹۶۸ م) هجمت القوات الإسرائیلیه علی مدینه الکرامه حیث کان یسکنها عدد من اللاجئین الفلسطینیین ودارت معرکه حامیه وجهاً لوجه مع ۳۰۰ مقاتل فلسطینی، فوقع عدد کبیر من القتلی الصهاینه وعلی أثرها تراجع الجنود الصهاینه، ورسمت هذه المقاومه الشعبیه طریقاً للنصر ومنحت أوسع دعم شعبی وحکومی عربی وإسلامی للشعب الفلسطینی، وفی عام (۱۹۷۳ م) تقدم الجیش المصری نحو صحراء سیناء وتزامناً مع هذا الاندفاع أغارت الطائرات السوریه علی إسرائیل وتم تحطیم عدد کبیر من الطائرات الصهیونیه فی الأیام الأولی لحرب

۱- (۱) دیوان اللهیب: ۹۸/۱.

۲- (۲) المصدر: ۱۰۱.

۳- (۳) کامل جمیل العسلی، القدس فی التاریخ: ص ۳۲۷ و ۳۲۸.

رمضـان وقتل الآلاف من الجنود الصـهاينه. وبالفعل تحطمت أسـطوره الجيش الـذى لا يقهر، ولكن الـدعم الأمريكى والأوروبى لإسـرائيل من جـانب وعـدم تقـديم الـدعم لمصـر وسوريا من قبل العرب والمسـلمين من جانب آخر، غيّر مجرى الحرب لصالح الصـهاينه أيضاً، وفى أوائل نيسان عام (١٩٨٧ م) عُقـد فى عمّـان مؤتمر القـاده العرب وبنحو لا سابقه له إذ لم يتخـذ المؤتمر أى موقف على صعيد النضال ضد الكيان الصهيونى. وبذلك فقد تبدّد آخر آمال الفلسطينيين الذين كانوا منذ سنوات ينتظرون الأمه العربيه والإسـلاميه أن تبادر لإنقاذهم من محنتهم، وأخـذت فكره الاعتماد على الـذات والتحرك من الـداخل والمقاومه الشـعبيه تترسـخ وتنتشـر وبهـذا تكوّنت الأرضـيه لانطلاقهٍ جديـده من المواجهه ضد الكيان الغاصب وذلك فى خريف ١٩٨٧ م مـن قبل سكان الأراضـى المحتله تحت اسم المقاومه والانتفاضه, وتعـددت أشـكالها بتغيير الظروف الـداخليه والعالميه, وكان عماد هـذه المقاومه والانتفاضه الأطفال والشباب الذين استخدموا «الحجاره» ضد الدروع والحصون والدبابات. ولم يتصور الكيان الصهيونى ومؤيّدوه بأن الانتفاضه سـتثمر وستكون مؤثره على كيان الاحتلال, ولكنها استمرت وأنهكت قوات اليهود مادياً ومعنوياً, ومن ثمّ أذعنت إسـرائيل بقوه الشـعب الفلسطينى بحيث جعلتها تنفعل وتكون مستعده للتفاوض لأنها شعرت بخطوره الأمر فأخذت ذلك بنظر الاعتبـار. وهكـذا أخـذت المقـاومه تشق طريقها إلى الأمام، وبطبيعه الحال فقـد كان من شأن هـذه الانتفاضه أن تترك أثراً كبيراً فى صفحات النتاج الأدبى ولا سيما فى مجال الشعر، ذلك لأن الأدب أسرع تأثيراً بالمعطى الحدثى.(١) فكانت النتيجه فتح باب شـعر المقاومه الذى ترنّم به مئات الشـعراء فى الوطن العربى والإسلامى كما نراه فى شعر الشاعر الفلسطينى سميح القاسم إذ يقول:

١- (١) محمد توفيق الصواف، الانتفاضه فى أدب الوطن المحتل: ص ١٢.

ربما أخمد عرياناً وجائع

يا عدوّ الشمس لكن لن أساوم

وإلى آخر نبض فى عروقى سأُقاوم.(١)

٣. لمحات من تاريخ سوريه ولبنان وفلسطين الأدبى والسياسى فى العصر الحديث

يعدّ القرن الثامن عشر نهايه لفتره الجمود والركود الأدبى والاستبداد الاجتماعى، والسياسى، وذلك بعد ما بزغت معالم النهضه العربيه فى ربوع الشام، ولا سيما فى سماء سوريا ولبنان وفلسطين فى القرنين التاسع عشر والعشرين، وكانت هذه الفتره الزمنيه فى الوقت نفسه قاسيه على شعوب المنطقه إذ كانت مليئه بالأحداث السياسيه والاجتماعيه والثقافيه إذ فيها انهارت حكومات، واندلعت ثورات، وزالت نظم، وبرزت أزمات وانقلابات، أهمها سقوط الحكم العثمانى من بلاد الشام، واشتعال الحربين العالميتين والانتداب البريطانى على فلسطين والصدامات التى حصلت بين العرب والأتراك من جهه، وبين العرب والغزاه من جهه أخرى، وقد تركت آثارها على نفوس الشعراء الذين تفاعلوا معها فبدأت أصواتهم تدّوى فى الآفاق والأنفس فكان الشعب يردّدها ويترنّم بها صباحاً ومساءً. وفى هذا الحقل من الزمن ظهر الشعر العربى الحديث فى سوريا على مسلكين ونزعتين: أولهما(٢) جنحت لرصد أحداث الأمه وأحوال الوطن، وتجلت فى الشعر الاجتماعى والقومى، والنزعه الأخرى آثرت الشعر الذاتى وتجلت فى شعر الوجدان العاطفى.

وقسّم «سامى الدهان» مضامين الشعر الحديث فى سوريه إلى ثلاثه أقسام

ص:۴۸

١- (١) سميح القاسم، الديوان: ص ۴۴۷.

٢- (٢) عمر الدقاق، تاريخ الأدب الحديث فى سوريه: ص ٣٢١.

هى: شعر الطبيعه، وشعر النضال، والشعر الاجتماعى والإنسانى،(١) ولكن كما أشرنا آنفاً أن للشعر السورى نزعاته وألوانه المتعدده إلاّ أن أقوى ألوانه هو اللّون القومى والوطنى.

فمعظم شعراء القطر السورى تجلّى عندهم الاتجاه القومى فى العصر الحديث أمثال محمد البزم (١٨٨٧–١٩٥٥ م)، وخليل مردم بك (١٨٩٥–١٩٥٩ م)، وخير الدين الزركلى (١٨٩٣–١٩٧٦ م)، وشفيق جبرى (١٨٩٨–١٩٨٠ م)، وبدوى الجبل (١٩٠٤–١٩٨١ م)، وعمر أبو ريشه (١٩١٠–١٩٩٠ م) إذ أخذت نفسه تغلى حين حلّت النكبه فقال:

أمتى، هل لك بين الأممِ منبرٌ للسيف أو للقلمِ

أتلقّاكِ وطرفى مُطْرِقٌ خَجِلاً من أمسك المنصرِمِ

ألإسرائيل تَعْلُو رايةٌ فى حِمى المَهْدِ وظلِّ الحَرَم!(٢)

وكما نشاهد الشعر القومى عند خليل مردم بك إذ ينادى صارخاً بالأمه لإنقاذ فلسطين والقدس:

بنى العروبه كم من صيحه ذهبت لو يُستثار بها الموتى إذن ثاروا

هنتم عَلَى كلِّ شعبٍ من تخاذلِكمْ شأنَ العبيدِ وباقى الناس أَحرار

إخوانُكم فى فلسطين تنالهُمُ بالسوءِ والعسْفِ أَنْيابٌ وأَظْفارُ

مَهد المسيح ومعراج النبى وأو لو يُستثار بها الموتى إذن ثاروا

وأمّا فى لبنان فقد انصرف جُلّ شعر ائه نحو هموم وغايات أخرى لأن الظاهره الشعريه الحديثه فى القطر اللبنانى شأنها كشأن البلاد الأخرى قد تفاعلت مع ظروف عصرها واستجابت لها، لأنها مقيّده بحكم انتمائها إلى

١- (١) سامى الدهان، الشعر العربى الحديث فى الإقليم السورى: ص ٩-٢٧.

٢- (٢) الديوان: ٤٧/١-٤٨.

بيئتها وظروفها الاجتماعيه والسياسيه والثقافيه، ولـذا نرى الصـبغه التربويه والثقافيه تركت أثرها فى الشـعر اللبنانى أكثر من غيرها فى العصـر الحـديث. ولعلهـا نـاتجه من التبادل بين الثقافتين والأدبين العربى - الإسـلامى مع الشـعوب الأخرى إذ وجـد فى لبنان الأبواب مفتوحه على مصـراعيها، ولكن فى الآونه الأخيره ولا سـيما بعد الاجتياح الصـهيونى أخذ مضمون شعر النضال والمقاومه والشعر الحماسى يتغلب على غيره.

كما نشاهده فى شعر عفيف النابلسى وهو يخاطب عشّاق القدس إذيقول:

يا عاشق القدس قم للقدس إنّ لها حقّاً علينا أتى من سالف الزمن

وخلّص القدس والأقداس من نجس وطهّر المسجد الأقصى من الفتن(١)

وأمّا فلسـطين فقد اشتركت مع شقيقتيها سوريه ولبنان وسار الشعر فيها الاتجاه نفسه إلى إبان الحرب العالميه الأولى، ولكن بعدما تبلـور الخطر الصـهيونى تغيّر موقـف أبنـاء فلسـطين بمـا فيهم الشـعراء وأخـذوا يتجهـون إلى التعـبير عن خطوره الموقف، وتوعيه الشـعب واسـتنهاضه وقـد كـان هـذا أهمّ مـا اسـتولى على الإنتاج الشـعرى منـذ عصـر الانتـداب، وحتى هـذه اللحظه فإنّ الشـعب الفلسـطينى بعـد نكبته الكبرى جنّـد كل ما يملك من الوسائل خصوصاً الأدبيه منها لمأساه القـدس وفلسـطين التى هزّت المشاعر وأثارت العواطف وفتحت للشـعر آفاقاً وأبواباً كانت مغلقه وأبدعت موضوعات لم توجد من قبل، فأصـبح الشعر من أقوى أسلحه الـدفاع وسـخّر الشـعراء أقلامـهم لتحرق بنـار كلماتها الغزاه وتقاوم المحتل الغاصب، وفى مختلف الظروف حيث نشاهـد محمود درويش يرسل شعره الثورى وأصوات

ص:٥٠

١- (١) عفيف النابلسى، نفحات عامليه: ص ۶.

أغلال السجن الصهيونى تمتزج مع صوته النضالى إذ يقول:

من آخر السجن، طارت كفُّ أشعارى تشد أيدَيكُمْ ريحاً على النّارِ

مذ جئتُ أدفع مهر الحرف، ماارتفعتْ غيرُ النجوم على أسلاك أسوارى(١)

وقد تمثلت فى الحياه الشعريه الفلسطينيه جميع الاتجاهات والنزعات ولا سيما الاتجاه القومى والوطنى والنضالى والحماسى وشارك شعراء الأرض المحتله شعبهم وأمّتهم، بوعى وإدراك ووضوح هدف، وواكبوا الأحداث القائمه وصوّروها فى أحسن تصوير.

وفى الحقيقه منذ حلّت نكبه فلسطين عام (١٩٤٨ م) دخلت حياه العرب بل الأمه الإسلاميه برمّتها فى إطار خاص وأصبح الشعر معبّراً عن العصر وأحداثه وما ألمَّ بالأمه العربيه والإسلاميه من فواجع ونكبات فى مختلف الشؤون، وما نلاحظه من خصوصيات للشعر السورى واللبنانى والفلسطينى ما هى إلاّ انعكاس لتلك الحوادث وتلك الجريمه التى ارتكبها الاستعمار والصهيونيه لإباده شعب أعزل واغتصاب وطنه لجعلها وطناً لخليط من الصهاينه غرباء عنه. وبالفعل استطاع الشعر السورى واللبنانى والفلسطينى أن يبث الوعى، ويفضح العدو، ويحرك عزائم الشعب العربى، ويكشف عن النوايا الخبيثه للأعداء، ويشق طريق النضال، ومواجهه الاستعمار بالتعبيرالصادق الذى لازم المدفع والرشاش فى كثير من المواقف، ونأمل أن نكون فى هذا التمهيد الوجيز قد مهّدنا لموضوعنا الرئيس ألا وهو القدس فى الشعر العربى الحديث من النكبه عام (١٩٤٨ م) حتى عام (٢٠٠٠ م). وعليه نتوكل وبه نستعين.

١- (١) الديوان: ١٠٢/١.

الباب الأول: دواعی شعرالقدس واتجاهاته

اشاره

ص:۵۳

تمهيد

فى الباب الأول من هـذه الـدراسه نعرض لـدواعى واتجاهات شـعر القـدس فى سوريه ولبنان وفلسـطين منـذ عام ألف وتسـعمائه وثمانيه وأربعين (١٩٤٨ م) وحتى نهايه عام الألفين (٢٠٠٠ م).

وقد بدا لى أن أقسّم هذا الباب إلى ثلاثه فصول نبحث فى كل فصل منها اتجاهاً من اتجاهات شعر القدس ودواعيه وهى:

١. الدواعى والاتجاهات العربيه.

٢. الدواعى والاتجاهات الإسلاميه

٣. الدواعى والاتجاهات السياسيه.

وقـد تضـمّن كل من هذه الاتجاهات أبرز المحاور التى تمحورت فيها، وتناولها روّاد شـعر القدس فى الفتره الآنفه الذكر، ولعلها هى الأسـاس فى الخطـاب الشـعرى حيث دار حولهـا شـعر القـدس وركّز عليهـا شـعراؤه، ولقـد اخترنـا أفضل النصوص والنماذج الشعريه التى تعكس مأساه القدس وتعالجها بالشكل المناسب وتضع الحلول وتحدد الفعل الذى يجب أن يُمارس من

أجل تحرير القدس من مخالب الصهيونيه العالميه وإحراز النصر المؤزّر. هذا وسنقف عند كل اتجاه ومحور منه لنرى كيف صور شعراء الأقطار الثلاثه القدس وكيف ظهرت فى قصائدهم ومدى تأثير الأحداث التاريخيه فى شعر القدس وأثر الشعر فى هذه الأحداث أيضاً كى تتضح قدره الشعر ومساهمته فى استنهاض الشعب بل الأمه لإعاده الحق والتضحيه من أجله.

ص:۵۶

١. شعر القدس، الدواعی والاتجاهات العربیه

إيقاظ الوجدان القومی

اشاره

ملامح النكبه:

لا نبالغ حينما نقول: إن شـعراء سوريا ولبنان وفلسطين وأدباءها كانوا الأكثر يقظةً وإحساساً بخطر الصهيونيه ومشروعها الذی شاع وذاع فی الثلاثينيات وبدايه الأربعينيات، وهذا يلمسه المتابع لقصائد هؤلاء كما فی قصـيده خير الدين الزركلی (فلسطين - ١٩٣٠ م) إذ دعا العرب فيها لكی يهبّوا ويلبّوا نداء فلسطين التی راحت تشهق وتئنُّ من شده ما نالها من حيف وظلم قائلًا:

صرختْ فلسطين الكليمهُ صرخهً تشكو ظُلاَمَتَها فسالَ عقيقُها

هی شَهقهٌ حملتْ مآسی أُمّهٍ بِسنا الأَسنّهِ قدأُجيبَ شهيقُها(١)

واستبشـر الشاعر محيی الدين الحاج عيسی فی قصيدته (المؤتمر الإسلامی - ١٩٣٢ م) بالمؤتمرين لدراسه وضع فلسطين وليشكو لهم ماحلَّ بها من معاناهٍ قائلًا:

١- (١) الديوان: ص ٢٣٥.

فلسطينُ ذاقتْ صنوفَ الأذى وكاد البراق بها يذهبُ

وأضْحَتْ على ضَعْفِها سِلْعَةً تباعُ وتُشْرى وتُستَوْهَبُ

فيا قاده الشرق هذا الحمى إليكم جميعاً غَداً يُنسَبُ

فَصُونُوهُ حتى يُصانَ البُراقُ ويَرضى الذى دارُهُ يَثْربُ(١)

وقد أحسّ الشهيد عبد الرحيم محمود بالكارثه قبل أن تقع وذلك من خلال تتبعه لمجريات الأحداث التى تعصف بفلسطين وعلى رأسها غفله أصحابها والعمل الدؤوب لأعدائها، إذ يطلق صرختهُ المدوّيه الممزوجه بمراره الشكوى والإحباط مخاطباً الأمير سعود بن عبد العزيز الذى جاء يزور القدس حينذاك:

ياذا الأمير أمامَ عينك شاعرٌ ضُمَّتْ على الشكوى المريرةُ أضلعُهْ

المسجد الأقصى أجئت تزورهُ أم جئت من قبل الضياع تُوّدعُهْ(٢)

وأمَّا الشاعر بدر الدين الحامد فقد دعا الأمه العربيه لمداواه الجرح الفلسطينى ومعالجه الواقعه قبل استفحالها لافتاً الأنظار لمأساه الشعب الفلسطينى السليب محاوله منه لإيقاظ الوجدان فى قصيدته (وفد الأمه – ١٩٣٦ م) حين يقول:

هذى فلسطين الشهيده تصطلى نار الوعيد

يرمونها بالعدَّه الصّماء ظلماً والعديدْ

كم من فتاةٍ رُوّعتْ برصاصهم كم من وليدْ

إخواننا وبلادنا يجتاحها الباغى الشريدْ

ويل لهم من غاره عربيه تفرى الحديد(٣)

١- (١) محيى الدين الحاج عيسى، من فلسطين وإليها: ص ١٧.

٢- (٢) عبد الرحيم محمود، ديوانه: ص ١١٣.

٣- (٣) بدر الدين الحامد، ديوانه: ص ١٨٠.

وقـد اعتبر وديع البسـتانى الجـامعه العربيه فكره فارغه من المحتوى، إذ كيف تكون جامعه يراد بها الحفاظ على الحياض والـذود عن الحمى وهى لم تعالـج عـدوّاً انتهك قلب الحمى وعَـدا عليه، وهـذا بعد ما لاحظ الشاعر أن الجامعه لم تورد القدس فى بنود قراراتها الرئيسه عام ألف وتسعمائه وخمسه وأربعين قائلًا:

أجامعةٌ وما للقدس فيها سوى الذيل المعلّق بالبنودِ

وما معنى العروبه فى حماها وفى قلب الحمى وطنُ اليهودِ(١)

وبناءً على هـذا يرى عمر الـدقاق أن ملامـح المأساه كانت واضـحه لدى الكثيرين من أدباء العرب فى العديد من أقطارهم خلال فتره مابين الحربين، حين كان شـبح النكبه ماثلًا بوجهه الكالح لدى الأدباء الذين استشعروا الخطر قبل ساستها وزعمائها(٢). ومع اندلاع النكبه ازداد التزام الأدب عامه والشـعر خاصه بالقضـيه الفلسـطينيه، حتى بات الأدب كُلُّه أدباً فلسـطينياً(٣) وبعد ما فجّرت كـارثه القـدس وفلسـطين قرائـح شـعراء بلاـد الشـام، حتى أصـبح صـراخهم شـعراً منظومـاً، وآلامهم نثراً مسـجّعاً ألهب العواطف الجيّاشه، وأثار المشاعر الوجـدانيه، وأشـعل نيران القوميه العربيه وهزّها هزّاً عنيفاً، امتزج حب الوطن والأهل والـدين وكوّن إنساناً قـد تصـل الحـاله به إلى أن لاـ يرى إلاّـ وطنه وقوميته وقيمه - حسب تعـبيرهم - فكيف به إذا رأى نفسه مشـرَّداً منكوبـاً، سـليب الوطن، قتيـل الأهل، وحاضـره مظلماً من جانبٍ، ويحمل أملًا قوياً لمسـتقبله المشـرق من جانبٍ آخر، وغيرها من الـدواعى حيث دفعت شعراء القدس إلى الفكر والاتجاه القومى العربى فى سبيل أن يقوم هذا الاتجاه

١- (١) وديع البستانى، ديوان الفلسطينيات: ص ٨١.

٢- (٢) عمر الدقاق، فنون الأدب المعاصر فى سوريه: ص ٣٦١.

٣- (٣) حنا عبّود، النزوحات الكبرى ومعالم الأدب العربى: ص ٢١.

لعلاج مأساه القدس وتقليص أزمتها وتحريرها من براثن الاحتلال الصهيونی عن الطريق القومی العربی، إذ أرض فلسطين هی بقعه من الوطن العربی، وأبناؤه أولی من غيرهم فی شد الحزام لتحريره، إذ يری هذا الاتجاه العرب أمه واحده ويؤكد استطاعتها لاسترجاع ما أُخذ منها إذا ما وحّدت الأمه العربيه صفوفها وكرّست طاقاتها لخدمه الأمه والوطن. ولقد كان وما زال لشعراء هذا الاتجاه دور عظيم فی إيقاظ الوجدان القومی العربی وشحذ العزائم، وتصعيد الهمم، وبث الوعی الثوری، واستثاره الحماسه والنخوه فی النفوس الأبيّه، والدعوه إلی النضال ومواجهه الاستعمار والاحتلال الغاشم، وبالفعل فقد تبلور هذا الجهد من الشعراء فی انتفاضات شعبيه قوميه عديده، بعد نكبه فلسطين عام (۱۹۴۸ م).

۱. القدس وخطاب الأربعينيات

من يتصفّح ديوان شعر الاتجاه القومی العربی يجده منغمساً فی برك الدم العربی الموّاج وذلك من أجل القدس والتحرير والحريه، إيماناً عميقاً من أصحابه برسالتهم المجيده. وانطلاقاً من هذه القناعه جاءت اهتمامات الشاعر عبد الله يوركی حلاق بالقضايا القوميه حيث رأی هزيمه الصهاينه قدراً لا مفرّ منه، وذلك لأنه يعلم من قومه العرب أنهم أباه ضيمٍ لايذعنون للغاصبين المحتلين سيما إذا كان الاحتلال لأرض عزيزه عليهم ومقدّسه عندهم، متوعّداً الصهيونيه بالهزيمه علی يد العرب لا غيرهم، إذ أنّهم لبالمرصاد وسوف يهزم العدو من القدس أرض محمد صلی الله عليه و آله وأرض عيسی عليه السلام، حيث يقول فی قصيدته (الهدنه - ۱۹۴۸ م):

صهيونُ مهلًا لا تَتيهی بالّذی أحْرزْتِهِ فالْعُرْبُ بالمرصادِ

لم يُذعنِ العربُ الأباهُ لغاصبٍ باغٍ، ولا صبروا علی استبدادِ

ص:۶۰

المسجدُ الأقصى لآل محمدٍ ولآل عيسى مهدُ عيسى الفادى

وطنٌ عزيزٌ نحن أُسدُ عرينِه ونذودُ عنهُ بعزَّه الآساد(١)

وهكـذا يرى الشاعر على دمّر فى قصـيدته (الفراش الأحمق – ١٩٤٨ م)، هزيمه الصـهاينه أمراً مؤكـداً على يد جيش الأمه العربيه بعد توكّلهم على الله سبحانه ويطرب لزحفهم نحو القدس جاعلاً النهار ليلاً فى عيون فلول الصهاينه الغزاه صارخاً:

لابُدَّ من يوم نُثيرُ قتامه

حتى يصيرُ الكون ليلًا أسْحما

تهتزُّ للهول السهولُ تَذمُّرا

وتنوح للخوف الجبالُ تألُّما

وترى جيوش العُرب زاحفةً إلى

قلب العروبه كالجراد إذا نما

يَشدُون باسم الله فى هَيْجائهم

الله أكبر ما أشدَّ وأعظما

يوم كيوم القدس من أجدادنا

لما أحاطوها حصاراً محكما

ويح اليهود إذا مشينا نحوهم

كالليل يزحف فى السماء مُخيّما(٢)

وأمَّا الشاعر الفلسـطينى حسن البحيرى فقد نظم قصـيدته (فلسطين – ١٩٤٨ م) بعـد النكبه التى هالته وأذهلته إذ كيف يصـدّق أن تصبح القدس عاصمه ومركز حكمٍ للكيان الغاصب اللقيط، وهناك من الأمه العربيه

١– (١) عبد الله يوركى الحلاق، حصاد الذكريات: ص ٥٨.

٢– (٢) على دمّر، ديوانه: ص ١٠٢.

إنسان واحد حين يقول وقلبه يتلظى ويكتوى بنار القدس:

يا وَيح مَنْ جاورتْ أرضى عروشهُمُ وغُصْنُهُم فى رياض الصَّفْو وسنانُ

أ أغتدى بهَوى إسرائيلَ دارَ مُنًى له بمَقْدِسِها تاجٌ وإيوانُ

ويُهْدَمُ المسجدُ الأقصى وصخرتُهُ وفى الوَرَى مِنْ بقايا العُرْب إنسانُ(١)

نعم، فاجعه القدس أدمت القلوب، وبدّلت الأعيادَ أحزاناً لعظيم ماحلَّ بالنفوس إذ جعلها تكتوى وتشتوى بشماته الأعداء، فها هو ذا عمر أبو ريشه اهتزت مشاعره وامتزج دمُ قلبه بشعره متذكراً المتنبى، فى قصيدته (يا عيد - ١٩٤٩ م) حينما أطلَّ عليه أوّل عيد النكبه، لكن الشاعر لم يدع هول النكبه يمسح الآمال المكتوبه فى قلبه بحروف العزم ورفض الذله والضيم.

يا عيدُ كم فى روابى القدس من كبدٍ لها على الرفرف العلوىّ تعييدُ

سالتْ على الغر إرواءً لغصّته والعز عند أباه الضيم معبودُ

هيهات لن يشتكى ما طُلَّ من دمها فالحقدُ مضطرمٌ والعزمُ مشدودُ

سينجلى ليلُنا عن فجر معتركٍ ونحن فى فمه المشبوب تغريدُ(٢)

٢. خطاب الخمسينيات

من الأصوات الشعريه التى حاولت إيقاظ الوجدان القومى العربى لتحريض الأمه العربيه لتحرير القدس، لا ترى لها عيداً سعيداً فى ظل الاحتلال الصهيونى مشيرةً إلى الفجائع الداميه التى ارتكبها الغزاه ولم تترك أحداً يشعر بحلاوه الحياه ولذه العيش فى وطنه، صوت سليمان العيسى فى قصيدته (نحن والعيد - ١٩٥١ م) إذ عكس حزنه لما حلَّ بالقدس قائلًا:

ص:٦٢

١- (١) حسن البحيرى، الأنهر الظمأى: ص ١٠٣.

٢- (٢) عمر أبو ريشه، ديوانه: ١٠١/١.

أيُّ عيدٍ أتلقَّاه وأغدو مَرحاً أزهو على الكونِ وأشدو؟

وبلادى ألفُ جُرْحٍ يستبِدُّ وثَرى القدس دمٌ ماجَفَّ بعدُ

أيُّ عيدٍ أتلقَّاه رغيد؟ وعدوّى مُدْيةٌ فوقَ وريدى؟(١)

وأمّا يوسف الخطيب فى قصيدته (العيد يأتى غداً - ١٩٥٥ م) فعطف أنظار الأمه العربيه إلى مأساه الاحتلال والنكبه وما خلّفته من جراحاتٍ بليغه فى جسد الأمه، مناشداً الوجدان والضمائر الحيه باسم اليتامى الصغار أن تترك الأفراح والاحتفالات وتسارع لتحرير القدس إذ لا معنى للأعياد والقدس مكبله بيد الأعداء إذ يقول:

باسم أيتامنا الصغار يحومو نَ على العيش كالفراش الحائرْ

فِيمَ أعيادنا، وفيمَ الأهازى - - جُ وحشْدُ الآلاف حول المنابر!

أَيُغَنّى أنشودةَ النصر مهزو مٌ ويُذكى الحماس تهريجُ شاعرْ

مالنا والفخار، والقدس تدعو نا فهل حَرَّكت حَميَّةَ ثائرْ(٢)

يظهر مما مرّ أن قصائد هذا العقد من الزمن جاءت فى صور زفرات مُرّه مكتوبةً بنار المصيبه التى حلّت بالقدس مصطليه مغتليه بها، يعلو صوت الحزن والأسى منها، مستنجدةً بالصغير والكبير تخاطب وجدان الأمه العربيه تاره ووجدان الأنظمه تاره أخرى، يغلب عليها اليأس وخيبه الأمل فى يومٍ وتستبشر بالنصر والظفر فى اليوم الآخر، وهذا نشاهده أيضاً فى قصيده الشاعر عبد المنعم الرفاعى (ثوره العرب - ١٩٥٨ م)(٣) وقصيده الشاعر حسن البحيرى (الأنهر الظمأى - ١٩٥٨ م)(٤) وقصيده الشاعر محمد العدنانى (الجمهوريه العربيه

١- (١) سليمان العيسى، الأعمال الشعريه: ١١٣/١.

٢- (٢) يوسف الخطيب، العيون الظمأى للنور: ص ٨٦.

٣- (٣) عبد المنعم الرفاعى، المسافر: ص ٥٣.

٤- (٤) حسن البحيرى، الأنهر الظمأى: ص ٧٩.

المتحده – ۱۹۵۸ م) حیث یری القدس مرتدیه ملابسها الجدیده بعدما حررتها العرب ویدوّی فی مآذنها آذان الصلوات وتکبیرات النصر وتسمع من کنائسها نواقیس العباده والأفراح یقول فیها:

ونستردّ فلسطیناً یُؤازرُنا نصرٌ من الله یجلو الشکَّ والرِّیبا

وتلبسُ القدسُ قلبُ العُرب مُشرِقَةً من بعدِ لَیْل الأسی أثوابُها القُشُبا

ویضحکُ المسجدُ الأقصی وصخرتُهُ وقُبَّهٌ فوقَها قد بَزَّتِ القُبَبا

الله أکبرُ إن دَوَّت مآذنُهُ بها أَصاخ إلیها الدهرُ وانجذبا

وللنواقیسِ لحنٌ فی کنائِسها سَیَتْرُکُ اللُّبَّ لُبَّ الکونِ مُسْتَلَبا(۱)

۳. الستینیات ونکسه حزیران

مرت سنون ودخلت المأساه فی عقد الستینیات والحزن والألم اللّذان یعصران قلب الشاعر عبد الله یورکی الحلاق منذ النکبه إذ نجده صارخاً صرخهً قویَّهً منبعثهً من أعماقه الجریحه علَّها تهزُّ القلوب المتحجره وتصحو تلک الضمائر الخامده التی مازالت صمّاء ولم تسمع الصرخات الموجعه المستنجده متجاهله القدس وما فیها من الأماکن المقدسه، مُذکِّراً بالعروبه تاره وداعیاً إلی الوحده القومیه تاره أخری قائلًا فی قصیدته (طفل فلسطینی ثائر – ۱۹۶۳ م):

دمُنا یصرخُ فی أعماقِنا مالکم فی صمَمٍ عن عَتَبی

یا أُباهَ الضیمِ، قد طالَ المدی واستبدَّ الشوقُ بالحرِّ الأبی

بیتُ لحمٍ وُلِدَ الفادی بها وجبالُ القُدسِ معراجُ النبی

أو نرضی أن نراها مسْرحاً للبغایا وعبیدِ الذَّهبِ(۲)

۱- (۱) محمد العدنانی، العدنانیات: ۱۸/۲.

۲- (۲) عبد الله یورکی الحلاق، حصاد الذکریات: ص ۱۹۱-۱۹۲.

ثم يخاطب الوجدان العربى على لسان أطفال فلسطين بعدما أصبحوا كباراً وأخذوا بالأسئله عن أوطانهم، عن حيفا ويافا والقدس و.... وعن سبب ضياعها وعن النضال والجيوش العربيه معلّقين كل آمالهم على الغد المرتقب متفائلًا بالنصر المحتَّم قائلًا:

رُبَّ طفلٍ صاحَ من أعماقِهِ أينَ حيفا؟ أينَ يافا؟ يا أبى

أينَ سهلُ اللد؟ هل يُرْجِعُهُ جيشُنا يومَ النضالِ الأشيبِ

أينَ تُربُ القدسِ، هل تلثمُه شفتى فى غدِنا المرتقَب؟(۱)

كان الكل يرتقب زحف جيوش الأمه العربيه ويعدّ الثوانى للنصر المؤزّر وهزيمه المتآمرين والغزاه الصهاينه إذ النصر دائماً حليف المظلوم مهما كان الظالم متغطرساً ومهما كانت قدرته، وكل الشعوب العربيه كانت واثقه بالنتيجه بعد ما تبسم الفجر أمام أعينها ورأت جحافل جيوش التحرير تتجه نحو القدس وإذا بهزيمه حزيران (۱۹۶۷ م) يسدُّ ظلامها الآفاق ويرتدُّ طرف الناظرين باكياً أرمداً من هول الهزيمه التى حلت به، لكن تيار إيقاظ الوجدان القومى لم يستسلم لليأس ويستكين للخيبه مادامت الضمائر فيها وميض للثوره، ولعلَّ فى الهزيمه عبرةً، لذا نرى صرخه الشاعر حسن البحيرى مدوّيه فى قصيدته (يا أمتى لن تُقهرى – ۱۹۶۷ م) يقول:

اغضَبْ وَفَجِّرْ فى حنايا الصَّدْرِ بُرْكانَ الغضبْ

اغضَبْ وَخُضْ ساح القتالِ وأنتَ أمضى من لَهَبْ

اغضَبْ وقل: قدرى على صفحات أيامى كَتَبْ

حَقّى وأفراح الحياهِ، وكلُّ أمجادِ الحقب

فى القدس فى أرضى الحبيبه فى فلسطين العربْ(۲)

۱– (۱) المصدر: ص ۱۹۳.

۲– (۲) حسن البحيرى، الأنهر الظمأى: ص ۱۴۳.

ومن هـذا المنطلق، أي: العثره لاـ تعنى الهزيمه، فلكـل صـارم نبوه نرى الشـاعر زكى قنصـل يُحرّك الوجـدان القومى العربى فى قصيدته (كفاح وأمل – ١٩٦٧ م) يصرخُ قائلًا:

لم يَمُتْ قومى ولا ضاعَ الأملْ كَبْوةُ الفارس لا تعنى الفَشَلْ

يا بنى أمِّى استعدُّوا لِغَدٍ عُدَّهُ العيش كفاحٌ وأَمَلْ

إن للعود بكفِّى مؤمن هَيْبهُ السيفِ تحاشاه الأَجَلْ

لم نَزَلْ فى أول الدرب فلا يُثننا عنه قُنوط أو كَلَلْ

لا نَثِقْ إلّا بإمكاناتنا أخسرُ الناس على الناس اتكَلْ

لن تُردَّ القدسُ إلا بالوغى تتهادى بالمواضى والأسلْ(١)

ومن نمط هذا الشعر أيضاً خطاب الشاعر عبد الله يوركى الحلّاق فى قصيدته (ذكرى أورخان – ١٩٦٨ م) قائلًا:

وقُمْ إلى الزّهر نقطفْهُ لتنسجَهُ حِساننا الغيدُ أكفاناً لموتانا

وسِرْ إلى المسجد الأقصى لِننقِذَهُ من الطغاه فيومُ الثأر قدْ حانا(٢)

ولكن الشاعر عبد المنعم الرفاعى عكف على نفسه يكتوى بنار الحزن ويتأوه لما رأى وشـعر بثوره باطنه، وهذا ظاهرٌ من قصـيدته (عام – ١٩٦٧ م) إذ يقول:

وأَمدُّ السَّمْعَ فى الأفق فما غيرُ هَمس وبقايا عُنفوانِ

وظلال ذابلات حولَنا مِنْ شَذى القُدْس وَريّا عَسْقلانِ

والتُّقى فى المسجد الأقصى خَبا فإذا التنزيلُ يرثى للأذانِ

وَشكاه باحَت البلوى بها بَيْنَ أشباه خيام ومبانى

وأنا وحدى أدارى فى الدّجى ثورةً شَمَّا تدوِّى فى كيانى(٣)

١- (١) زكى قنصل، الأعمال الكامله: ١٠٠/١.

٢- (٢) عبد الله يوركى الحلاق، ديوان عصير الحرمان: ص ٢٠٦.

٣- (٣) عبد المنعم الرفاعى، ديوانه المسافر: ص ١٠٣.

۴. خطاب السبعينيات

فی هـذا العقد أخذ خطاب إیقاظ الوجدان القومی نوعاً من الحدّه والشدّه عند جلّ شـعراء القدس کما نشاهده لدی الشاعره هند هارون فی قصیدتها (عوده تشرین – ۱۹۷۴ م) إذ تحثّ علی القتال والنضال حتی ولو انجر إلی الشهاده فهو السبیل الوحید لتحریر القـدس، وإنّ وصـمه الخزی والعـار التی ألحقتها هزیمه نکسه حزیران لا یمکن تطهیرها وغسـلها إلّا بنهر دماء النضال والتضـحیه لکی یتسنّی العیش والحیاه بکرامه أو الموت بعزه، وکأنها تریـد أن تشـیر إلی کلام الإمام الحسـین بن علی علیه السـلام «لا أری الموت إلا سعاده والحیاه مع الظالمین إلا برما» قائلهً:

لا تغیبی.. یا أمانی العرب.. عن غالی روانا

واستحمی.. بنمیر.. منه أطیاب.. ثرانا..

واغسلی الأحزان.. فی نهرٍ.. غزیر.. من دمانا

واقطفی.. من بارق النجم.. زهوراً.. من عُلانا.

قد نذرنا النفس.. أن نحیا.. کراماً.. فی ربانا

سوف نصلیها.. سعیراً.. سوف نغزو.. من غزانا.

عزَّت القدس.. علی الباغین.. لا تبغی سوانا(۱)

وقریب من هذا المضمون صوت الشاعر سلیمان العیسی فی قصیدته (یابْنَ الصخور البیض – ۱۹۷۴ م) قائلًا:

الفارس العربیُّ.. تُنْبِتُهُ فی القدس ریحُ الموت، فی النَّقَب

فی کُلِّ سُنْبُلَهٍ مُضَرَّجَهٍ بدم الفلسطینیِّ، باللَّهَب(۲)

۱– (۱) هند هارون، مسار المعبد: ص ۶۸.

۲– (۲) الأعمال الشعریه: ۱۵۹/۱.

ومن الأصوات الشعريه التى ظلّت تحرّض الوجدان القومى العربى وتحثّه على الزحف وحمل السلاح لتحرير القدس الشريف، صوت الشاعر ناصر الخورى فى قصيدته (تشرين – فى السبعينيات) إذ يرى عمليه التحرير باتت حتميه ولن يتوانى أبناء الأمه العربيه، المسلمون منهم والمسيحيون لحظه واحده وسيجرف بحرها الموّاج المحتلَّ الغاصبَ وتبقى القدس شامخةً إذ يقول:

قَدَرٌ قد خطَّه الله علينا وسنمشى دربه عمّاً وخالا

ويميناً ما تركنا الساح حتى ترجع القدس صليباً وهلالا

أمتى والزحف سيف يتلالا خطَّ فى الميدان للعرب المقالا

زحْفُنا بحر وموج غاضب فافسحوا للبحر فى الساح المجالا

لن ينالوا البغى منّا ما صنعنا هُ بفخرٍ للعلا – لا لن ينالا(١)

ويستمر الاغتصاب وتستمر الحرقه والحزن فى قلب الشاعر حنا جاسر فى قصيدته (هنا كان شعبٌ!.. – ١٩٧٧ م) حيث استمر بنفخ العزم فى الصدور وإيقاظ الوجدان علَّ الثمر يحين قطافه متفائلًا ببزوغ النصر مهما كان عمق الجراح، مادامت أمتنا العربيه أمه واحده ولا فرق بين بلاد الشام والعراق ولبنان... إذ الحدود بينهما هى حدود مصطنعه أوجدها الاستعمار وأقرّه من يدور فى فلكه إذ يقول:

سيبزغ فجر النصر يا بنت أمتّى وينتشر الوعىُ الكبير بأرضها

فإن عراق الشام، شامُ عراقهِ وقدس رُبى لبنان، لبنان قدسها؟!

وإنّ طريق الثار بانت جليّةً أيفهمها الحكّامُ؟ أم عزّ فهمُها؟!(٢)

أمّا نجيب جمال الدين، الشاعر اللبنانى فقد وجّه أصابع اللوم إلى الوجدان القومى لبعض زعماء وحكّام الأمه العربيه وصبَّ جام غضبه عليهم

١– (١) ناصر الخورى، سنابل: ص ١٠.

٢– (٢) حنا جاسر، أمه وجراح: ص ١٠٦.

إذ لو أعـانوا الأمه ولو بالبترول واستعملوه كسـلاح بوجه الصـهيونيه ومن حـذا حـذوهم لأصـبح العـدو ضـعيفاً وانهار أمام أبطال العرب والإسـلام الـذين لاـ يرهبون الموت، بـل ترى الموت يرهبهم إذا وثبوا وهبّوا لتحرير القـدس الصامـده، وهـذه رؤيه الشاعر تنسـجم مع رُؤى الكثير من أبناء العالم العربى والإسـلامى ترى فيها سبيلاً لخلاص القدس، وهو يشـير إلى الشام ويخُصّها بالذكر لأنَّها كانت وماتزال تُذَكّر الأمه بالقدس وتعمل لأجلها متحملةً كلَّ الضرائب إذ يقول فى قصيدته (أحِبُّها.. الشام – ١٩٧٩ م).

كُلُّ الصّواريخ ما كانَتْ مُجنَّحَةً

ولا هَوَتْ عاصفاً

يَستأصل العَصَبا

لولا أصابِعُكَ السَّوداءُ

حانيَةً على البَراميلِ

تُحْصِى العرض والطَّلَبا

لَوْ بائِعُ الزيتِ

وَفَّى بعضَ ذمَّتِهِ إلى دمٍ مِنْ هُنا..

أعلى لَهُ الرُّتَبا

أْو باعَنا زَيْتَهُ فى سِعْرِ عِزَّتِهِ

أولا.. أمَّل المُنى

عَنْ غيرنا حَجَبا

لأَنْقَذَ القُدْسَ جُنْدٌ فى الشَّامِ

مَضوا، لَو واثبوا الموتَ

أَقْعى الْمَوْتُ مُرْتَعِبا(١)

ص:٦٩

١– (١) نجيب جمال الدين، قصائد إلى عاصمه المدن الشرقيه: ص ١٧٩.

٥. القدس فی الثمانینیات

النصوص الشعریه التی تعکس الاتجاهات القومیه العربیه ودواعیها الوجدانی فی هذا العقد من الزمن کثیره جدّاً ولا سیما تلک التی أُبدعت بعد الانتفاضه فی الثمانینات واندلاع ثوره الحجاره والمواجهات المسلحه البطولیه التی أخذت تتوسع فی الأراضی المحتله بعد ما أثبتت بأنها قادره علی مقاومه الاحتلال وقلع براثنه مهما امتلک من أسلحه وأدوات عسکریه متفوّقه. ولعل النماذج الشعریه التی حاولنا الإشاره إلیها خیر دلیل علی الحقیقه التی ألمحنا إلیها قبل سطور، کما نشاهد بأن الشاعر فی هذه الفتره لم یکن مقاتلاً ـ بالکلمه الفنّیه فحسب بل تحوّل إلی مقاتل یحمل البندقیه والقلم معاً لیسطّر أروع البطولات وأخلدها فی الشعر المقدسی ویسجّل ملحمه تاریخیه حازت علی الإکبار والثناء. ولعلّ أبرز ما لاحظناه فی قصائد شعراء هذه الفتره هو نوع یأس من الوجدان القومی العربی، لشعراء بُحّت أصواتهم وکانت النتیجه الملاحظه فی کل ما مرّ هو لقلقه اللسان فقط، إذ لم یثمر إیقاظ الوجدان الثمر المطلوب؛ ولذا ومن هنا بدأ خطاب شعر القدس یتوجّه للذات الفلسطینیه کما یظهر من الشاعر هارون هاشم رشید فی قصیدته(١) (یا شاعری لاتقبل العزاء – ١٩٨٢ م) یقول فیها:

نزارُ

إنَّ الشِّعرَ هذا الیومَ

یَسْتَقِیلْ

یُلَمْلِمُ الأوراقَ کُلَّها

وَیُوقِفُ الهَدیلْ

یَنْسَحِبُ اللَّحظَهَ مِنْ ساحَتِهِ

ص:٧٠

١- (١) هذه القصیده قدمت کباقه حزن إلی نزار قبانی.

ويُعْلنُ الرَّحيلْ

لأنَّ أمَّةً كهذه

لا تَسْتَحقّهُ فى عَصْرها الذَّليلْ

لأنَّها كَمَا تَرى،

مَشغُولةً عن حقِّها النبيل

مشغولةً عَنْ شَعْبِنا الأصِيلْ،

فى القُدْسِ

فى غزَّةَ فى الخَليلْ

فى اللِّدّ فى عَكّاءَ فى الجَليلْ

مشغولَه عنهُ،

وعَنْ صِراعِه الطَّويل(١)

وتراجع تيار القوميه العربيه أيضاً لدى الشاعر عزران حجازى كما نشاهده فى قصيدته (فداءً للقدس – فى الثمانينيات) إذ فقد شعور الثقه بوجدان الأمه العربيه لما عرض لها من غفله، وتفكك، وانشغال فى سفاسف الأمور، والاختلافات بين العرب ممّا زاد فى تراخيها عن قضيه القدس، ويرى الشاعر أن الحل الوحيد لتحرير الأرض المقدسه هو توحيد الصفوف والعزيمه الفولاذيّه فقط لا الخطب والتهديدات التى لاتتعدى الألفاظ، حيث يقول:

يا أُمَّةً مشغولةً عَنْ عِرْضِها بمَظاهر الألقاب والأَسماء

لنْ يرجعَ الأقصى بنَظْم قصيدهٍ أَوْ خُطْبهٍ بَتْراءَ أَوْ بدُعاءِ

لَنْ تُرْجعَ الأقْصَى عزيمهُ أُمَّهٍ إنْ شابَهَا عُضْوٌ أُصيبَ بِداءِ

ص:٧١

١– (١) هارون هاشم رشيد، طيور الجنه: ص ١٣٢.

هَلْ تُرجعُ القدسَ الجريحهَ أَمَّهٌ تتقاذَفُ التهديدَ كلَّ مساءِ

القدسُ تَرْجِعُ إِنْ أَرَدْنا رَجْعَها بتَوَحُّدٍ وَعَزيمهٍ وَإِخاءِ(١)

ولعلّ هـذا نفسه، أى: تراجع تيار القوميه العربيه، حمل الشاعر كمال رشـيد على الخطاب بلهجه حزينه، وصـريحه، وصـدر يفيض منه الألـم والحسـره لمـا جرى ويجرى فى أرض فلسـطين والقـدس من الحصـار، والتشـرّد، ونسف البيوت وقتـل مَنْ فيهـا، وسبى الأطفال والنساء، هذا كله فى مرأى ومسـمع من الأمه العربيه وهى لا تحرّك ساكناً وتباشر الحياه اليوميه غير مباليه ولا مكترثه بما تلاقيه القدس من ويلات، صارخاً فى قصيدته (نائمون – ١٩٨٩ م).

تنامون مِلْءَ العيونْ

تَغُبون مِلْءَ البُطون

وفى ليلكم تسمُرون

وفى صبحكم

إلى كل درب تسيرون تَسترزقونْ

تبيعون أو تشترون

وتستمتعون، ولا تألمون

ولا تقرؤون، ولا تسمعونْ

بأن الخليل تعانى حصاراً

وتطلب عوناً وترجوا انتصارا

وأن العدو تمادى، وقد هدّ فى القدس خمسين دارا(٢)

ص:٧٢

١- (١) عزران حجازى، القدس فى القلب وفى الأسر: ص ٢٣.

٢- (٢) كمال عبد الرحيم رشيد، القدس فى العيون: ص ٧٥.

۶. القدس فی التسعینیات

وردت القـدس فی قصائـد هـذا العقـد لتعبّر عن المطـالبه بتحريرهـا بالفعل والعمل وترک الشـعارات الزائفه والبعيـده عن الواقع، داعين الأمه العربيه وساسـتها لأن تنتفض وتدافع عن وجودها، وشرفها وعرضها، وقدسها المدنس دفاع القوی المقتدر المنبثق عن العزه العربيـه والکرامه الإنسـانيه تـاره، والمحـاوله لإعـاده قضـيه فلسـطين والقـدس للأذهـان وجعلهـا أهم واجبـات العـالم العربی والإسـلامی بعد ما أصـبحت تتصدّر البيانات العربيه فقط، تاره أخری ولذا نری صـرخه هارون هاشم رشـيد فی قصـيدته (صـرخه الأقصی فی التسعينيات) علی لسان المسجد الأقصی فی وجه أمته العربيه يخاطب وجدانها للقيام بالمسؤوليه قائلًا:

المسجدُ الأقصی يُباحُ ويُهْدَمُ والعالَمُ العربیُّ غافٍ يحلمُ

المسجدُ الأقصی يَدور بساحِهِ الآثمونَ الغادرونَ ويُظْلَمُ

المسجدُ الأقصی علی أفواهِنا نَغَمٌ نُرَددُهُ وشعرٌ يُنْظَمُ

وقَصائِدٌ رَنانَهٌ نَهذی بها وتَلفُّتٌ وتَحَسُرٌ وتَأَلمُّ

المسجدُ الأقصی وفی کَلِماتِنا وَعْدٌ بنُصْرَتِهِ وعَهْدٌ يُبْرَمُ(۱)

وأمَّا الشـاعر علی عقلـه عرسـان ففزع إلی التاريـخ يسـتذکر القـدس منـذ نشأتهـا ويسـتقلّ التاريـخ ليشن حملته علی المخططـات الصـهيونيه الـتی حـاولت طمس عروبـه القـدس وإسـلاميته وليشـن حملـه أيضـاً فی آن معـاً علی الأمـه العربيه بـل الـدول العربيه والإسـلاميّه ويوجّه النّقـد اللاذع لهـا لما قصـرت فی اسـتعاده «أورسالم» وإنقاذها من العصابه الصـهيونيه، وهـذا النوع من الشـعر السياسی، والتاريخی والقومی جعل القدس تحتل مکانه مرموقه فی شعر

ص:۷۳

۱- (۱) هارون هاشم رشيد، قصائد فلسطينيه: ص ۱۱۶.

القـدس وأظهر أن القـدس ليس مـدينه عـاديه وإنّمـا هى مـدينه عريقه لهـا حضارتها وتاريخها وأنها عربيه منـذ تكوينها ونشأتها، وحـاول الشاعر أن يجعل القـدس هى القضـيه المصـيريه لـدى الأمه العربيه والإسـلاميه ومن الواجب على أبناء العرب أن يفرحوا لفرحها وأن يحزنوا لحزنها ولا يمر صـبح ولا مساء إلاّ وأن يستذكروها ويسارعوا لتحريرها ولا يوجد أمر أهمّ من هذا ولا واجب أوجب من هذا، إذ يقول فى قصيدته (أورسالم... صباح الخير - ١٩٦ م):

أوْرْسالمٌ..

صباحُ الخير..

صباحُ التاريخ،

فأنت الخيرُ، وصدْقُ التاريخ،

صباحُ الخير.. مساءُ الخير،

فأنت صبحُنا والمساء..

ضحكنا والبكاء.

قبل اليبوسيين،

قبل مئتين من سنين من عهد هارون وموسى،

كنت تميمةَ العربى ومحرابَ فؤاده،

تبكيك العينُ وتُشْرِقُ بك

فى الروح.. أنت نبعُ الفرحِ ونبعُ الدموع،

ثم يقول:

ولا بد لصاحب الحق والحقل والشجره والسر من سيف وعزم،

ليكون له ما ملك وما استنبت،

وليحفظ ما ملك وما استنبت؛

يجنى الحسرةَ ونارَ الخسران،

ويعيش شهقةَ الأمنيات ساعه النزع،

وليلًا سرمديَّ الحرمان.(١)

تفاءل الشاعر محمود حامد بانتفاضه الأقصى ورأى تحرير القدس أصبح قاب قوسين أو أدنى وأن ليل الاحتلال الداجى أدبر وانصرم، ونجمه الفجر الصادق تلألأت فى سماء فلسطين وأشرقت القدس بنورها وطربت منارات المسجد الأقصى راقصه فرحه لأصوات تكبير أبناء الانتفاضه التى لم يسمعها أحد إلاّ وكبر معها مستبشراً بقرب النصر مؤكداً استمرار النضال ضد المستعمرين، إذ يقول فى قصيدته (الطريق إلى نجمه الصُّبح - نهايه التسعينيات):

أَسَمِعْتِ مئذنهً على الأقصى تضجُّ

غَداهَ يعلو فوقها التَّكبيرُ!!؟

تبدو كأنَّ الصَّوْتَ - يخلعُها

فتنهضُ، أو تكادُ تطيرُ

تمشى.. كأنَّ الأرضَ واقفهً خُشوعاً،

والزَّمانُ يسيرُ(٢)

ثم استحضر محمود حامد بانتفاضه الأقصى وإنجازاتها صوره صلاح الدين الأيوبى الشخصيه التى ارتبطت بالقدس ارتباطاً تاريخياً، أخذ يتخيّله كيف عاد يرافقه الشهداء يقلع بقوه جذور الاحتلال منادياً يا لثارات الدم المراق ظلماً وعدواناً متجهاً نحو القدس وخَلْفَه عساكر الثوار والمناضلين ترجُّ الأرض من صرخاتهم الغاضبه، عبّر الشاعر عن أمله وثقته بانتفاضه الشعب الفلسطينى لتحرير القدس اعتماداً على الذات بعد صمود مقاومه طويله إذ يقول:

هو ذا صلاحُ الدِّينِ يخلعُ قَبْرَهُ

ص:٧٥

١- (١) على عقله عرسان، الأعمال الشعريه: ص ٢٩٩-٣٠٥.

٢- (٢) شهقه الأرجوان: ص ٥٣-٥٤.

صلَّى مع الشُّهداءِ،

هزَّ بقبضتيهِ ثرى الخليل وقاما

وتَوَضَّأَتْ عيناهُ بالدَّمِ

والدَّمُ العربيُّ ينهضُ

فى القباب حَماما

صلَّى بنا، وهو الذى مازال ينزِفُ،

فى الجُموعِ إماما

ومشى..

لعلَّ القُدْسَ وجهتُهُ،

وعَلَّ الشَّاما

هى خُطوةٌ..

حتى إذا صَرَخَ الدَّمُ العربيُّ

من فَوْقِ المآذنِ: وا صلاحُ الدِّينِ

ضَجَّ السَّاحُ راياتٍ،

وثار حِماما(١)

شعر التسعينيات كما رأينا عند محمود حامد وغيره من شعراء هذه الفتره يؤكد أنّ تحرير القدس لابد من عبوره على جسر الانتفاضه، والوصول إلى الهدف لايمكن إلاّ باستمرارها، والنصر على الأعداء سوف يحققه الدّم، لأن الدّم الفلسطينى كما يقول الدكتور خليل الموسى هو أنهار تفيض على السهول والبطاح والهضاب، لتعيد أزمنه الخصْب لربوع فلسطين والقدس، وهذا هو الطريق الوحيد الذى يفضى إلى نهايه أزمنه الجفاف والدخول إلى

١- (١) المصدر: ص ٥٥.

فصول الربيع والحياه(١) لتزدهر شجره الحريه والاستقلال وترفرف رايه النصر فى ربوع القدس خفّاقه شامخه. واتضح أيضاً من شعر هذه الفتره أن الخطاب القومى وإيقاظ الوجدان امتزج بالخطاب الإسلامى والخطاب الدينى بشكل عام كما نشاهده فى قصيده الشاعر هارون هاشم رشيد (قصيده للقدس – فى التسعينيات) قائلاً وهو يخاطب كل وجدان وضمير حى:

لِعَينيها..

مَدِينَتى الَّتى سُجِنَتْ

لِمَسْجِدِها..

لأقصاها..

لحُرمَتِها التى انتُهِكَتْ

لِخَطْوِ مُحمدٍ فيها

لما حَمَلَتْ

ما حَفِظَتْ

لمريمَ والمسيحَ

وكُلَّ ما عَرَفَتْ ومَنْ عَرَفَتْ(٢)

وبهذه النغمه المتوجّعه والحزينه تستمر صرخه الشاعر وهو يدعو كل وجدان أن ينهض لأجل القدس واستخلاصها من يد الغدر والحقد الصهيونى.

أُنادى كُلَّ موتانا

أُنادى كُلَّ أحيانَا

أُنادِيْهِمْ أناجيلاً

١- (١) خليل موسى، تحوّلات الدم الفلسطينى فى شهقه الأرجوان: مدارات تشرين، العدد ١٦٣، ٣، كانون الثانى، ٢٠٠٤.

٢- (٢) هارون هاشم رشيد، قصائد فلسطينيه: ص ١٠٦.

إذا سَمِعوا وقُرآنا

أُناديهم بِاسمِ اللهِ

أشياخاً وشُبَّانا لأجل القُدسِ

فطُهْرُ القُدسِ قَدْ هَانَا(١)

٧. القدس فى عام ٢٠٠٠

يطلُّ عام الألفين يشدُّ غضب الشعراء وهو يحضّ على الانتفاضه إذ يرونها هى المنقذ الوحيد للقدس، فحضّوا أبناء الشعب الفلسطينى لإنقاذها موجهين اللّوم للوجدان العربى مطالبين بحمل السلاح والتوجه نحو القدس كما نرى فى قصيده الشاعر محمد إياد عكاوى (العذراء اليتيمه - ٢٠٠٠ م) قائلاً:

فمن لى بسلِّ المشرفيّات نُصْرَةً تُعيدُ عرين النَّاصِر البيضُ والسّمْرُ

نقيمُ جدارَ الحقِّ سدّاً مُدَعَّماً نمضى براى الهدى، آمالنا الفجْرُ

نجوبُ رحابَ الكون، نطوى سَماكَهُ يُغيرُ بنا صقرٌ، ويَغْزو بنا نَسْرُ

ليأتى غياثُ القدس جيشاً مُوَحّداً بيُمناه سيفُ العِزِّ والآىُ والذِّكْرُ(٢)

ومن هذا المنطلق قصيده الشاعر عزران حجازى (إلى الأقصى - ٢٠٠٠ م)

إلى الأقصى إلى الأقصى جموع الثَّأْرِ لا تُحْصَى

ورَبُّ البيتِ نادانا نِداءُ اللهِ لا يُعْصَى(٣)

أنادى هَيْئَه الأُممِ وَكُلَّ العُرْبِ والعَجَمِ

اكتفيت بهذا المقدار اليسير من الشعر المقدسى الذى حمل عنوان «إيقاظ الوجدان القومى العربى». وفى خاتمه هذا المبحث حاولت أن أقدم

ص:٧٨

١- (١) المصدر: ص ١٠٨-١٠٩.

٢- (٢) محمد إياد عكاوى، لبيك يا أقصى: ص ٢٧.

٣- (٣) عزران حجازى، القدس فى القلب وفى الأسر: ص ٨٢.

جدولاً لأهم القصائد التى تطرقت للقدس حسب الاتجاه القومى مابين الفتره الزمنيه (١٩٤٨-٢٠٠٠).

جدول أهم قصائد محور إيقاظ الوجدان القومى العربى حسب الترتيب الزمانى

ص:٧٩

الحنين إلى القدس

اشاره

إن الحنين والأنين إلى القدس لم يترك قلباً إلاّ وقطع نياطه، ولم يدع عيناً إلاّ وسلبها لذّه نومها، كيف لا.. بُعد وطنٍ ومعاناه غربهٍ، وبكاء شوق لأرض

ص:۸۲

أجدادٍ جمعت رسالات السماء، مهد عيسى ومعراج محمد صلى الله عليه و آله وقبور أنبياء، ضمن هذا الحنين تعرّضت كثير من قصائد الشعراء إلى القدس، وقد تناول أصحابها ماحلَّ بأهلها من تشريد وغربه وآلام جسميه ونفسيّه، حوّلت شوقهم إلى وطنهم شعراً يتفجّر حيناً إلى يافا وحيفا والقدس، إلى غزه وجنين واللّد و.. وهذا لسان حال كل فلسطينى ممن غادروا وطنهم مضطرين لا مختارين، إذ لا شىء أصعب على المرء من مفارقه وطنه وإخوانه، كيف وقد مضت أيّام بل سنون وتراكمت المعاناه والهموم، وينتظر المبعدون بفارغ الصبر بارقه أمل لبزوغ الفجر فى ربوع الوطن، إذ لم يروا ما هو أجمل وأحسن وأطيب عطراً من وطنهم، ولذا حنّوا له وتغنّوا به، يصرخ الواحد منهم من وراء البحار والمحيطات: لبيك يا قدس، قلوبنا داميه، وعيوننا باكيه، نسمع صرخاتك العاليه، ونشعر بآلامك الشاكيه، لا والله لا ننساك يا أمّنا الغاليه، سنعود بإذن الله تعالى إلى ربوعك بسواعدنا ودمائنا الزاكيه.

١. القدس وآه الأربعينيات

الحنين إلى القدس شعور سار فى عروق كثير من قصائد الشعر المقدسى، كيف لا، أولم يكن حبّ الوطن من الإيمان؟ ويَعْظُم هذا الحب كلّما عظم الوطن، وكبرت الأحلام به، وبالعوده إليه، وهل ترجع القدس إلى أهلها!؟

فلقد صوّر لنا حسن البحيرى فى قصيده (لفلسطين أُغنّى – ١٩٤٨ م) الأسى الذى يكوى جنبات صدره وهو يلقى نظره الوداع على الأقصى، وحاله حال جميع أبناء الشعب الفلسطينى، الذين فارقوا وطنهم مُرغمين بقوه السلاح الصهيونى، تصويراً امتزجت فيه آلامه النفسيه والجسميه، بعد ما ارغم الشاعر عام «١٩٤٨ م» على مغادره وطنه مودّعاً القدس واقفاً بباب المسجد الأقصى يتفجر قلبه حزناً ويبكى بدل الدموع دماً قائلًا:

ص:٨٣

وقفتُ بالْمَسْجِدِ الأقصى أسائلُهُ والنّارُ فى جَنَباتِ الصَّدرِ تَسْتَعِرُ

وأدْمُعُ القَلْبِ تَستَتْلى مَصاوِبُها من مُهْجَتى دَمعَ عَيْنى وهى تَنْهَمِرُ(١)

٢. القدس فى حنين الخمسينيات

لقد تمكّن حبّ الوطن من قلوب أبناء فلسطين وامتزج هذا الحب الصادق بجراح الغربه وآلام التشرد، ولعلّ مسأله الغربه والحنين إلى القدس لدى هارون هاشم رشيد تبدو أكثر عمقاً إذ تجده يفتتح كل بيت من أبيات قصيدته (غرباء - ١٩٥۴) بلفظ غرباء، إحساساً منه بمراره التشرد والابتعاد عن الوطن الحبيب كيف وإذا كان الوطن هو القدس لاغير.

غرباءٌ؟! سَلوا فلسطين عنّا وسلوا كلَّ ثورهٍ كيف كُنّا

غرباءٌ؟! ونحن من جبل النّا رِ اندفَعْنا مشاعلاً وانطَلَقْنا

غرباءٌ؟! ونحن من مَنْبتِ المقْ - - دس من بيتها المطَهَّرِ جئنا(٢)

نستشفّ من شعر هذا الشاعر أن واقع الغربه قد تجاوز قضيه العطف والشفقه، إذ جعل تعاطف الشاعر مع المشردين والنازحين يمتاز عن تعاطف الآخرين من الشعراء بصدق الحنين وزفره الأنين مؤكداً على العوده مهما طال الزمن وكلّف الثمن، ولذا فى قصيده (العوده - ١٩٥۵) يرى الشاعر الثائر هارون رشيد أنّه ليس من الممكن أن تتم العوده إلى القدس، أرض الأجداد إلاّ عن طريق الكفاح، والثوره، وانتفاضه الأمه إذ يقول:

وأدعو صحابى.. صحابَ الحياهِ وأجمعُ للملتقى أخوتى

سأجمعُهم فى صعيدِ الكفاحِ وفى نقطهِ البدءِ والوثبهِ

وأجمعُهم حولَ أرضى التى تنادى وتهتفُ بالنجدهِ

١- (١) لفلسطين أغنى: ص ٨٣.

٢- (٢) هارون هاشم رشيد، مع الغرباء: ص ٧٣-٧۴.

وأدفعُهم للقاءِ الحبيبِ إلى موعدِ الثأرِ للعودهِ

إلى أرضِهم، أرضِ أجدادِهم إليها إلى مهبطِ العزهِ

إلى القدس توّاقه للّقاءِ إليها إلى اللدِّ للرملهِ(١)

وأمّا سليمان العيسى فهو يرى التشرد الذى يرمزإليه بالخيمه التى احتضنت مأساه المشرد ولوعته، ولكنه يرفض الاستسلام للأمر الواقع مهما بلغ من التردّى فيمتلئ عزيمةً واندفاعاً فى الرفض لذلك، ولا يعرف التراخى ولا التوانى، فهو يدعو على نفسه بالعار والشنار إن غفل عن السير فى ركب أمجاد أمته التى يعتبرها باعثاً على الرفض والمقاومه حتى تحقيق النصر والعوده إلى الوطن، فيقول فى قصيدته (نشيد العوده - ١٩٥٩):

تعِبَتْ خيامى السودُ، أَثقَلَها دمى

وشكَتْ،

يا وَصْمةَ الأجيالِ.. لا فارقتنى

إنْ نمتُ بعدَ اليومِ عن أمجادى

عن أمتى، فى كل دربٍ مِزْقَةٌ

منها، ومُلْتفعٌ ظلامَ سوادِ

أنا عائدٌ.. فى القدس لى انشودةٌ

وقصيدةٌ للنصرِ فى بغدادِ.(٢)

٣. حنين الستينيات

كلّما مرّت الأيّام اشتدّ ظلام المأساه وعمق الجرح الفلسطينى، وارتفع صوت الحنين للوطن. ولقد انعكس هذا على بعض شعر القدس وجعل بعض قصائده

ص:٨٥

١- (١) عوده الغرباء: ص ٢٣-٢٤.

٢- (٢) سليمان العيسى، الأعمال الشعريه: ٢/٢٦-٢٧.

مشحونه بالتوتر، غارقه بمصاب الوطن السليب، حامله الهموم الجسام كما نجدها عند الشاعر حنّا جاسر فى قصيده (سمفونيه.. من أعماق النوى - ١٩٦٠) حينما تذكّر الماضـى والكرامه والعزه فى أكناف وطنه وقارنه مع مأساه الحاضـر، رأى نهاره ليلًا وليله بلا قمر، يعيش الظلام الجاثم على الصدور بعدما أصبحت القدس يعيث بها الغاصبون فساداً وانتهاكاً، وهذا الذى جعل الشاعر يتجرع كؤوس المراره التى تكاد تزهق روحه، فقد بددت قسوه الاحتلال آماله وسحقت براعم أمانيه النابضه بالروعه فأردتها خاويه من كل معنى كان يملؤها حياةً وحيويه، ومن هذا القبيل قوله:

.. وهكذا تعبرُ الأيام مفرِغَةً عصيرها المرّ فى روحى وفى بصرى

فى كلّ ثانيهٍ بُشرى.. فإنْ وضحتْ عاد الجفافُ يُغطّى سطح مُنحدرى

وكلّما برعمتْ فى الأفق أُمنيةٌ عاثت بأوراقها دوّامةُ القدرِ

أنا الذى كان لى فى القدس مملكةٌ على الكواكب والأطيار والزّهرِ

أمسيتُ.. والخصم يلهو فى أشعّتها أجسُّ ليلى فألقاه بلا قمرِ..

تنهّدى ياغيوم اليأس وانفرجى عن بسمهٍ تبعث المدفون من أملى(١)

هـذه القصـيده من القصائـد الطوال التى ذكر الشاعر القدس فيها وصوّر بعض ماحلّ به وبالشـعب الفلسـطينى المضـطهد وماعاناه اللاجئون من مواجع الغربه عن الوطن ودفء حضنه، فحزنه - فى أبيات القصيده - على فلسطين والقدس يبدو أنه طويل وطويل، ممتدٌ من النكبه والنكسه حتى اتصل بجمره الغربه واستمر الجوى إلى أن غطّى ظلامُه أفق الأمل عند الشاعر.

وأمّا قصيده (مزامير - المزمار الحادى والخمسون - نهايه الستينيات) لمحمود درويش التى يقول فيها:

١- (١) حنا جاسر، أمّه وجراح: ص ٤٩.

ونغنّى القدسَ

ياأطفالَ بابلْ

يامواليد السلاسلْ

ستعودون إلى القدس قريباً

وقريباً تكبَرون

وقريباً تحصدون القمح من ذاكره الماضى

قريباً يصبح الدمع سنابل.

آه، ياأطفال بابل

ستعودون إلى القدس قريباً

وقريباً تكبرون.

وقريباً

وقريباً

وقريباً..

هلّلويا

هلّلويا..(١)

فهى على عكس ماعليه قصيده (سمفونيه) إذ تمتلئ قصيده درويش أملاً متدفقاً جيّاشاً فيرى بعين البصيره نهايه الاحتلال أصبحت قريبه فهو على يقين من أنّ عاقبه عصابه الإرهاب الصهيونيه، الاضمحلال والزوال بعد المعاناه الشاقه والصبر الطويل، لابد من بزوغ فجر النصر والحريه، وستكتحل عيون أبناء الشعب الفلسطينى المظلوم برؤيه الوطن الحبيب وستتحول دموع المشردين من الشيوخ الركّع والأطفال الرضّع و... إلى أزهار وسنابل بعد ما كانت رصاصاً وقنابل وبعد مادكّت عروش الطغاه وحطّمت القيود والسلاسل،

ص:٨٧

١- (١) محمود درويش، ديوانه: ١/٤٠٠.

فالشاعر يرى هذا الحدث وشيكاً كلمح البصر أو هو أقرب من ذلك.

وهكـذا درويش بث الأمـل فى النفوس فى موضع آخر من القصـيده نفسـها حيث لم ير بينه وبين القـدس أىّ مسافه وأىّ بُعـدٍ إذ يحنّ لأورشليم قائلًا:

أورشليم! التى عَصَرتْ كلَّ أسمائها

فى دمى

خَدَعَتنى اللغات التى خَدَعَتنى

لن أسمّيكِ

إنى أذوبُ، وإنّ المسافاتِ أقربْ

وإمام المغنين صكّك سلاحاً ليَقْتلنى

فى زمانِ الحنينِ المعلَّب(١)

۴. القدس وحنين السبعينيات

تمضـى ثلاثه عقود من الزمن والحنين إلى القـدس يزداد يوماً بعد يوم ويمتزج الحزن بحنين الشوق ليعبّر عن الشـعب الفلسـطينى والحـاله التى يعيشـها من فقر، وتشـريد وغربه، ومأساه، ولكن العيون المبعـده شامخه ترنو إلى طريق العوده والكل يترقب شـروق الشـمس على قباب المسـجد الأقصـى، والآذان صاغيه لاسـتماع تكبير النصـر من منارات المقاومه والصـمود، وأجراس الفرح من كنائس المسـيح، فقد تفاءل شـعراء القدس بهذه اللحظات إيماناً منهم بعجله التاريخ وسـيرها السريع نحو النصر الذى أصبح على الأبواب بعد ما ملك الشعب الفلسطينى زمام الأمور وآلى على نفسه أن لا يرضى بغير السلاح علاجاً لطاعون الغضب والاحتلال، وهذا مالمسناه من الشاعره هند هارون فى قصيدتها (نداء الأرض - ۱۹۷۰) فلقد أبدعت فى تصوير هذه الآمال التى

۱- (۱) المصدر: ۲۸۷/۱.

باتت ومضاتها تبشّر بطلوعِ الفجر وابتسامته فى أفق القدس إذ تقول:

حملتْ رياح القدس.. من تربى.. شذاً

عبقت.. بنفحته.. ذرى.. شمَّاءُ

فانساب فى الأكواخ.. يلمس هائماً

تلك الجباه.. وللجباه.. صفاءُ..

فإذا بروح.. فى الخيام.. جديده

وإذا القنوط.. توثُّب.. ومضاءُ

بعثَ الشذا فيها.. تَحفّز.. أمّه

تحيى كرامتها.. ولاحَ.. ضياءُ..

شب الصغار.. وقد لمست قلوبهم

وتساءلوا.. هل عوده ولقاء..

أنعيش.. لا أهلٌ.. ولا وطنٌ.. ولا

أرض.. وتزعُمُ.. أننا أحياء..(١)

فالشاعره أشارت إلى الشراره التى اندلعت وطارت بها الرياح القدسيه لكى تحرق جذور القنوط واليأس عند النازحين سيما عند الأطفال والشباب الذين ولدوا فى ديار الغربه ولم يترعرعوا بكنف الوطن، فراحوا يتساءلون ويسألون الكبار عن الوطن مما يزيدُ حنينهم له.

الشراره القدسيه لم تقتصر على بث الحياه الجديده والأمل بالعوده عندهم فحسب بل أضاء شعاعها الأمه كلها. وأمّا الشاعر المغترب إلياس قنصل فهو رغم مراره الغربه وجمرتها لا يكتم حب وطنه ولا يُخفى الإيمان العامر به قلبه، ويصرّح بأنه ليس من الممكن أن يحول بُعد المسافه ومرور الزمان بينه وبين وطنه أو ينال من حبّه الصادق وشوقه المتزايد له، والذى يحمله فى قلبه أنّى

١- (١) هند هارون، سارقه المعبد: ص ٧٥.

ارتحل وأنّى حلّ، فيقول فى قصيده (شهيد ميسلون - ١٩٧٠ م):

وقفٌ على الوطن المحبوب غربتُنا

وشوقنا، ومَرام دربه خشنُ

إنْ فاتنا سؤددُ الحربين فيه ولم

يختم رغائبنا بالعوده الزمنُ

مافاتنا أن نوالى حملَ رايته

فحيث كنّا يكن فى سرّنا الوطنُ(١)

ثم يوجه الخطاب للعدو وينصحه بأن لا يتبجّح ويفرح لأنّ انتصاره سوف يبدّل بالهزيمه ويحرّر القدس مهما تحصّن العدو الغاصب وامتلك من إمكانيات ماديه:

لا يفرحنَّ العدى ليس انتصارهُمُ

إلّا سراباً إليه يجمح الهوسُ

شبر من القدس لن يبقى بحوزتهم

مهما تحصَّن فيه الأعور(٢) النجسُ(٣)

وأمّا هارون هاشم رشيد فلقد أمضى معظم حياته فى الغربه حنيناً إلى القدس، وسَكَبَ هذا الحنين شعراً وهذا ماتراه جليّاً فى قصيدته (زيتونه - فى السبعينيات) إذ أصبحت القدس لديه ناراً يتلظى بها جسمه، وجرحاً سخيناً فى أعماق قلبه، ومعشوقاً فقدَ من أجله عقله، وبلغ الشاعر فى هذه القصيده ذروهً تعبيريه لعله تفرّد بها حين يقول:

ص:٩٠

١- (١) إلياس قنصل، ألحان الغروب، (ألقيت القصيده تكريماً لذكرى يوسف العظمه شهيد ميسلون عام ١٩٧٠ م): ص ٩٤-٩٥.
٢- (٢) الأعور النجس، ظاهراً إشاره إلى مناحيم بيجين أو موشى ديّان رئيس الوزراء الإسرائيلى آنذاك.
٣- (٣) المصدر: ص ٩٥.

أحبُّك ياقدس، لا تسألينى

لماذا، وكيف، وماذا أحبُّ

فإنّى حملتك جرحاً سخيناً

بأعماق قلبى، ناراً تشِبُّ

أنا عاشق، مدنف مستهام

أنا تائق، ومشوق وصَبُّ

تدبّين فىّ، دبيب الدماء

فيخفق باسمك فى الصدر قلبُ

أحبّك ياقدس، هذا هوایَ

إليك كشلال نهر يصبّ(١)

فنرى حبّ القـدس فى هذه الأبيات اختلط بدم الشاعر ولحمه، فأنفاس حياته باتت منوطه بوجود تلك المدينه الصامده، ونبضات قلبه متيمه على اسـمها، وكل دقه من دقاته ينادى ياقـدس.. ياقدس.. ياقدس فيناجيها محبوبه تأكل تفكيره حبّاً وهياماً، فنراه غارقاً فى بحر متلاطم من التفاؤل والأمل بالغد الآتى القريب الوشيك كما نشاهده فى الأبيات التاليه فى القصيده نفسها:

أحبّك ياقدس لا تسألينى

لماذا؟ وكيف؟ وماذا أحبُّ

سيزهر لابد يوماً ربيعك

يزهر لابد يوماً يهِبُّ

ولابد للعاشق المستهام

وإنْ طال ليل وأَظْلَمَ دربُ

بأن يلتقى، بهواه الكبير

۱- (۱) مفکره عاشق: ص ۶۸.

فيحلو اللقاء، يزدان قرب

على صهوه فى رياح الفداء

يجىء إليك مع النصر شعب(١)

فأمله قوى فى العوده ولقاء الحبيب، تلك الأرض المقدسه التى بارك الله فيها، أرض الأهل والأجداد وإن طال ليل المآسى واشتدت ظلمه الطريق. فالشاعر واثق بالنصر وعوده جماهير شعبه المظلوم.

٥. حنين الثمانينيات

القصائد التى تمثل الحنين فى هذه الفتره قليله جداً وما وجدناه منها فهو مزيج من الحنين والحماس كما نجده عند الشاعر الفلسطينى محمود حامد وهو يتحدث عن القدس فى لهفه وشوق، وبروحه الشفافه والحسّاسه يصور مدى إخلاصه، وتفانيه لموطنه، يعلوه صوت الحنين حينما يصف العشق المتبادل بينه وبين القدس، ذلك العشق العميق الذى يذوب فيه الشاعر، يحمله الحب لكى يتجول مع الرياح فى أرضه المحتله فيؤلمه مشهد المأساه وعمق الجراح فيقول فى قصيدته (داخل الجُرح - ١٩٨٥ م):

وإنّى إلى مُقلهٍ تشتهينى

أجنُّ بها صَبْوَهً، أوْ أذوبُ

تقاسمتُ والريح هذى البوادى

وقلتُ: إلى أين تمضى الدُّروب!!؟

وإنّى إلى دمعه أوجعتنى

أميل عتاباً..،

وإنى إلى رايهٍ فى الهضابِ

١- (١) المصدر: ص ٧١.

أميلُ دماً عاشقاً لا يغيبُ

فكم شَفَّ عند الرَّفيفِ صباها،

ولاذت بها في الخُطوبِ الخُطوبُ!!؟

وقلتُ: إلى الشَّامِ خذني سلاماً

إلى القُدس خذني،

إلى خندقٍ يمتطيهِ الجنوبُ

فما أخطأت نبضةٌ في هواها،

ولا كان في خافقي مايُريبُ(١)

في عقيده الشاعر أن الحب والدم هو الرمز الذي يجعل رايه التحرير خفّاقه، والتي بإمكانها أن تفسّر حلم العوده إلى الديار لأن العوده في ظل الاحتلال الصهيوني أمر مستبعدٌ بل محال، الرايه التي عشقها الشاعر وأعلن استعداده - كبقيه أبناء شعبه - أن يضحّي بالغالي والنفيس في سبيل علوّها، هي الرايه التي رفرفت في جنوب لبنان وأخذت ترفرف في ربوع القدس، ولا ريب أنها ستبقى خفّاقه عاليه، ورمزاً يلجأ إليه كل مظلوم ومضطهد يأمل أن يرفرف قلبه بالحريه كرفرفتها.

لقد خسر المواطن الفلسطيني وطنه وأرضه وأُبعد عن دياره ظلماً وعدواناً، لكنّه لم يخسر ذكرياته التي ضمّنها قلبه، لذا ترى عيونه تبقى ترنو وتهفو إلى ربوع أرضه حتى ولو توفّرت له في الغربه كل وسائل الراحه وكل المشتهيات، فالحياه في الوطن لا يمكن أن يحل محلها شيء.

فالشوق إلى الوطن والغرام به جعل الشاعر كمال عبد الرحيم رشيد يغنّي القدس ويحن إليها وما أعذب ألحانه عند ما يقول في قصيدته (نحالين(٢) - نهايه الثمانينيات)

ص:٩٣

١- (١) محمود حامد، بيسان: ص ٨٦-٨٧.

٢- (٢) نحالين: قريه فلسطينيه داهمتها قوات الاحتلال ليلاً وقتلت تسعه من أهلها.

يافلسطين والحياه ادّكارٌ طال شوق، ولَجّ فينا الحنينُ

نحن فى البعد مابَعُدنا وفينا نحو قدس الهُدى تَرفّ عيون

وعلى الأفق تنجلى ظلمات تطلع الشمس يفرح المحزون

ونعيد التاريخ عزماً قوياً فيه بدرٌ وأختها حطين(١)

فهـذه الأبيات صادره عن قلب مكلوم يحنُّ إلى وطنِهِ الذى هَجَرَهُ رغماً عنه، يحلم بالعوده إليه بعد زوال ظلام العدوان الصـهيونى وطلوع شمس التحرير معاً.

وأمّـا حسن البحيرى فقـد هز الألم أركانه وأدمى قلبه، فهمومه هموم شـعبه المظلوم فما عرفت عيونه لـذه نوم وما هـدأ له بال منذ أُرغم على ترك وطنه، ونتيجه لقسوه الاحتلال فإن الشاعر كان يرقـد فى المستشـفى بين تاره وأخرى لعلاج الجـدار السـفلى من قلبه، ولكن الحنين إلى القدس لم يفارق حنجرته حتى ولو كان على سرير العلاج ففى قصيده (وَهْنٌ فى القلب - ١٩٨٩) يقول:

لَقَدْ كُنْتَ ياقَلْبى عَلَى كُلِّ شدَّهٍ كَأَنَّ الحديدَ الصُّلْبَ فى الصَّدْرِ كَوَّنكْ

فَكَمْ دَهِمَتْكَ الحادثاتُ بِعُسْرِها فَلَمْ تَهِ فى عُسْرٍ ولا الكَرْبُ ليَّنك

وَلكِنَّ جُرْحاً فى «القِيامَهِ» نازِفاً وفى «المسجدِالأقصَى» دَهاكَ فَأَوْهَنَكْ(٢)

۶. حنين التسعينيات

تواصلَ حـديث الحنين إلى القـدس والحلم بالوطن المفقود فى عقد التسـعينيات عند كثير من شـعراء القدس ليعكس مايدور فى أذهانهم، وما تكتوى به قلوبهم. وهذا لسان حال جماهير أمتنا العربيه والإسـلاميه فى شرق الأرض وغربها، من هذا الحنين قصيده الشاعر السورى عبد اللطيف محرز

١- (١) كمال عبد الرحيم رشيد، القدس فى العيون: ص ۵٠.

٢- (٢) حسن البحيرى، ديوانه لعينى بلادى: ص ٩٩.

(جاءنى البحر - فى التسعينيات) يحن فيها لقلب فلسطين، قدس الأقداس ويستذكر حكايا الأهل والأجداد، وأخذ الشاعر يتساءل كيف ينسى سجلّ فلسطين وما يحمل فى طيّاته من آيات فيقول:

يا فلسطين، يا أناشيد روحٍ يا انسكاب السماء فى الصلوات

أترانا ننسى حُمَيَّاك فى القلْ - - بِ نداءً معتق الجمرات؟

أترانا ننسى الدماء شهيداً وحكايا الأجداد والجدات؟

أترانا ننسى القيامه والأقصى ومافى الكتاب من آيات؟

كيف ننسى، وكل تاريخ هذا الشعب نار فى موقد الذكريات؟؟؟!!!(١)

فلا يمكن للشاعر بل لكلّ صاحب ضمير أن ينسى تاريخ الشعب الفلسطينى وذكرياته الحبيبه وما مرّ عليه من تشريد، وقتلٍ، وإباده، وسفك دمٍ وهتك عرض و..، فهذه الويلات جعلت القدس وفلسطين حراره تتقد فى قلوب عشاقها لا تبرد إلّا بتحريرها والرجوع إليها.

جدول أهم قصائد الحنين إلى القدس العربيه والإسلاميه حسب الترتيب الزمانى

ص:٩٥

١- (١) عبد اللطيف محرز، ديوانه شجرات الدماء: ص ۴۶.

استصراخ الضمائر العربيه

اشاره

الضمير، هو المحكمه العادله التى أودعها الله سبحانه فى وجود كل إنسان لتحاكمه وتؤنّبه، وتوجّه اللوم والعتاب إليه إزاء تقصيره وأفعاله التى لا تليق به، وتحمله على التـدارك. ولعظمه هـذه المحكمه أقسم بها المولى فى كتابه الحكيم حين قال (لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَهِ * وَ لا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوّامَهِ)١ فما من فرد من البشر إلّا وسمع صوت هذه المحكمه المسماه بالضمير والوجدان عند

ص:٩٦

توانيه وتقصيره وعدم قيامه بالواجب - إن لم يمت ضميره - ومن هذا المنطلق بادر شعراء شعر القدس بتوجيه خطاباتهم لمؤاخذه وتأنيب تلك الضمائر التى جلبت النكبه والنكسه و.. للشعب الفلسطينى وللأمه العربيه والإسلاميه وماترتب عليها من آثار وتداعيات على مختلف الأصعده إلى يومنا هذا. ومن جانب آخر حاول أولئك الشعراء أيضاً تأجيج الضمائر وتعبئتها للثوره بوجه العدو وتطهير القدس وكل الأراضى المقدسه من رجس الصهاينه والمستوطنين المحتلين الذين أماتوا ضمائرهم بقتل الأُسراء وتشريد الأحياء وإباده الحرث والنسل وكَأَنَّ أحدهم خُلق بلا ضمير يحاسبه ولا وجدان يردعه، وخير دليل على المدّعى العربده الصهيونيه التى كانت ومازالت تفتك بالشعب الفلسطينى المضطهد.

١. الضمائر العربيه فى خطاب الأربعينيات

وما أكثر القصائد الشعريه التى تكتنز هذا المضمون والتى أخذت على عاتقها خطاب الضمائر العربيه فى شرق الأرض وغربها كما نلاحظه عند عمر أبى ريشه فى قصيده (حماه الضيم - ١٩٤٨) محاوله منه لإثاره وجدان وضمير الأمه العربيه وقادتها إلى مجازر الصهاينه ومايعانيه الإنسان العربى والمسلم، وكيف يذبح وكأنَّه حَمَلٌ بيد الجزّار، وكيف تهدم المدن والبيوت على أهلها وكيف تجتث جذور الفلسطينيين - مسلمين ومسيحيين - من أرضهم تثبيتاً لاحتلاله الغاشم ووجوده اللّاشرعى فيقول:

المجد يخجل أن يجيلَ الطرفَ فى ماهدَّم الجبناء من أسواره

فكأنَّه من نيله لفراته حَمَلٌ تجاذبه يدا جزّاره!

ماذنبُ فتيته إذا شبَّت ولم تلمح بتربته خُطى أحراره

تركتْ لها آباؤها الإرثَ الذى يبقى مطوَّقها بلعنه عاره

ص:٩٧

هل فی روابی القدس کهفُ عباده تحنو جوانبه علی أحباره

خشب الصلیبِ علی الرمال مخضَّبٌ بدماء من نعموا بطیب جواره(١)

فالشاعر خاطب الضمائر الحیه بأن لا تمنع الشباب عن الالتحاق بالأحرار والثوار لکی تغسل الذل والعار الذی لحق بها، إذ القدس أرث لأبنائها ولیست للصهاینه ولأحبارهم کما یزعمون، وأن ماحدث ویحدث من حصد آلاف المدنیین الأبریاء وتواصل نزیف الدم العربی والإسلامی فی فلسطین علی أیدی العصابات الإرهابیه الصهیونیه جعل حسن البحیری یوجه نقده اللاذع بلهجه ثوریه تعلوها الحده والعتاب إلی بعض ملوک العرب فی قصیده (عُمْیُ الملوک – ١٩٤٨ م) حین یقول:

أما فیکم ملوک العُرْبِ ذو هَدْی ولا مُرْشَدْ

یَخِفُّ لِنُصْره الإسلام لمَّا صاحَ واسْتَنْجَدْ

فلو أبصرتمو «صهیونَ» لما هَبَّ واستَأْسَدْ

وصَالَ علی کریم العِرْضِ صَوْلَهَ غاشمٍ أنْکَدْ

وهل أَبقی الخُنوعُ لهم من الغَیْره ما یَحْتَدَّ؟!

ولو بَعُدَتْ بهم دارٌ وراءَ الأمدِ الأَبْعَدْ

لقُلْنا هاض ریش جناحهم عَصْفُ النَّوی المُحْتَدّ

ولکنْ صَدَّعَ «الأقصی» وزَلْزَلَ رُکْنَه المُشتَدّ(٢)

فالبحیری لا یری سبباً وجیهاً لعدم نصره الشعب العربی والإسلامی فی فلسطین الحبیبه، لا البعد الجغرافی ولا غیره من الأسباب، وذکر الشاعر أن علّه الطغیان الصهیونی وعنجهیته إلی هذا الحد من هتک الأعراض وسفک

ص:٩٨

١- (١) عمر أبو ریشه، دیوانه: ٥٢/١.

٢- (٢) حسن البحیری، حیفا فی سواد العیون: ص ٧٦ و ٧٧.

الدماء هو الخنوع وعدم وجود الغيره العربيه والإسلاميه لدى البعض، وهذا الذى أودى بالأقصى وزلزل أركانه أسيراً بيد الدويله العنصريه لا غير.

٢. الضمير العربى فى الخمسينيات

استمر استصراخ الضمائر العربيه فى شعر القدس، والذى حاول الشعراء فيه استنهاض الضمائر الحيه، واستثارتها، وحث وجدان الأمه العربيه والإسلاميه، لكى تكون بمستوى المسؤوليه تجاه قضيّه القدس الشريف، إذ فلسطين قضيّه الأمه ورمز عزتها فلابد من العمل فى سبيلها وتكريس كل الإمكانات الماديه والمعنويه من أجلها، ولابد من شجب كل الأعمال التى تصدر على خلاف مصلحه الشعب الفلسطينى المنكوب، لأنّ ذلك خلاف الضمائر الحيه وخلاف الوجدان اليقظ كما صرح به عمر أبو ريشه فى قصيدته (هكذا – ١٩٥۴ م) إذ استنكر ماصدر عن أحد الرعايا العرب فى بريطانيا آنذاك، حينماأنفق ستين ألف دولار على عشيقته ولم يصرفها فى الاتجاه الفلسطينى حين يقول:

قال.. ياحسناءُ ماشئتِ اطلبى فكلانا بالغوالى مولع(١)

ثم يواصل قوله:

والبطولات، على غربتها فى مغانينا، جياعٌ خُشَّعُ

هكذا.. تُقْتحم القدس على غاصبيها.. هكذا تُسْترجعُ!!(٢)

فالشاعر يعتقد بتسخير كل ما يمكن من خلاله خدمه فلسطين والقدس فى سبيل تحريرها، يهزأ بالذين يبذلون الأموال فى الأعمال المستهجنه والبعيده عن الأخلاق الحميده.

١- (١) عمر أبو ريشه، ديوانه: ٥٨/١.

٢- (٢) المصدر: ٥٨/١.

وأمّا الشاعر حسن البحيرى ذو الوجدان النابض فوجّه خطابه العتابى لضمير الأمه وقادتها سائلًا كيف يمكن للأمه العربيه أن تقف متفرجه على هذه المأساه وتسمع نداء القدس وهى تستغيث بتلك الضمائر لنجدتها ولا تحرك ساكناً وتسرع لإنقاذها من براثن الاحتلال. وأخذ يتساءل الشاعر وكأنّه غلب عليه اليأس إذ يقول فى قصيده (الأنهر الظمأى – ١٩٥٨ م):

وجراحُ «القدس» هَلْ يَبْقَى على الدَّهرِ جواها

وَقْدَ نارٍ ما خَبَا – مُذْ أُشعِلَتْ – حَرُّ لَظَاها

وَيَظَلُّ الدَّمُ يجرى كالحَيَا فوق ثراها

وإذا نادَتْ فلا يُسْمَعُ فى غَوْثٍ نداها(١)

من الصعب أن يرى البحيرى ضمائر الأمه ووجدانها على هذه الحاله المأساويه، متجاهله ما يعصف بها يومياً ويُحاك ضدها، ولذا أخذ يتساءل: إلى متى تبقى القدس مكبّله والنّار تشتعل بأركانها منذ أن دلعها التيار الصهيونى المتطرف عام (١٩٤٨ م).

٣. خطاب الضمائر فى الستينيات

إن الضمير هو الصوت الباطنى العادل والنور الذى يبزغ فجر الحريه من أبوابه، إذ هو دائماً يدعو إلى الخير وتجنّب الشر ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وماحلّ بالقدس من غضب واعتداءٍ وسفك دماء هو المنكر نفسه والشر ذاته، ولذا حاول شعر القدس عرض القضيه على الضمير العربى والإسلامى إثاره للحميه، وتصعيداً للغيره، وللإمعان فى عمق الجراح، وقد امتزج هذا العرض الشعرى بالألم والحزن، وحرقه القلب، عند أكثر روّاده لاسيما شعراء الأرض المحتله أمثال الشاعر

١- (١) حسن البحيرى، الأنهر الظمأى: ص ٥٨.

حنا جاسر فى قصيدته (ململس الرشاش - ١٩٦٩ م)

فيمَ التكلّمُ، لا مجدٌ ولا عِظَمُ توافر الشّعرُ فينا، وانطوى الشمّمُ

مَنْ أرضُهُ، دنّستْ أقداسَها قدمٌ الصمت أجدى له، والموتُ والعدمُ

أو ينفث الشعر نيراناً مسعّرةً فى كلّ قافيةٍ، حرّيةٌ، ودمُ

عارٌ نزيّن للذكرى منابرنا ومنبرُ الحق سادت فوقه الظُّلَمُ

عارٌ وفى القدس أعلامٌ مسدسةٌ يئن تحت لظاها القبرُ والحرمُ(١)

فأخذ الشاعر يهز الضمائر ويوقظ الوجدان ويقرع غيره الأمه وزعماءها بتكرار كلمه عار أكثر من مره، وكأنه يرى الموت أجدر بالإنسان من أن يبقى حيّاً وينظر إلى القدس يرفرف فوقها العلم الصهيونى والشعب يعيش المأساه والاضطهاد وأرضه مدنّسه.

أمّا قصيده (المسجد الحريق - ١٩٦٩ م) التى نظمها برهان الدين العبوشى بعد المبادره الصهيونيه لحرق المسجد الأقصى، فقد خاطب فيها الوجدان العربى من المسلمين والمسيحيين معلناً أن المساجد والكنائس لله سبحانه، وطلب أن تهبّ الأمه لحمايه القدس والمقدسات فيها من الأعداء إذ هى مدينه إسلاميه ومسيحيه وقد انتهك العدو قداستها، ولابد من حمل السلاح بوجه البطش والجبروت الصهيونى لتكون النتيجه هى تحرير القدس وطلوع فجر الحريه والعداله:

يامسلمون ويا نصارى يَعْرُبٍ لم يُلْهِنى الأقصى بنارِ رثائِهِ

إن المساجد والكنائس كُلَّها لله فاحْمُوا القدسَ من أعدائِهِ

فإذا عَزَمْتُمْ فالسلاحُ سبيلُكم فاستشهدوا تَلْقوا جزاءَ فدائِهِ(٢)

ص:١٠١

١- (١) حنا جاسر، أمه وجراح: ص ٨٣ و ٨٤.

٢- (٢) برهان الدين العبّوشى، ديوانه إلى متى: ص ٢٧.

۴. الضمیر العربی فی السبعینیات

القضیه الفلسطینیه کان لها النصیب الأوفر من نتاج الشاعر الفلسطینی محمود حامد، ولیس هذا مستغرباً من شاعر مناضل وصاحب ضمیر حیٍّ عـانی فـداحه المصـاب وهوله، ورآه بـأمِّ عینه فهو یعیش لهب المأسـاه ویکتوی بلظاهـا، مفنّـداً الـذین تسـببوا بها تاره والمتخاذلین الذین لا یحرک ضـمائرهم أنین القدس ونحیبها تاره أخری. فهو یهاجم باعه القدس ومقترفی الجریمه مره ویتوسـل بالنخوه العربیه مره ثانیه، ینظم قصیدته (عوده الطّاعون - ۱۹۷۸ م) قائلاً:

وصوتک الداوی یمزقنی

یمرُّ أمام باب المسجد الأقصی

ویرکع باکیاً ویظل یصرخ: یا تراب المسجد الأقصی..

أنا المغلول عبر جراح مصر، فمن یخلصنی؟؟؟

أتیتک یا ترای المسجد الأقصی

فلا تنظر إلیّ بحزنک المذبوح.. إنَّ الحزنَ یقتلنی

حملتک یا تراب المسجد الأقصی بذاکرتی سنین طوال،

کنت ملامح الأبطال، والشهداء، والأشعار،

أتیتک یا تراب المسجد الأقصی

وساعهَ قبّلَتْ شفتایَ وجهَکَ، کنتَ تسقطُ أنتَ..

قد باعوک ثانیه، وثالثه، وعاشره،

لقد باعوک یاوطنی

بکیتک کیف تصبح فی ثوان ملک إسرائیل،

کیف قبابک الخضراء

تنکسر البیارق فوقها؟؟؟ والریح تنعیها؟؟؟

وکیف القدس عاریه، أمام مقابر الشهداء

تصرخ نخوه العرب الأباه،

وليس من رجل يلبّيها؟؟؟

هل الأرحام أضحت فى زمان المحل خاويه؟؟؟

وهل ساح الأباه عفت على أشلاء ماضيها؟؟؟.(١)

توجه محمود حامد بخطابه الحزين إلى نيل مصر قائلاً: هل يا نيل تعرفنى؟؟؟ فالشاعر حكى قصه الماضى المجيد وذكَّره بصحراء سيناء، والرابطه الأخويه، والعلاقه الوديه التى كانت بينهم، متأسفاً على الحاضر الردى لأنه تغيّر فيه الكثير!، فالجواب: أصبح النيل مكبلاً بالسلاسل والأغلال (لعل الشاعر يشير إلى معاهده كامب ديفيد)، ويريد التخلص منها، معيداً إلى ذاكرته بطولات الماضى، وملامح الأبطال والشهداء، استمر النيل ينادى كيف يمكن أن ترفرف أعلام العدو الصهيونى فوق المسجد الأقصى؟ أين الضمائر الحيّه؟ أين النخوه العربيه؟ أين الأمه الإسلاميه؟ أين..؟

۵. خطاب الضمائر فى الثمانينيات

كلما مرّت السنون أخذت آمال شعراء القدس تذوب وتتبخّر يوماً بعد يوم لأن أبناء يعرب ساكتون على الضيم وهم يرون جرح القدس ونزيفه ويسمعون أنينه.

أمّا سليمان العيسى ففى قصيده (الأرض... والجسد – ١٩٨٩ م) يرى الكيان الغاصب قد شيّد دويلته على أشلاء الشهداء وبيوت أبناء وطنه، وهذالم يحدث إلّا بعدما غاب الضمير العربى عن الساحه الفلسطينيه وترك خنجر بنى صهيون فى خاصره القدس الداميه، وبعدما اتصف بالخذلان بعض الأنظمه العربيه الذين عمدوا لبعثره الشعوب وتشتيتها بدلاً من

١– (١) محمود حامد، موت على ضفاف المطر: ص ۴٠.

توحيدها، مع هذا كلّه يبدو الشاعر بأنه متفائل إذ يقول:

فوق دمى تَرْتَصِفُ

«نَظَماً» تَرْتَصِفُ

«قِمَماً» تَرْتَصِفُ

عند قمعى وحده.. تأتَلِفُ

والخِلافاتُ

على وَأدِىَ لا تختلفُ

كانت الطَّعْنَهُ فى القلبِ.. وشَقَّتْ جَسَدى

فأنا شطرانِ.. لا يَلْتَقيانْ

عربياً كان منذُ الطعنهِ الأولى الصِّراعْ

عربيّاً.. سوف يَبْقى نتردَّى فيه.. نَشْقَى

لم نَزَلْ نَسْقيه غالى دَمِنا..

عِرْقاً فعِرْقاً

عربيّاً كان ميدانُ الصِّراعْ

ومنَ القدس.. إلى أقصى الجراحاتِ الزَّماع.(١)

۶. التسعينيات وخطاب الضمائر العربيه

الخطاب فى هذه الفتره الزمنيه يشبه الخطاب فى المراحل السابقه، فاللهجه هى اللهجه، التقريع واللوم للضمائر الخامده مرّةً، وإثاره الشعور والمروءه ثانيه، أمّا الهدف فهو تحرير الإنسان الفلسطينى ووطنه من عبوديه الاحتلال، ومن هذا القبيل أبيات الشاعر اللبنانى عفيف النابلسى والتى نظمها فى يوم القدس العالمى عام (١٩٩١ م) إذ يقول فيها:

١- (١) سليمان العيسى، الأعمال الشعريه: ٤٥٠/٤ و ٤٥١.

ماضٍ إلى القدس فى وتْرٍ من الزمنِ ياعاشقَ القدس خفّفْ ثوره الوسنِ

خمسون عاماً وقدسُ القدسِ منهتكٌ والقدسُ تصرُخُ بالشكوى وبالشجنِ

أين الذين أعزّوا القدس من زمنٍ وشيّدوا فى حماها دارسَ السُّننِ

ما بالُهم قصَّروا عن صون حرمتها كأنها دمنةٌ من سائر الدِّمنِ(۱)

فحاول الشاعر إثاره الضـمير العربى والإسـلامى تجاه ماحـدث ويحـدث فى القدس وبأولى القبلتين مطالباً الضـمائر بأن تبادر إلى وضع حدٍّ لانتهاك مقدساتها.

جدول أهم قصائد موضوع استصراخ الضمائر العربيه والإسلاميه حسب الترتيب الزمانى

ص:۱۰۵

۱- (۱) عفيف النابلسى، نفحات عامليه: ص ۵.

إرجاع العرب إلى ماضيهم المشرق

اشاره

لعلّ من أهمّ الدواعى لشعراء القدس لإرجاع الأمه العربيه إلى ماضيها المشرق هو تذكيرها بأمجادها والسالف من أيّامها، محاوله لربط حاضر خير أمّه أخرجت للناس بغابرها المنصرم لتتواصل مسيرتها، ويقتدى بها الأحفاد متذكرين مئات السنين التى كانت فيها الأمه العربيه والإسلاميه زاهيه عزيزه مزدهره، لكى يؤمنوا بأنفسهم وقدرتهم، وأنه ليس من المحال إعاده الماضى وما يحمل فى طياته من إشراق وثبات ومعنويه سجلت لهم عبر التاريخ، وهاهى الأمه العربيه لم تمت وإنما غشيها ما غشى الغير من الغفله والذوبان، ونسيان ما عندها وما تملك من قدرات ماديه ومعنويه، ولم تقف الأمه فى حاضرها على هذه الحدود بل تبعثرت وأخذها رعب العدو، وكَبُرَ فى أعينها ما يمتلك، لذا أدرك الشعراء الملتزمون هذا الخطر الفادح الذى سرى فى شرايين أمتهم حينما تناست بل نسيت عهدها ومجدها الماضى.

ومما دعا للإحساس بالخطر هو الشعور بالحاجه إلى التذكير بأمجاد السلف وكفاحهم المستمر عبر عددٍ من القصائد الهادفه لقضيه فلسطين وتحرير قدسها الشريف، نتناولها فى هذا الموضوع حسب تسلسلها الزمانى إن شاء الله تعالى.

۱. القدس وماضى العرب فى الأربعينيات

ماضى الآباء والأجداد المشرق والتاريخ النيّر والمستند إلى البطولات، خَلَقَ فى ذهن الشاعر حسن البحيرى سيفاً بتّاراً حينما سمع بقدوم الجيوش العربيه

ص:۱۰۶

إلى فلسطين إذ لاح له أفق النصر وهزيمه العدو ممّا جعله يتغنّى بقصيدته (لنا النصر - ١٩٤٨ م) معبّراً عن فرحته الكبيره قائلًا:

لنا النصرُ.. لا لِفُلول العِدى ضَمِنّا له يومَنا والغَدا

فنحن، بنى العرب، من أمَّةٍ مُؤَثَّلَةٍ فى العُلا مَحْتِدا

أرادَ الخُلُودُ بها غايةً تَعِزُّ على وَهْمِهِ مَقْصِدا

ونحن على ذِرْوهِ الخافقَيْن وَطِئْنا بأقدامنا الفَرْقدَا

وفَوْق السَّماءِ، وراء النُّجوم تَخِذْنا لنا فى العُلا مَقْعَدا

أخى قِبْلةُ «القُدْس» لو أُنْصِفَتْ لَرُحْنا لها رُكَّعاً سُجَّدا(١)

ولكن عندما حدث ما حدث من التقهقر أضاعت بعض الأنظمه العربيه ماحققه التاريخ عبر القرون، وهدمت ما بناه الأجداد من الأمجاد ومنعوا من أن يقتدى الابن بأبيه لكى يسجّل صفحه مشرقه فى حاضره ويضمها إلى ماضيه.

٢. القدس فى الخمسينيات والستينيات

من خلال تتبعى لنصوص شعر القدس فى سوريه ولبنان وفلسطين لم أعثر على قصائد تتناول القدس فى هاتين المرحلتين تهدف إلى تذكير الأمه العربيه بماضيها وتاريخها الزاهر، ولعلّ السبب فى ذلك هو أنه حينما شاهد الشعراء استعداد الجيوش العربيه، والحماسه الشعبيه، وفى الوقت نفسه ما لمسوه من تصميم قاطع لسحق العدو الصهيونى وتطهير وطنهم منه، لم ير الشاعر المقدسى ضروره استحضار الماضى المشرق بكل دروسه وعبره.

١- (١) حسن البحيرى، ديوان «حيفا فى سواد العيون»: ص ٧٠ و ٧١.

۳. السبعينيات والتذكير بالماضى

نكسه حزيران وتـداعياتها جعلت الخُلَّص لعروبه مقدسـهم وإسـلاميته لاسـيما الشـعراء يلتفتون إلى التاريـخ، تاريـخ الأمه الملىء بالبطولات والفتوحات، وإلى ماضـى الآباء والأجـداد ومحاوله منهم لاسـتلهام العِبَر بعدما فقدوا آمالهم فى أمّه وأنظمه لم تتمكن من إعاده وطنها، وهى تتهاون بمقدساتها متناسـيه هويتها وجذورها العربيه والإسلاميه، هذا الذى جعل الشاعر هارون هاشم رشيد فى قصـيده (جـذور – فى السـبعينيات) يفخر بـأنه عربى من فلسـطين، من القـدس، من أرض كنعـان يمشـى مرفوع الرأس اعتزازاً بتاريخه الشامخ وأمجاده فيقول:

أجل إنى من القدس وفيها قد نما غرسى

جذورى فى عروق الصخر فى الصُلْد، وفى المُلسْ

ومن كنعان بى نبض ومن عدنان، من قيس

من الماضى، من الحاضر من يومى، ومن أمس

عريق المجد والأنسا ب مشدود إلى الشمس

بها أختال فى الدنيا وامشى رافع الرأس(۱)

وأمّا الشاعر اللبنانى نجيب جمال الدين فى قصيده (عُنْوانِى عَلَى بَرَدَى – ۱۹۷۷) فإنّه يهاجم الذين حفظوا شيئاً وغابت عنهم أشياء إذ يهلِّلون لماضيهم وغفلوا عما هم فيه قائلاً:

ومُسَلْسَلَ الفخرِ القديمِ

أما انتهى وَقْتُ الهُراءِ

وَذَلِكَ الغَثَيانُ

ص:۱۰۸

۱– (۱) هارون هاشم رشيد، مفكره عاشق: ص ۱۴.

مَرْضى.. وقَبْرُ الأمْسِ يُشْرِعُ بابَهُ

وَمنَ الجديدْ

تُهَيَّأُ الأكْفانُ

وَنصُوغُ مَعْرَكَهَ الكلام

فَجِنَّهُ فُرْسانُنا

وَخُيُوْلُنَا عُقْبانُ

وتُدَاسُ أقداسُ البِلادِ

وَقُدْسُها

والافتخار مُعَرَّشٌ نَشْوانُ.(۱)

فهو يرى بعين البصيره أن لا جدوى فى الحديث عن الماضى ونبش القبور والفخر بأهلها وهم سبات يأسفون على الذين أضاعوا القدس من بعدهم ولم يرحموا صرخاتها تحت سنابک الإرهاب الصهيونى وحكومته العنصريه ولم يرحموا حتى أنفسهم إذ الموت يدبُّ فيهم وهم نائمون.

۴. عبر الماضى فى الثمانينيات

يتوجه الشاعر عبد الكريم الحمصى بالخطاب إلى أمه العُربِ التى خرج منها الرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه و آله وقاد ثوره تحرير لأبناء البشر، وبعدما فتح القلوب والعقول قبل الحدود بنى تلک الحضاره الإنسانيه الساميه، بهذه العظمه، كيف تنسى؟، فخطاب الشاعر فى قصيدته (ألحان من اليرموک - الثمانينيات) خطاب لاذع ونقد لحاضر أمته العربيه التى لم تلتفت إلى ماضيها لتأخذ العبره من تلک الفتوحات الكبرى التى سجّلها التاريخ على أيدى عظمائها، وأبطالها، ولكنه الآن يرى يروا القدس يعبث الجناه بها فساداً:

۱- (۱) نجيب جمال الدين، قصائد إلى عاصمه المدن الشرقيه: ص ۶۵ و ۶۶.

لمّا ذكرتُ القدسَ هَزَّ مشَاعرى

ألمٌ يهزُّ بطبعِه الشعراءا

يا أمّةَ العُربِ التى أيّامُها

كانت هدىً وحضارةً وبناءا

يا أُمَّةَ العُرب التى أرحامُها

وَلَدَتْ بنىَّ الحقِّ والعظماء.(١)

انطلاقاً من هذه الرؤيه جاءت اهتمامات الشاعر كمال رشيد فى قصيده (سعد – فى الثمانينيات) بالعزه والكرامه العربيه والإسلاميه التى كانت لسلف الأمه، ويراها الشاعر اليوم أصبحت هزيله نتيجةً لعدم الشعور والإحساس بالمسؤوليه بل الانخراط فى منتجع اللهو، واللعب والمفاسد الأخلاقيه – كشرب الخمور والملذّات الجنسيّه – مما زاد فى الابتعاد عن الماضى المشرق للآباء والأجداد، الذى لم يحصلوا عليه إلاّ بالمجاهده والجهاد المادى والمعنوى:

عبَثٌ يمزِّق عزةً سلفت أيام كان الحزم والجدّ

زمن يمر بغير ما ثمن عمر يضيع ودونه الرشد

فنهارنا سعىٌ بلا هدف والليل منا الخمر والنرد

لهوٌ وأموال وأرصده كأس وجنس ذاكم المجدُ

والمسجد الأقصى يؤرِّقه هذا العقوق يسوؤه البعد

والصامدون هناك طال بهم ليل الأسى أضناهم الوجد(٢)

لعلّ كمال رشيد أراد من توجيه الخطاب لسعد، كل من يقود جيش تحرير القدس ويعيدها إلى أهلها وأصحابها حينما يكون قلبه مطمئناً بالإيمان،

١– (١) عبد الكريم الحمصى، ديوانه، ألحان من اليرموك: ص ١١٨.

٢– (٢) كمال رشيد، القدس فى العيون: ص ٦٤.

ولم يجعل اليأس والقنوط ينفذ إليه، فهو يرى رايه النصر برقت أمامه وحان موعد النصر وأن يحتفل الشعب الفلسطينى ورايه التحرير تخفق على رأسه عاليه شامخه.

۵. الإشاده بالأمجاد فى التسعينيات

هناك أصل متفق عليه وهو: مَنْ لم يكن له ماضٍ فماله من حاضر ومن ليس له حاضر فماله مستقبل، نظراً إلى هذا الأصل، عالج كثير من الشعراء قضيه القدس من هذه الزاويه، وأخذ يتغنّى بالماضى ويفاخر به، لعلّه يكون مجدياً فى إنقاذ الحاضر العربى والإسلامى المأسوف عليه، نلمس هذا بوضوح عند الشاعر السورى عبد اللطيف محرز فى قصيدته (النشيد الثالث - التسعينيات):

وتنادى قدسٌ ولا من مجيبٍ ليس إلَّا صدى أنينِ الوادى

يا إلهى هل أُطفئ الجمرُ فينا وغدونا مواقداً من رماد؟

كيف قدنا الدنيا ونرضى أخيراً حول أعناقنا حبال انقياد؟

هى بلوى وسوف نخرج منها بنموِّ الأجداد فى الأولاد

برجوعٍ لمنبع الوحى نوراً واقتناص الآفاق والأبعاد

يا عليُّ، ها حصن خيبر قد عاد وعادت جحافل الأوغاد

فتسلَّم من أحمد رايه الفتح وشمّر عن همّه الآساد(۱)

قارن الشاعر، الماضى بالحاضر وأخذ يتساءل عمّا حلّ بنا بعدما كنا ناراً تلظّى وجمراً يتوهّج، كيف أصبحنا موقداً من رماد؟! لكن الشاعر استطاع أن يقدّم الحلول لهذه الحاله المأساويّه حين قال إنها كارثه، وسوف نخرج منها حينما يحذو أولادنا حذو الأجداد ويسلكون مسلكهم، بأن يرجعوا إلى منبع

۱- (۱) عبد اللطيف محرز، أناشيد الحق فى رحاب على عليه السلام: ص ۲۲۴-۲۲۵.

الهـدی ویتزودوا من العلم والتقوی، (... فَإِنَّ خَیْرَ الزّادِ التَّقْوی...) .(۱) ثم التفت الشاعر إلی التاریخ وإلی أمجاد العرب والإسلام، فوجّه الخطاب إلی الإمام علی علیه السـلام قائلاً له: إنّ حصون خیبر قـد عادت، ولعل عبـد اللطیف محرز لجأإلی اسـتذکار هـذه الشخصیه العظیمه وقلعها باب خیبر، استنفاراً لأمه علّها تعید الأیام تلک وتطرد الصهاینه الغزاه وتحرر القدس من غاصبیها، وفی - ظننا - إن الشاعر قـد نجـح بتقدیمه هذه الحلول إذ انّها أثبتت مفعولها فی عده مواطن فی الماضـی والحاضـر، وهاهی أمه القسام ونصر الله ویاسین ولبنان دلیل علی ذلک.

جدول لأهم قصائد شعر ماضی العرب المشرق حسب الترتیب الزمانی

ص:۱۱۲

۱- (۱) البقره: ۱۹۷.

الشجاعه وحجاره الغضب

اشاره

أنين القـدس المكبّله بسـلاسل الاحتلال هو الـذى فجّر بركـان حجـاره الغضب المكتوم والـذى تراكم لأكثر من ثلاثه عقود من سالف الزمن حين فشـلت كل المحاولات العسـكريّه والتطبيع والمساومات السياسـيه، بعد أن لفّها الشـعب الفلسطينى الثائر بخرقه الذّل والخضوع لدفنها فى مزبله التاريخ ليبدأ مسلسل انتفاضته الباسله لكى تتحول - بالفعل - إلى منهج حياه شعب سُلبت أرضه، وانتهـك عرضه. هى انتفـاضه تُـدمى العـدوَّ كمـا يُـدمى هو، ويُقتَـل كما يَقْتُل، هـذا أبرز حصادٍ بعـد زمن طويل من تجرُّع مراره الهزيمه المذله والمخزيه، هى انتفاضه قضت على عمليه التخدير العربى الذى قام به زعماء التطبيع لتجرّع كأس الخنوع، والتكيّف مع الاحتلال الغـاشم، هى انتفاضه أشـعلها أطفال اتّسـموا بالشـجاعه العربيه والسـمات الإسـلاميه والإنسانيه، ولقـد ثبت للعالم أن سلاح الحجاره إذا اتصف بالحق أصبح أقوى وأشد من قصف الطائرات والدبابات، إذ هو السبيل الوحيد لاقتلاع الغده الصهيونيه القاتله، وتبديد أوهام العدو حجاره الغضب هى التى جعلت الكيان الغاصب يشعر بالهزيمه والتراجع أمام إراده الشعب الفلسطينى المضـطهد، بل كل شـعب تعرّض للعدوان وللاحتلال ليدافع عن نفسه وحقوقه. ولشـعراء الشـعر المقدسـى دورٌ كبير فى اسـتمرار انتفاضته ليصبح حجر الغضب من دواعى شعرهم واتجاهاته العربيه، وهذا ما سنلاحظه فى هذا الموضوع إن شاء الله تعالى.

ص:۱۱۳

١. انتفاضه الثمانينيات وحجر الغضب

«إن الانتفاضه هى حرب التحرير التى يخوضها الشعب الفلسطينى، فالتاريخ يعلّمنا أنه لا توجد أمّه عندها استعداد أن تعيش تحت هيمنه شعب آخر، وأن حرب التحرير التى يخوضها شعب مضطهد ستنجح حتماً»، هذه من تصريحات مايكل ابن مائير،(١) الذى عرف حقيقه الانتفاضه وحتميّه انتصارها على شعب لقيط أراد أن يحل مكان شعب آخر زوراً وعدواناً لأول مره فى التاريخ، وهذا ليس من الممكن كما يقول (إبراهام يحموشع) متسائلاً «هل بإمكانكم أن تأتوا بمثال واحد فى التاريخ نجح فيه شعب فى السيطره على شعب آخر لفتره طويله؟»(٢) بناء على هذا فمن الطبيعى أن ينتفض شعب حاملاً ـ بيده حجاره الغضب، إذ هى السلاح الوحيد الذى يمتلكه جاعلاً منه حجاره سجّيل لتحوّل غطرسه الإرهاب وعنجهيته إلى عصف مأكول، وهذا الذى فجّر قرائح شعراء القدس بالقصائد الفريده فى نوعها مهلهله لقذف حجاره الشبان والأطفال لكى يقلبوا كل معادلات الاحتلال وإرهاب الدوله على رأس كيانه، كما يصرّح الشاعر سليمان العيسى فى قصيده (نشيد الحجاره - ١٩٨٧ م) مستبشراً بحصاد ثوره الحجاره:

يا لَحْمَنا العربيَّ..

يامَنْ هانَ حتى كاد يخرجُ

من رقيم الآدميينَ..

التقط حجراً كهذا الطفلِ، واضربْ

مَرَّةً.. زحزِحْ لجامَ القَهْرِ، واضربْ

مَرَّةً.. جَرِّبْ شموخَ الرأسِ، واضربْ

ص:١١۴

١- (١) عبد الوهاب المسيرى، من الانتفاضه إلى حرب التحرير الفلسطينيه: ص ١٢۶.

٢- (٢) المصدر: ص ١٢۶، نقلاً عن جريده (يديعوت أحرونوت)، ٢٠٠٢/١/٢٢ م.

مَرَّةً.. قل أنْتَمی للدمِّ، لا للنفطِ، واضرِبْ

رُبَّما.. رَدَّتْکَ للأحیاءِ

للبَشَرِ الحِجارهْ

أبطالنا المتشبثون بأرضهِمْ وبشمسهِمْ،

وبزهره الرمانِ والزیتون فی أیدیهم،

لهُم تهیِّئُ ثوبَها القدسُ الجریحُ،

مُطَرَّزاً بالأرجوانِ..

وتستعِدُّ لِعُرْسها العربیِّ..

قالت لی الحجارَهْ..(۱)

فیری الشاعر أن الانتفاضه أخرجت قضیه فلسطین من العدم إلی الوجود وجعلت الإنسان العربی والمسلم یعود مرفوع الرأس، یعیش فی عالم الأحیاء وصاحب رؤیه واضحه بأن یوم النصر لاح فی أفق سماء فلسطین، وتهیّأت القدس لتلبس ثیابها القشب، ثیاب التحریر.

وأمّا الشاعر کمال عبد الرحیم رشید فی قصیدته (الله أکبر – فی الثمانینیات) فإنه یستبشر بأخبار الانتفاضه وثوره الحجاره علی ید الفتیه الشجعان ویمجّدهم ویحیّیهم، فهو یری فیهم بارقه أمل إذ لعل الخطأ الذی ارتکبه الآباء والأجداد یغسله الأبناء والأحفاد فیقول:

ماذا أقول لکم؟ فی القدس أخبار کأنها فی عیون القوم أقدار

فی القدس نار علی الأعداء نازله وفی أیادی بنات الرّام(۲) أحجار

وفی مخیم أطفال لهم هِمَمٌ شمَّاء قعساء فیها النور والنار

۱– (۱) سلیمان العیسی، الأعمال الشعریه: ۳۸۵/۴ و ۳۸۶.

۲– (۲) الرّام: ضاحیه من ضواحی القدس.

حَشْوُ البنادق لم يُرهب بنى وطنى ولا القنابل صدَّت من لهم ثار

شبوا على الطوق، ردوا الظلم وانتفضوا فهم على الظلم والعدوان ثوار(۱)

وعندما اندلعت ثوره حجاره الغضب أشاد هارون هاشم رشيد فى قصيده (سفينه العوده – ۱۹۸۸) بثوّارها، ووجد فيها مشعلاً من مشاعل الأمل لتحرير الأرض المحتله وبارقه نصر على العدو المدجج بالدروع والأسلحه الفتّاكه، بعدما شاهد رعب وتراجع الصهاينه أمام حجاره الأطفال الذين كسروا شوكه العدو بشجاعتهم وإصرارهم على المواصله حتى النصر الموعود.

بوركْتِ غزّه، يوم أشعلتِ اللظَى لهباً، تموجُ بِهِ الديارُ وتنشرُ

بوركْتِ قاذفَهَ الحجارهِ هكذا تَثِبُ الشعوبُ، وهكذا تتحرَّرُ

حجرٌ إلى حجرٍ وألفُ قذيفهٍ ترتدُّ خاسِرهً بِهِ تتقهقرُ

تُمسِى الحشودُ الدارعاتُ أمامه ورقاً، يمزِّقُ خاسراً ويكسَّرُ

فإذا الجنود بكلِّ ماقد دجَّجُوا يتراجعون أمامَ طفلٍ يَزأرُ

فى القدسِ فى نابلس يهدرُ صوتها ويموجُ عاصفهً تمورُ وتنذرُ(۲)

فلقد بدّدت حجاره الغضب أوهام عصابه الإرهاب الصهيونى وجيشهم المسمّى بالجيش الذى لا يقهر، وزادت الشعب الفلسطينى الصامد عزماً وإصراراً على مواصله الطريق.

۲. الشجاعه وحجاره الغضب فى التسعينيات

تستمر ثوره الحجر ويحل عقد التسعينيات، تتفجر حجاره الغضب فى كل ربوع القدس وفلسطين لتصبح انتفاضه شعبيه عارمه، ولم تقتصر على الحجر فقط بل أخذ أبناء القدس، أصحاب الثأر السلاح لتكون لهم فى جنوب لبنان

۱– (۱) كمال رشيد، القد س فى العيون: ص ۴۵.

۲– (۲) هارون هاشم رشيد، ثوره الحجر: ص ۶۳ و ۶۴.

أسوه حسنه، هذا ماأشار إليه الشاعر اللبنانى عفيف النابلسى فى أبياته التى نظمها بمناسبه يوم القدس العالمى - ۱۹۹۰ م إذ يقول مخاطباً القدس:

مُدّى ذراعك للجنوب وتمدّدى فوقَ السُّهوبِ

فخذى الحجارهَ وارجمى عند الشروق أو الغروبِ

وخذى المقالع والزنودَ السمرَ مِنْ أهل الحروبِ

وخذى الرصاصَ وقطّعى كلّ المسالكِ والدروبِ

وخذى السيوفَ وجزرّى ياقدسُ فى باغٍ غصيبِ(١)

فيرى الشاعر أن استمرار الانتفاضه والثوره المسلحه هو الطريق الوحيد لتحرير القدس من الجلّادين. وأيضاً من زاويه ثوره حجاره الغضب.

٣. عام ٢٠٠٠ م وحجر الغضب

وينظّم الشاعر السورى خضر الحمصى قصيدته (إلى أبطال الحجاره - ٢٠٠٠) والتى يبدأها قائلًا:

صبُّوا الحجارهَ، واقْذفوْهم بالحِمَمْ فالمجدُ مجدُكُمُ، وأَعْظِمْ بالقَسَمْ

فخذى الحجارهَ وارجمى عند الشروق أو الغروبِ

ثم يقول:

سَنَرُدُّ للنصرِ المُؤمَّلِ عِزَّهُ وَسَيُزْهِرُ الليمونُ من بَعْدِ العَدَم

حطِّينُ دَقَّتْ والمآذِنُ كبَّرتْ وتراجع الطُّغيانُ والظُّلمُ انَهَزَم

والمسجد الأقصى على شُرفاتِهِ رَفَّتْ رُؤى الأعلامِ والنَّصرُ ارتسَمَ(٢)

روح الإصرار على الثوره والتحدى والمقاومه اقترنت بالأمل القوى عند الحمصى فهو يرى أعلام النصر ترفرف على شرفات الأقصى، ولهذا إن كان

١- (١) عفيف النابلسى، نفحات عامليه: ص ١٤ و ١٥.

٢- (٢) خضر الحمصي، ديوانه الليل والطريق: ص ١٣٧.

من دلاله فإنما هى ثقه هـذا الشاعر بالنصـر كسائر الشـعراء الذين تغنّوا بقصائدهم لثوره حجاره الغضب المنطلقه من أكف أطفال فلسطين الأشاوس هادفه إلى تحرير الأرض والإنسان من أغلال الاحتلال الصهيونى.

جدول أهم قصائد الشجاعه وحجاره الغضب حسب الترتيب الزمانى

القدس ودور الشباب العربى والمسلم

اشاره

أمر لا جدال بشأنه أن الشباب الفلسطينى والشباب العربى والمسلم شكّل قفزه كبيره فى التاريخ النضالى لقضيه القدس وتحريرها، وكـل من يطّلع على دور الشـباب وكفـاحهم المسـتمر يؤمن بـأنهم درع الأـمه وحصـنها وحمـاه الثغور وأوطانهـا على مرّ الأـزمنه والعصور ويستمد من روحهم الوثّابه والمتأججه، الصمود والكفاح، والمقاومه، والبطوله.

وهاهم شبيبه فلسـطين يسـطّرون أروع ملاحم النضال والفداء ويقدّمون الشـهيد تلو الشـهيد دفاعاً عن كرامه الأمه كلّها، من خلال مقاومتهم ومواقفهم

ص:١١٨

ضـد الاحتلال وآله العـدوان العسـكريه الصـهيونيه، ولقـد انبعث نور الرجاء والأمل من أعينهم، هم شـباب الانتفاضه التى أذهلت العالم بأسـره طول الأعوام المنصـرمه على الرغم من شراسه العدو وغطرسته وعلى الرغم من مشاريع العدو التآمريه الهادفه لتصفيه الشـعب الفلسـطينى بـأجمعه. هـاهو المسـتقبل يرنو إلى سواعـد الفـتيه الـتى آمنت بربّهـا وإصـرارها القوى على مواصـله الكفـاح والمقـاومه حتى دحر الاحتلال وكنس المسـتوطنات العنصـريه الصـهيونيه، ومن هـذا المنطلق بادر شـعراء القـدس لتسـجيل أروع القصائـد الفـذه للإشاده بـدور الشـباب العربى والمسـلم والشّـد على أيـديهم والأخـذ بنهجهم الثورى، إذ هم يـدافعون بكل فخر واعتزاز عن شرف الأمه وكرامتها، إنّها لمقاومه وكفاح حتى النصر وتحرير القدس.

القدس وشباب الثمانينيات

ممـا تجـدر الإشاره إليه قبل عرض ودراسه النصوص الشـعريه فى عقـد الثمانينيات من هـذا الموضوع، أننا لم نحصل على قصائد تركّز على دور الشـباب فى شـعر القدس مابين فترتى الأربعينيات والثمانينيات سوى بعض القصائد التى لم يكن للشباب فيها دور مقصود بالذات وإنّما كان ذكر الشـباب فيها ذكراً عابراً أمثال قصـيده (نشيد الجهاد - ١٩٤٨ م) للشاعر عبد الله يوركى حلاق(١) وقصـيده (بعد خمس سـنوات - ١٩٥٣ م) للشـاعر محيى الـدين الحاج عيسـى،(٢) وقصـيده (ياسـائلى - ١٩٧٧ م) للشـاعر جميل علوش،(٣) فحاول الشاعر توعيه الشباب الفلسطينى واستنهاضهم وإثاره الحماس فى نفوسهم تجاه مايحاك ضدهم تحت عناوين برّاقه وجذّابه لكنها تحمل فى طياتها السم القاتل.

١- (١) عبد الله يوركى الحلاق، حصاد الذكريات: ص ٥٥.

٢- (٢) محيى الدين الحاج عيسى، من فلسطين وإليها: ص ٦٠-٦٥.

٣- (٣) جميل علوش، صوت الشعر: ص ١٠٢-١٠٣.

لـذا شـمّرت هـذه الفتيه التى آمنت بربها فزادها هدىً عن سواعدها لتهبّ هَبَّةً واحده متسابقةً إلى تلبيه الواجب، مدافعةً عن أهلها وناموسـها ووطنهـا وقدسـها فـانطلقت إلى اتّباع الحق وطلب العلى وخوض المعركه لاستئصال الصـهاينه وقلع جـذورهم من قلب فلسطين والقدس مدينه السلام.

هكذا سـجّل لنا شـعر القدس دور الشـباب العربى والمسـلم تجاه القدس الشـريف، فالشـعراء مابين داعٍ للشـباب للتحلّى بالأخلاق الحميـده والارتفـاع إلى مسـتوى المسؤوليه، ومستبشـر بفجر انتفاضـتهم وبزوغ نور النصـر والحريه ببركه سواعـدهم وعلوّ همتهم وخالص نيتهم، وبين متشائم لما أصابهم من انصهار فى الثقافه الغربيه.

جدول أهم قصائد شعر القدس ودور الشباب العربى والمسلم حسب الترتيب الزمانى

القدس والمرأه العربيه والمسلمه

اشاره

الاهتمـام بـالمرأه والنهوض بـدورها فى قضـيه فلسـطين، مـاهو إلّا تعزيزٌ لمساهمتها فى انتصار الأمّه على عـدوها وتحرير قدسـها، وذلك إما من خلال

مشاركتها بشكل مباشر كحمل السلاح جنباً إلى جنب مع الرجل والدفاع عن الأرض والكرامه الإنسانيه، أو غير مباشر كإرضاع لبن حب المقاومه والشهاده لأطفال العروبه والإسلام ورعايه الأبطال والثوار، بل وفى جميع المجالات، وتحمّل المسؤوليه الكبيره الملقاه على عاتقها فى تربيه جيل واع ومثقف ليكون عنصراً فعّالاً ـ فى الدفاع عن وطنه وعزته وكرامته، كما كانت المرأه فى التاريخ المنصرم، إذ ضربت أصدق الأمثله وأروعها فى هذا الشأن من زوجه فرعون، إلى خديجه الكبرى عليها السلام، إلى فاطمه الزهراء عليها السلام، إلى زينب عليها السلام بطله كربلاء، ومروراً بجنوب لبنان وفلسطين، الأمهات الشامخات اللواتى قارعن ويقارعن الاحتلال ويلعبن دوراً مهماً فى الذّب عن الأرض والعرض، يشددن أزر الرجال ويلهبن حماستهم، وهذا لم يخفَ على الدنيا بأسرها حينما تشاهد المرأه العربيه والمسلمه كيف تزيّن ولدها، تعطيه السلاح ثم تزفه نحو الشهاده، ترفع يدها إلى السماء طالبه من الله أن يرزق فلذه كبدها الشهاده فى سبيل الله والوطن، وما أحوجنا اليوم إلى روح زينب عليها السلام والخنساء وهذا النمط من النساء فى مواجهه الاحتلال والإرهاب العنصرى الذى استهدف الإنسانيه كلّها تحت الشعارات المزيفه والخداعه، من هذا المنطلق حاولنا أن نسلّط الضوء بقدر استطاعتنا على هذا الموضوع.

١. المرأه فى السبعينيات

لم أعثر من خلال تتبعى لنصوص شعر القدس فى سوريه ولبنان وفلسطين على هذا الأمر إلاّ ـ فى عقود مابين السبعينيات والتسعينيات، وإن دلّ هذا على شىء فإنّما يدل على أنّ المرأه لاتزال بعيده عن أذهان بعض شعراء القدس، عن مكانتها ودورها الفعّال فى تربيه الجيل النضالى، ولكن البعض الآخر ركّز

على هذا الدور الرئيس والمهم، ومن هؤلاء الشعراء تغنّى الشاعر السورى عبد الله يوركى حلاق فى نشيده (نشيد مناضله – ١٩٧٠ م):

أنا بنتٌ عربيَّهْ قد حملتُ البندقيّهْ

وعلى كفِّيَ روحى ذَلَّ مَنْ خافَ المنيهْ

أنا مِنْ صلْبِ العروبهْ من فلسطين الحَبيبهْ

كيف يصفو لىَ عيشٌ وأراضينا سليبَهْ

إنَّ لى فى القدس دارا وعلى صهيونَ ثارا

لا يُعيدُ الحقَّ إلاَّ مدفعٌ يمطِرُ نارا

ليس دربُ النصر سهْلا فابذلوا الأرواح بذلا

قَدَمُ الثّوارِ غالٍ وتُرابُ القُدسِ أغلى(١)

فدور المرأه حسب ما يراه الشاعر – حلاق – لا يقل عن دور الرجل، إذ أنها تحمل السلاح وتدافع عن وطنها المحتل، ولا شك أن من الصعب أن ترى أخاها، أو أباها، أو زوجها، أو هم جميعاً صرعى، فيقيناً دمهم غالٍ ولكن تراب القدس أغلى، فهى لا يهدأ لها بال مادام وطنها فى قيد الاحتلال.

٢. الثمانينيات ودور المرأه

كلّما مرّت الأيّام ومضت السنون تجلّى دور المرأه أكثر وأكبر، وعلى هذا الأساس تنطلق كلمه كمال عبد الرحيم رشيد فى قصيدته (الحبيبه – فى الثمانينيات) يمجّد المرأه العربيه فيها مشيراً إلى بطولاتها وتضحياتها عَبْرَ التاريخ فهى لها أسوه فى أسماء والخنساء حين يقول:

ونساء الأقصى نساء فداءٍ كُلُّ أنثى فى أرضنا الخنساء

١– (١) عبد الله يوركى حلاق، عصير الحرمان: ص ٣٦.

هى أم الرجال أم الأمانى والتفانى وأختها أسماء

أرضعتهم لِبانَ عِزٍّ ومجد وتبارى الآباء والأبناء

أيُّهم يحرس الحبيبه يوفى بحقوق وللحقوق وفاء(١)

وللشاعر هارون هاشم رشيد قصيده (ورده على جبين القدس – ١٩٨٨ م) رسم لنا فيها صوره الزوجه التى تقدم زوجها قرباناً للقدس فى سبيل تحريرها، كيف تودّعه وهو حبيبها إنه لموقف منبعث من إيمان صادق بالقضيه وبالسبيل الوحيد المؤدى إلى التحرير والحريّه، سبيل الشهاده والصبر على الفراق حتى ولو كان زوجاً حبيباً.

هو فى طريق القدس،.. وهى عروسُهُ عِنْدَ «النُّصيرات» المحاصرِ تَرقُدُ

مازالَ فى أحشائها من نبضه أملٌ، من الحزنِ الكبير سيُولدُ

ماذا تُرى قالت له، لمّا مضى وبأى قلبٍ ودَّعتْ تَتَجَلَّدُ

هى مِثْلُ، كُلِّ الباسلاتِ نسائنا يَعرفنَ أن طريقَنا لا تُوصدُ

يعرفنَ أن الموتَ مِنْ غاياتِنا نرضى بلوعتِه، ولا نُسْتَعْبَدُ(٢)

فالعروس الفلسطينيه مَثَلُها كَمَثل سائر النساء الصامدات والمضحّيات اللواتى قدَّمنَ أولادهن وأزواجهن وإخوانهن فى سبيل الله وفى سبيل بزوغ فجر الحرّيه وإثبات الذات الفلسطينيه.

فأمنيه شاعر القدس هى تربيه الأولاد على حب الشهاده والثوره، والجهاد، وزرع بغض الصهاينه فى قلوبهم وإبعادهم عن الخنوع والذّل بركاناً على الإرهاب الصهيونى وأعوانهم المتآمرين ضد القدس وفلسطين، فهذا هو دور المرأه الفعّال ليس إلا.

١- (١) كمال عبد الرحيم رشيد، القدس فى العيون: ص ٤٧.

٢- (٢) هارون هاشم رشيد، ورده على جبين القدس: ص ٢٧.

جدول أهم قصائد «القدس والمرأه العربيه والمرأه المسلمه» حسب الترتيب الزمانی

ص:۱۲۴

٢. الدواعی والاتجاهات الإسلامیه

مدخل

لقد کان موقف الإسـلام واضـحاً من قضـیه الشـعر والشـعراء، إذ اتخذ منه وسـیله لخدمه مبادئه وقیمه الإسـلامیه، حیث کان لهذا الـدین الجدیـد شـعراء یدافعون عنه، أمثال حسان بن ثابت وغیره، وبقی للشـعر هذا الدور المؤثر إلی ساعتنا هذه فی وتیره تشـتد حیناً وتضعف أخری.

أمّا فی العصر الحدیث فقد شهد المسلمون بشکل عام تبلوراً لصوره الإسلام الحقیقیه التی تراکم علیها شیءٌ من الغبار والضباب، وذلک بجهود روّاد الاتجاه الإسلامی(١) الجبّاره، ومن ضمنهم شعراء هذا التیار(٢) الواسع الذین

١- (١) مرّت الیقظه الإسـلامیه فی العصـر الحـدیث بمراحل مختلفه وشائکه ابتداءً من السـید جمال الدین الأسد ابادی المعروف بالأفغانی، وعبد الرحمن الکواکبی فی الشام وأحمد یاسـین فی فلسطین وثوره الإمام الخمینی فی إیران التی لعبت دوراً کبیراً فی توعیه المسـلمین بل أتباع الدیانات السـماویه الأخری ضد المؤامرات الاسـتعماریه المحاکه ضدهم، ولذا نری فی عصرنا الحاضر توجّه کل الاتجاهات: الإسلامیه، والوطنیه، نحو التقارب والوحده للوقوف أمام الشر المتربص بهم، وهذا یبشر بالخیر والنصر.

٢- (٢) أمثال: أبو سلمی، عبدالرحیم محمود، هارون هاشم رشید، حسن البحیری، بدوی الجبل و..

دعوا الأمه أن تعود إلى إسـلامها الذى مَنَّ الله تعالى به عليها، حيث انطلق الشاعر من تصور إسـلامى وبدواعٍ ودوافع إسلاميه إلى قضـيه فلسـطين وقدسـها، والمشـكلات التى عصـفت بالوطن الإسـلامى والعربى. ويرى أصـحاب هـذا الاتجاه بأن قضـيه القـدس وفلسـطين هى قضـيه إسـلاميه فى المقام الأول قبل أن تكون عربيه، وأرض فلسطين حق لجميع المسلمين وليست لقوم أو قطر أو حزب خاص، وتحريرها لا يمكن إلّا عن طريق الإسـلام، إذ الإسـلام هو القادر على إلحاق الهزيمه بالعدو وإعاده القدس السـليبه للأمه لما فيه من قيم ترفض الاستكانه والهيمنه للعدو.

وحاول أصحاب هذا الاتجاه أن يلفتوا انتباه المسلمين جميعاً إلى ماضيهم المجيد والزّاهر وتراثهم الإسلامى الزاخر، يدعوهم إلى التمسـك والاعتزاز بعقائـدهم ودينهم القويم، فالشـعورُ الإسـلاميُّ هو أقوى البواعث والـدوافع للتضـحيه من أجل التحرير، علاوه على هذا فإن الدين الإسلامى الحنيف هو دين الإخاء والديمقراطيه والحريه، ويجسّد الوطنيه(۱) بكل صدق ويحترم الديانات(۲) ولا يفرق بين نبى وآخر(۳) مما يجعل الأمه، أمه إسـلاميه متماسـكه مع بعضها البعض، وهذا هو الذى دعا شعراء هذا الاتجاه أن يبـادروا لنظم شـعرٍ تبلـورت فيه أهـداف شـريفه سـاميه ومحـاور مقصوده، أهمهـا: اليقظه الإسـلاميه، والثوره والجهـاد، والصـمود والمقاومه، والشهيد والشهاده، ويرون هذا هو

۱- (۱) الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: حب الوطن من الإيمان.

۲- (۲) (إِنّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَوْحَيْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْـماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ عِيسى وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هارُونَ وَ سُلَيْمانَ وَ آتَيْنا داوُدَ زَبُوراً) [النساء: ۱۶۳].

۳- (۳) (قُولُوا آمَنّا بِاللّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ ما أُوتِيَ مُوسى وَ عِيسى وَ ما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) [البقره: ۱۳۶].

المنهج السديد لإحراز النصر واسترجاع الأرض المحتله وعلى رأسها القدس الشريف، ولذا سوف نسعى ونحاول بقدر ما نستطيع فى هذا الفصل، التوقف عند كل محور منها وإلقاء الضوء على شعر القدس فيها ومدى مساهمته فى دعم القضيه من خلال تلك المحاور وكيف انتهى لها وانتصرت له وفجّرت قرائح أهله، وكيف جعل كل واحد منهما الآخر حيّاً وفعّالاً.

القدس واليقظه الإسلاميه

لقد كان أهم أسباب التراخى والتراجع الذى عاشته الأمه الإسلاميه، والذى كان أسدل بظلاله عليها عقوداً طويله من الزمن، هو فصل الجيل عن تراثه المجيد والحيلوله دون معرفه حقيقه ذلك التراث ومافيه من قيم إنسانيه وروحيّه، إسلاميه عاليه المضامين، وبات من الواضح أن هذه المؤامره لم يكن للاستعمار الأجنبى وحده الذى نسج خيوطها بل شاركه فى ذلك عالماً أو جاهلاً بعض أبناء الأمه، ولذا «تغيرت عقائد الإسلام الحرّه النقيه فى نفوس الكثره من المسلمين كما يتغيّر الشراب الخالص فى الإناء القذر!

انحلّت الأخلاق فلا۔ تتماسك فى قول ولا۔ فعل، وتقطعت القلوب فلا۔ تتواصل فى دين ولا وطن»(1) وهيمنت أخطار هددت مستقبل الأمه بأسرها وكادت تمحو معالمها وقيمها وتراثها وتجعلها فى متاحف التاريخ، وذلك بعد طمس قواعد الإسلام الفكريّه وأُسس بنيانه الاجتماعيه والأخلاقيه والسياسيه والاقتصاديه، التى ظهرت كالشمس فى رابعه النهار لاسيما فى القرن التاسع عشر للميلاد، ولكن لم يمض شطر من الليل وإذا «بيقظه الوعى الإسلامى التى بدت فى تعاطف المسلمين على البُعد، تناصرهم فى القرب وتحالفهم على الأحداث لأشعه من تباشير الصباح قبلها الليل المظلم وبعدها النهار

١- (١) أحمد حسن الزيات، وحى الرساله: ٩٩/۴.

المشرق»(۱) فشهد عالمنا الإسلامی والعربی فی العصر الحدیث جمله من التحولات بعد ما استشعر خطوره مایدبُّ حوله فانطلق لیدافع عن کیانه، ووجوده، وذاته، داعیاً للعوده إلی تراثه وروح إسلامه الأصلیه، وفی ظل هذه الیقظه نشأ کثیر من الشباب أو تأثروا بها فنظروا للإسلام نظره لعلها تختلف عن النظره السابقه، وهذا ماحدث عند حزب الله فی لبنان وحماس والجهاد فی فلسطین وبعض البلاد الإسلامیه الأخری، حیث رأت الإسلام سِلماً لمن أراد السلام ومقاومه لمن سولت له نفسه التطاول والعدوان.

هکذا نمت وترعرعت الیقظه الإسلامیه وخرجت الأمه عن طوق غفلتها، وأخذت تستعید حیاتها، تنظر بعین الیقظه والالتفات لما یُحاک ضدها.

ملامح الیقظه الإسلامیه فی القدس

کانت المشاعر الإسلامیه قبل ظهور المجلس الإسلامی الشرعی الأعلی برئاسه الحاج أمین الحسینی عام «۱۹۱۷» قویه جداً إلّا أنها فردیه غیر منظمه ولم تکن ذات منهج واضح، ولکن مع ذلک تفجرت عنها ثوره موسم موسی النبی فی القدس «أبریل ۱۹۲۰» وثوره یافا «أیار ۱۹۲۱» وبعدها انتفاضه البراق «آب ۱۹۲۹» ثم ظهرت هیئات شعبیه منظمه أبرزها جمعیه الشبان المسلمین التی کان لها دورٌ فی الحفاظ علی مبادئ الإسلام وبثّ الوعی الإسلامی، وهکذا ظهرت الحرکات الإسلامیه واحده بعد الأخری، أنشطها حرکه عز الدین القسام عام (۱۹۲۵–۱۹۳۵) التی عُرفت بمنظمه الجهاد المقدس، وأخذت الیقظه الإسلامیه تتسع نقطتها وتشارک فی معارک تحریر القدس مثل معرکه باب الخلیل والقسطل، والحی القدیم فی القدس، والقطمون»،(۲) وفی

ص:۱۲۸

۱- (۱) المصدر: ص ۱۰۱.

۲- (۲) عارف العارف، النکبه: ۳۲۶/۱.

عام (۱۹۵۷) نشأت حركه الفتح ولها جذورها الإسلاميه، وبرز الوعى الإسلامى والوطنى وتجلّى أكثر، بعد كارثه حزيران (۱۹۶۷) حين تراجع التيار القومى شيئاً ما خصوصاً فى فلسطين وعند ذاك أصبح الاتجاه الإسلامى من أقوى الاتجاهات على الساحه الفلسطينيه. وفى عام (۱۹۸۰) برزت الظاهره الإسلاميه بعد إنشاء حركه الجهاد الإسلامى برئاسه الشهيد فتحى الشقاقى «إذ جاءت لتعبّر عن الإسلام كمنطق، والجهاد كوسيله، وفلسطين كهدف للتحرير»(۱) واكتملت اليقظه الإسلاميه عندما ظهرت بشكل رسمى حركه المقاومه الإسلاميه «حماس» معتبره الإسلام منهجاً منه تستمد أفكارها ومنه تسترشد خطاها،(۲) وهكذا انتشر الوعى الإسلامى حتى أصبحت الانتفاضه أحد الخيارات لحسم قضيه القدس، ولم يغب شعر القدس فى هذه المراحل «لأن الشعراء فى كل أمه هم عنوان حياتها ومقياس رقيها، ومتى صرفوا مواهبهم فى خدمه الأمه وتخليد مجدها، أصبحوا عنوان عزها ومطلع سعدها»(۳) ومن منطلق الإحساس بالمسؤوليه حمل بعض شعراء شعر القدس فى سوريه ولبنان وفلسطين نداء اليقظه الإسلاميه ليحققوا آمال شعوبهم وطموحها، ومن هنا جاء صوت الشاعر السورى بدوى الجبل فى قصيدته (من وحى الهزيمه - أواخر الستينيات) وهو واحد من الأصوات المنكوبه هول ما رأى وعظيم ما جرى، عن زلزال النكسه الذى هزّ المشاعر ومزّق الخواطر، فبدأ القصيده بتحليل الأسباب التى أدّت إلى هزيمه العرب والمسلمين ونكستهم المذلّه، حيث حمّل الشاعر المسؤوليه بالدرجه الأولى لبعض القاده الذين تخاذلوا

۱- (۱) مجله الوسط، ۳۰ كانون الثانى، لندن، ۱۹۹۵.

۲- (۲) المكتب الإعلامى، سلسله بيانات الحركه: ص ۶.

۳- (۳) علاء الدين وحيد، شعراء اليقظه الإسلاميه فى بدايه القرن العشرين: ص ۸۷، نقلاً عن على الغاياتى، وطنيتى: ص ۲۰.

فأماتوا بذلك جيوشهم وشعورهم حين يقول:

جَبُنَ القادَةُ الكبارُ وفرُّوا وبكى للفرارِ جَيْشٌ جَسورُ(١)

وهو الأمر الـذى عرّضـهم لنقد الشعراء اللاذع، وبسبب مواقفهم البعيده عن الحكمه والحنكه، يقول شاعرنا بدوى الجبل مخاطباً أبطال المعركه آنذاك:

هدَّكَ الذعرُ لا الحديدُ ولا النارُ وعِبءٌ على الوغى المذعورُ(٢)

وفى نظر الشاعر فإن هـذا التخاذل هو الـذى أدّى إلى ضـياع قدسنا الإسـلامى، وقـد نال كرامه الإنسان المسـلم ما نالها من خزى وعار. قصـيدته هذه تشبه قصـيده نزار قبانى «هوامش على دفتر النكسه» إلّا أنّها أقل حدّه وذات طابع دينى وإسـلامى أكثر، حين نرى أن الشاعر بـدوى بعـد ما بيّن بعض أسـباب الهزيمه توجه للمسـلمين لينعى لهم ضـياع القـدس، ولـذا بدأ «بهل» التساؤليه ثم اسـتعمل «أين» كـذلك بهـدف ايقاظ المسـلمين لتدارك الأمر، مذكراً إيّاهم بماضـيها العربى والإسـلامى وتلاوه القرآن فيها إذ يقول:

هل دَرَت عدنُ أن مَسْجِدَها الأق – – صى مكانٌ من أهلِهِ مهجورُ

أينَ مسرى البُراقِ، والقدسُ والمهدُ وبيتٌ مقدّسٌ معمورُ؟

لم يُرَتَّلْ قرآنُ أحمَدَ فيه ويُزارُ المبكى ويُتلى الزبورُ

طُوىَ المصحفُ الكريمُ، وراحتْ تتشاكى آياتُهُ والسطورُ(٣)

بعـد التساؤلات التى طرحها الشاعر أخبر المسـلمين بما آل إليه قدسـهم، استحضـر تاريـخ القدس وما كانت عليه، فعمد إلى بيان الواقع الذليل الذى حاق بالمقدسات الإسـلاميه، فقد ضـيّع الفتح الإسلامى وما قُدّم فى سبيله من تضحيات جسام، فالإسلام حريٌّ بعد تلك النكسه أن يناح عليه وأن يبكى،

١- (١) بدوى الجبل، الديوان: ص ١٩٣.

٢- (٢) المصدر: ص ١٩٢.

٣- (٣) المصدر: ص ١٩٥.

ولِمَ لا تلبس مكه السواد حداداً على ما آلت إليه الأمور من ذلّه وانعدام كرامه، وفى كل هذا تقريع للأمه وللذين ورّطوها بهذه الورطه البغيضه.

يالَذُلِّ الإسلامِ لا الجمعةُ الزه - - راءُ نُعْمى، ولا الأذانُ جهيرُ

كلُّ دنيا للمسلمين مَنَاحاتٌ وويْلٌ لأهْلِها وثُبورُ

لبست مكَّهُ السوادَ، وأبكت مشهَدَالمرتضى ودُكَّ الطورُ(۱)

وهكذا يستمر الشاعر فى لومه وتقريعه ليعممه على كل مَنْ آمن بالله ربّاً فيرى الضياع شاملاً وعاماً والمصيبهَ طامه كبرى شملت المسلمين والمسيحيين على حدٍّ سواء، فهو يرى الصهيونيه لاـ تفرّق بين مسلم وغيره لأنّهما سواء فى هذا المصاف، وفى هذا الأسرز والأسيرُ يتشاطر الأسير غصص الأسْر ويشدُ كلُّ منهما أزر الآخر، لقد راح الشاعر يستنهض القيم السماويه التى يؤمن بها كلّ منهما والتى ترفض لهما أن يغفلا عن نصره القدس وتقديم العون لها، ومن هذه القيم الغيره على الأوطان والمقدسات، قائلاً:

أين آى القرآن تتلى على الجمع و أينَ التهليلُ والتكبيرُ

أينَ آىُ الإنجيلِ؟ فاحَ من الإنجيل عطرٌ وضوَّأَ الكونَ نورُ

أينَ «روما»؟ وجَلَّ حَبْرٌ بروما مهدُ عيسى يشكو ويشكو البخورُ

النصارى والمسلمون أسارَى وحبيبٌ إلى الأسيرِ الأسيرُ

صَلَبَ الرُوحَ مرّتينِ الطواغيتُ! جِراحٌ كما يضوعُ العبيرُ

يالَذُلِّ الإسلامِ والقُدسُ نهبٌ هُتِكَتْ أرضُهُ فأينَ الغيورُ(۲)

ثم يرى الشاعر بأن محنهَ القدس لاـ تعالج بالتأوّه والندب والعويل، بل لابد من معالجه الفكر وما تحويه صدور المسلمين وإصلاحها.

ص:۱۳۱

۱- (۱) المصدر: ص ۱۹۵.

۲- (۲) المصدر: ص ۱۹۶.

لاتُشَقُّ الجيوبُ فى محنْهِ القدسِ ولكنَّها تُشَقُّ الصُدورُ(١)

ومن الحلول التى يقدمها بـدوى الجبل بعد هزيمه عام (١٩٦٧ م) لكى لا ـ تتكرر المأساه، هوأن يكون للشعوب دور فى القضايا المصيريه إذ هذا بحد ذاته يُقلل من طمع الطامعين فى القدس وفلسطين، فيقول مخاطباً حكّام الدول الإسلاميه آنذاك:

إرجعوا للشُّعوبِ يا حاكميها لَنْ يُفيدَ التهويلُ والتغريرُ

صارحُوها.. فقد تبدّلَتِ الدنيا وجدَّتْ بعدالأمورِ أُمورُ(٢)

لقد حاول الشاعر من خلال قصيدته الطويله هذه – ١٥٥ بيتاً – وباستخدامه أسلوب الإنشاء وكثره استعمال صيغه الاستفهام «أين» ونبره الحزن والتوجُّع أن يلفت الانتباه إلى أبعاد القضيه المتعدده.

بُليت البشريه فى تاريخها الممتد المتمادى بعده نكبات، بالتتار والمغول تاره وبالصهيونيه تاره أُخرى، حيث لم يرحم كلٌّ منها بشراً بل ولا شجراً، ولم يقف عند أى حدود، يسارعون فى إباده الحرث والنسل، متجاهلين المعالم الحضاريه والدينيه، كما فعل العدو الصهيونى عندما أحرق المسجد الأقصى عام (١٩٦٩)، لذلك نجد الشاعر الفلسطينى كمال عبد الرحيم رشيد يشير إلى فداحه ذلك الخطب فى قصيدته (١٩٦٩) متعجباً من جرأه الصهاينه على الله وعلى عباده ومقدساتهم، محاولاً إيقاظ المسلمين والمتدينين، واستفزاز شعورهم الدينى ضد المعتدين، الذين بادروا إلى تدمير وحرق المقدسات الإسلاميه والمسيحيه بل الإنسانيه قائلًا:

جلّ المصابُ وزادت الآلامُ وعدت على أرض الهدى الأقوامُ

يا ثالث الحرمين حرقُك نكبهٌ فيها يزيدُ الجرحُ والإيلام(٣)

ص:١٣٢

١- (١) المصدر: ص ١٩٧.

٢- (٢) المصدر: ص ٢٠٦.

٣- (٣) كمال عبد الرحيم رشيد، ديوان شدو الغرباء: ص ٣٢.

ثم يقول فی القصیده نفسها:

أسفی علی الأقصی وقد عبثت به نارُ العدو وقد علاه قتامُ

أسفی علی الإسلام تترف جرحُه والمسلمون عن الجهاد ینامُ

لم یغضبوا لله غضبه مؤمنٍ رأوا العدو بأرضهم وتعاموا

ما قیمه الدمع الهتونِ أصوغهُ شعراً وشعبی للهوان یسامُ؟

فی کل أرضٍ من دیارِ محمدٍ ذلٌّ یرادُ وفرقهٌ وخِصامُ(۱)

تعکس أبیات الشاعر هذه حالته النفسیّه، وألمه الشدید للوضع القائم فی القدس والنیران الملتهبه فیه وفی قلبه، فالشاعر أعطی صوره واضحه، لا مغالاه فیها لوضع المسلمین والتقاعس الذی حل بهم، فالقصیده مع بساطتها وسهوله مفرداتها عمیقه وذات معنی کبیر لما فیها من تصویر لأثر نکبه حریق المسجد الأقصی، وما تحمل من نداء لإیقاظ الوجدان الإسلامی وتجنب البکاء والعویل لأنه لا یُجدی.

ولمّا أعلن المؤتمر الإسلامی فی قمته بأن هذا العام هو عام القدس، نظم هارون هاشم رشید قصیدته الساخره (هذا العام) وهو یتهکّم ویهزأ بالمؤتمرین، إذ یری الشاعر أن استمرار احتلال القدس هو نتیجه لتقاعس الأمه الإسلامیه عن القیام بواجبها ووظیفتها الإسلامیه والإنسانیه والاکتفاء بالمؤتمرات التی لا تتعدّی الإدانه والبیانات الجوفاء أحیاناً، وسرعان ما تنسی القدس، ولعلّ هذه الحاله المزریه للمسلمین وبعض قادتهم هی التی جرّأت الصهاینه علی الاستمرار بالتمادی فی الأذیّه والعدوان، یقول هارون هاشم رشید:

وقیل عام القدس

هذا العام..

اتخذ القرار فی اجتماعه

۱- (۱) المصدر: ص ۳۴.

مؤتمر الإسلام

وصفّق الحُجّاب والخُدّام

وعاد كل واحد،

لقصرِهِ ونام

وتركت مدينه القدس

تغوص فى الظلام

تغرق فى القتام

تدوسها سنابك

الغزاه بالأقدام

وتستبى تاريخها

وتزرع الألغام

وتنشر الدمار فى أنحائها

والموت والحطام

وقيل عام القدس

هذا العام(١)

ثم يلتفت هارون إلى الجانب الصهيونى الذى يغتنم الفرص للفتك بالشعب الفلسطينى والّذى يكشف عن نواياه المبيته للعرب والمسلمين حين عمد إلى إعلان القدس عاصمته الأبدّيه فى نفس العام إمعاناً فى غطرسته التى لا رادع لها من عربٍ ولا من مسلمين يقول:

والجانب الآخر،

من عدتنا الظلام

ماذا ترى حقق

۱- (۱) هارون هاشم رشید، مفکره عاشق: ص ۱۸ و ۱۹.

هذا العام

قد هدّم البيوت

شرّد النساء

طارد الأيتام

مدّ على سماء القدس

أحقر الأعلام

وقال:

هذه عاصمتى

على مدى الأيّام.(١)

ثم يعيد النظر للأمه الإسلاميه ويوجه لها اللوم والعتاب قائلًا:

والأمه التى تجيد

فى صلاتها، السجود والقيام

الأمه التى فضلها

الله على الأنام

ودان دينها الحنيف

الفصل والختام

مغرقه فى صمتها

مشدوده اللجام

تكلّست قلوبها،

تحجّرت، أصابها الفصام(٢)

فيرى الشاعر أن التمسك بروح الإسلام هو الدواء لعلاج الألم.

ص:١٣٥

١- (١) المصدر: ص ١٩ و ٢٠.

٢- (٢) المصدر: ص ٢٢.

جدول أهم قصائد محور القدس واليقظه الإسلاميه حسب الترتيب الزمانی

القدس والوحده الإسلاميه

ربّما تختلف أساليب التآمر باختلاف الزمان والمكان، لكن يبقى الهدف واحداً وهو الهيمنه على الأمه وممتلكاتها، ففی الستينيات والسبعينيات كانت إراده الاستعمار هی القضاء على القوميات، التی وقفت ضد التحديات، لكن مرّت الأيام والسنون وتطوّر التآمر ليصبح الهدف القضاء على الإسلام، وذلك من أجل استمرار الاحتلال وجعل إسرائيل تقوى وتنمو وتكون لها الهيمنه المطلقه، وهذا لا يمكن إلّا عبر سياسه بث التفرقه والاختلاف بين الشعوب والدول ومختلف الطوائف الدينيه والعرقيه، وكان الأثر لهذه المحاوله - فرق تسد - مالا يخفی، إذ من بديهيات الإسلام أن يكون المسلمون أمه واحده فإنه لا كرامه ولا عزه للأمه الإسلاميه إلّا بالوحده، ولا قوّه للإسلام إلا بوجودها،

ص:١٣٦

ولا يمكن أن تعود الأمه إلى ماضيها المجيد إلّا إذا أخذت بالأسباب التى ترعرع عليها ذلك الماضى، وأبرزها وحده الصف والكلمه وإذا كنّا قد غفلنا فى الماضى فعلينا بالوحده فى الحاضر، ولكن على خلاف المتوقع غفل جلّ شعراء القدس لا سيما شعراء الشام عن نداء الإسلام فى هذا المجال، فلم نعثر على شعر يركز أو يشير لموضوع الوحده الإسلاميه ودورها المحورى فى تحرير القدس، مع ما لها من آفاق واسعه وآثار واضحه، ومازالت لم تفسّر أحلام الوحده الإسلاميه حتى على صعيد الكلام، وكل ما هناك جسّد شعراء القدس الوحده العربيه فى مسيره التحرير، وهذا ما ندرسه فى الفصل الثالث من هذا الباب، لكن ممّا يجدر التنويه إليه أن بعض الشعراء أشار إلى الوحده الدينيه، وذلك لأن الخطر الصهيونى يهدد الديانات السماويه برمّتها، وبإمكان الثوره الوحدويه أن تفيق أمام هذا الخطر لأنه من خلال الوحده يستطيع المظلوم مواصله الثوره ضد العدو وتحقيق النصر عليه، ونلاحظ أيضاً أن اتحاد الشعوب أصبح سلاحاً بيد الإنسان التحررى، كما تبلور هذا الوعى الوحدوى لدى الشاعر عبد الله يوركى الحلاق فى قصيدته، لأن المسلمين والمسيحيين وغيرهم تجمعهم الأديان السماويه والتراث الروحى المشترك:

فى القّدسِ شعبٌ أعزَل لكنّما امتازَت بسالتُه الجهاتِ الأربعا

إنَّ الحجارةَ بين أيديه غدت مثل السّهامِ، وكم تحدّى مدفعا

إيمانُهُ بالنصرِ مقترنٌ فلم يخشَ الرصاصَ، ولا المهاجمُ رُوِّعا

مَن قالَ إنَّ القدسَ أغلق بابها إنا سنفتحهُ وندخلُهُ معا

القدسُ يُرجِعُها اتحادُ شعوبِنا فلتتحد منّا القلوبُ لترجِعا

وهناك فى مهدِ المسيح سنلتقى وأمام هيكلِهِ نصلّى خُشّعا(۱)

ص:۱۳۷

۱- (۱) عبد الله يوركى الحلاق، ديوانه الأسديات: ص ۱۵۲ و ۱۵۳.

نأمُلُ أن تبرز قضيه الوحده الإسلاميه فى شعر القدس من التزام الشعراء بقضايا أمتهم الإسلاميه، فالشاعر الملتزم أكثر الناس قدره على توحيد الصف العربى والإسلامى، وهذه دعوه لتحرير الأرض والإنسان من الصهيونيه العالميه.

جدول أهم قصائد محور الوحده العربيه والإسلاميه حسب الترتيب الزمانى

القدس – الثوره والجهاد

اشتعلت الثورات وتعددت المواقف الثوريه والجهاديه منذ رفع وعد بلفور النقاب عن وجه الصهيونيه ونواياها الدنيئه تجاه فلسطين وقدسها الشريف، حيث وعد اليهود بإقامه وطن قومى لهم، وذلك على جماجم الشعب الفلسطينى وأرضه، ومن منطلق الدفاع عن الوطن والذات،(١) صمم الإنسان الفلسطينى وبكل ما يمتلك(٢) – مادّياً ومعنوّياً – أن يقف بوجه المخططات الراميه لإبادته وغصب أرضه، ابتداءً من ثورته موسم النبى موسى عليه السلام فى القدس (٤-١٠ نيسان ١٩٢٠ م)(٣) ومروراً بثوره يافا (١-١٥ من أيار ١٩٢١ م)(٤) وثوره البراق (١٥-٣٠ من آب ١٩٢٩)(٥) وثوره عز الدين القسام

١- (١) (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَ إِنَّ اللّهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) [الحج: ٣٩].

٢- (٢) (وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّهٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللّهِ وَ عَدُوَّكُمْ...) [الأنفال: ٦٠].

٣- (٣) حدثت أثناء احتفالات المسلمين بهذا الموسم الدينى عندما لوّث أحد الصهاينه علماً إسلامياً فتحوّل الاحتفال إلى ثوره عارمه ضد الاحتلال البريطانى والغزو الصهيونى.

٤- (٤) حدثت عندما قام الصهاينه بالاستفزاز ضد العرب والمسلمين.

٥- (٥) اندلعت دفاعاً عن الحائط الغربى للمسجد الأقصى الذى حاول الصهاينه امتلاكه بعدما أطلقوا عليه اسم حائط المبكى.

التى أعلن فيها الجهاد ضد المحتلين فى (تشرين الثانى ١٩٣٥)[(١)] وهكذا استمرت الثورات إلى انتفاضه عام ١٩٨٧ م.[(٢)]

ومن الواضح أن الشعر لم يقف موقف المتفرّج مكتوف الأيدى تجاه الأحداث فكان اللّسان المعبّر عنها وعدسه التصوير الرّاصده لها حيث رافق الثوره ومدّها بالقوه والحيويّه، وشدّ على أيدى المجاهدين والثوار، رافضاً الاحتلال والاستيطان الأجنبى لأرضه العربيه والإسلاميه، مؤكداً على منهج الكفاح والنضال، حينما «تعانقت شخصيه المقاتل والشاعر بسبب اعتماد نفسيه كل منهما على شدّه الحساسيه، وسرعه الانتقال، وصدق الإقدام، وعمق التنبؤ بالظروف المستقبليه، ولهذا حاز الشاعر منذ القديم على منزله عاليه بين قومه، فكان كالنبى أو كالفارس لما يقدمه لقومه من خدمات اجتماعيه جماليه، أوقات الحرب والسلم. وفى عصرنا الحديث نظر المجتمع إلى الأدباء نظرته إلى الثوار المناضلين فرأى أنّ الكلمه الواعيه هى جزء من العمليه الثوريه»[(٣)] التى تُرجمت فى أرض الواقع عندما برزت أسماء فى شعر القدس لم تكتف فى رصد الحدث فقط، بل رفضت العدوان الصهيونى بالكلمه وحمل السلاح معاً متحدّيه السجون، والاعتقالات، والموت مصرّةً على الثوره والجهاد، أمثال عبد الكريم الكرمى، حسن البحيرى، محمود درويش، محمود مفلح، هارون هاشم رشيد، برهان الدين العبوشى، وعبد الرحيم محمود الذى لمس بُعد الحقد الصهيونى داعياً لنبذ التخاذل، والضعف، وتحمّل المشاق فى سبيل رفع الظلم والمحنه وعدم الاكتفاء بإلقاء الخطب التى تتهدد وتتوعّد من دون حركه على الأرض تصدّق الكلمه الراعده. فهو صوره لضمير شعبه بكل

١- (١) من أسبابها ازدياد الهجره والاستيطان اليهودى وتهريب السلاح لهم.

٢- (٢) اندلعت حينما استشهد أربعه فلسطينيين عند حاجز «إيرز» بشاحنه صهيونيه.

٣- (٣) عبد الرضا الطعان، مفهوم الثوره: ص ٦٨.

صنوفه، الذى آمن بالثوره والجهاد والحريه قائلاً:

ودماؤنا الحمراء للحريه العليا روافدْ

إنّ اسمنا العمال لا نلهو بلغو عندنا مقاصدْ

نقضى على حد الأسنه لا النمارق والوسائدْ

ونقابل الظلم الفرى بهمّه تفرى الجلامد

ونذيب فى نار الجهاد وحرها عنا الصفائدْ

لسنا كمن يهذى على الأعواد بالخطب الرواعدْ(١)

قد هيَّأ المستعمر البريطانى مقدمات تشكيل الدوله اليهوديه بإعلانه الانسحاب من فلسطين بذريعه عدم القدره على إدارتها، لينقل الملفّ إلى عصبه الأمم المتحده فى ليكسكسس، لتقر قرار التقسيم فى «٢٩ تشرين الثانى ١٩٤٧ م» الذى نص على تأسيس كيان صهيونى فى فلسطين، ولتكون القدس حسب هذا القرار منطقه دوليه،(٢) وهو يدل دلاله واضحه جدّاً على النيه الاستعماريه المبيّته، كان هذا الإعلان باعث وعى لدى الشاعر الثورى إذ أدرك حسن البحيرى حجم المؤامره على أمته العربيه والإسلاميه، ولذا أخذ بالوعيد بثوره ليس لها مثيل قائلاً فى قصيدته «مولد ثوره»:

يا «صَخرهَ الأقصى» ومعراجَ الهدى أغْرَتْ بأهليكِ الخطوبُ سفيهها

قُولى «لِصهْيَوْنِيّهٍ» مأفونُهٍ سَحَبَتْ عل ذيلِ التَّغَطْرُس تيهَها:

اليوم قد وُلِدَتْ بأرضى ثورهٌ ماأبصرَتْ عَينُالزَّمان شبيهَهَا(٣)

قرار التقسيم يلزم اليهود باحترام الأديان السماويه وحفظ الأماكن المقدسه ورعايه حرمتها، إلا أنَّ الصهاينه - كما هو ديدنهم - يرون أنهم فوق

١- (١) عبد الرحيم محمود، الديوان: ص ١٨.

٢- (٢) الموسوعه الفلسطينيه: ٢٧/٥.

٣- (٣) حسن البحيرى، لفلسطين أغنى: ص ٦٢.

كـل المعاهـدات والقوانين الإلـهيه والـدوليه، ولـذا نراهم يبادرون لانتهاك المقـدسات الإسـلاميه والمسـيحيه، فإحراق المسـجد الأقصى فى (٢١ من آب عـام ١٩٦٩) يُظهر الحقد الصـهيونى فى نفوسـهم، فهذه الصـهيونيه وهذه أفعالها الإجراميه، تشيع الموت والخراب، ولاـ ترحم الحجر ولا الشـجر ولا البشـر، ومن هنا يأتى صوت شاعرنا اللبنانى نجيب جمال الـدين، وهو أحـد الأصوات المتعجبه لجرأه الصـهيونيه ولمـا حـلّ بأقصانـا، فلم يجـد مـا يطفئ نـار قلبه المتـأججه إلاّـ بأن يستحضـر تاريـخ المسـلمين ويوجه الخطاب لبطل القدس صلاح الدين فى قصيدته (منبرك أحترق – ١٩٦٩ م) قائلاً:

انْهَضْ صلاحَ الدينِ

انْهَضْ يا أبا الثّارات

منبرك أحترقْ

وادعُ الرجالَ إلى الفلاحِ

إلى السلاحِ

فما سِواه المنطلقْ

ودع السيوف تقول،

للدرَقَ: الحديد

خِسئتَ يا دَرَقَ الوَرقْ

وعلى جوانِبِ قُدسِنا

وتلاها

عِزَريلُ يُدركُهُ القلق..

يَحْتارُ

مِن أىِّ المنابع يستقى

فيكادُ يعروهُ الزَّهَقْ

وإذا متاريسُ الرِّجالِ تناثرت

جعلوا المتاريسَ

المُؤَقْ

ماتوا..

أليس سواك فی الأيّام سيفٌ

ردَّ للناس العَتَقْ؟(١)

الألم والحزن يعصران قلب الشاعر ونيران المصيبه تحرق مشاعره، حين يرى تقاعس الأمه الإسلاميه بشكل مخزٍ، فالأمه ضلّت الطريق حينما عجزت عن إنقاذ قدسها، اليوم أقصاها تعلوه ألسنه النيران، والأمه تتفرّج من دون حراكٍ، وهذا حال من استبدل الذی هو أدنی بالذی هو خیر، فقاده المسلمین استبدلوا الجهاد بالأوراق والبیانات، وكأنّ الشاعر یشیر إلی كلام الإمام علی علیه السلام: «فَمَنْ تركَهُ – الجهاد – رَغْبَهً عَنْهُ أَلْبَسَهُ الله ثَوبَ الّذلِّ، وشَمَلَهُ الْبَلاءُ..»(٢) فالشاعر یری أنّ الأسباب التی أدت إلی هتك المقدسات وتدنیس بیوت الله تكمن فی ابتعاد الأمه الإسلامیه عن قیمها، ومبادئها، والتخاذل عن الدفاع والذّب عن الوطن، والذود عن الحیاض.

ألفاظ القصیده تكشف عن رؤی الشاعر الداخلیه ومشاعره الجیّاشه المتأججه، فهو تاره یستخدم ألفاظاً قویه وصلبه عنیفه – درق – حدید – سیوف – حریق بأنه لا یری خلاصاً لأمته إلاّ عن طریق الثوره والقوه، والحق، إذ ما أُخذ بالقوه لا یستردّ إلاّ بها، فوجه النقد اللاذع والسخریه من تقاعس أمته وذلك حین یستخدم ألفاظاً أمثال – ماتوا – ألیس سواك.. تارهً أُخری.

ثم وجّه الشاعر خطابه لصلاح الدین وأفعمه بالدلیل للإقناع والتأثیر، ولاذ

١- (١) نجیب جمال الدین، الكتابه علی أعمده الشمس: ص ٢٣٥.

٢- (٢) الإمام علی علیه السلام، شرح نهج البلاغه: ٧٤/٢. خطبه ٢٧.

بـالقبور من باب «إيّاك أغْنى واسـمعى يا جاره»، ولـذا نراه عمـد إلى الاسـتفهام الإنكارى - أليس سواك - حتى يسـتفز الأحياء ويوقظ الأمه. وقريب من هذا المضمون قصيده الشاعر حسن البحيرى (منائر الهدى - ۱۹۷۶ م) إذ يقول:

أىُّ رَكبٍ فى مَنْهَجِ الحَقِّ سائرْ

مَشرِقِ المَجدِ.. مسْتنيرِ المآثِرْ

من ذَرَى «مَوْتَه» الطهُورِ إلى «القُد

سِ» تجلَّى به وِضَاءُ المَفَاخر

نَثَرَتْ عِزّهً وزَهْوَ جلالٍ

سِدْرُهُ المُنتهَى عَلَيْهِ الأزاهِرْ

وحداهُ الروُّحُ الأمينُ بآيا

تِ جهادٍ مُنزَّهات الشَّعائرْ(۱)

فقد قام الشاعر فى (۲۰ شباط ۱۹۷۶) بزياره الأضرحه لأمراء(۲) سـريه مؤته الذين أمرهم رسول الإسلام بصيانه الإسلام وإعزازه فأخـذ الشاعر يسـتعيد الماضـىَ المجيـد ويسـتعرض مفاخر أمته ذات التاريـخ العريق والتراث المجيد ويقارنها مع الحاضـر البائس المتعثّر، نكبه، ونكسه، وقتل، وتشـريد، وإباده، فيستسلم لليأس إذ يرى أُفق الأمه الإسلاميه لا يبشّر بالخير، ولكنّه سرعان ما يتذكر الآيه الشريفه (... إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ)۳ فيتفاءَل بالنّصر بعد دفع الثمن قائلًا:

ياثَرَى «القُدسِ» لن يَقِرَّ بكَ البَا

۱- (۱) حسن البحيرى، لفلسطين أغنى: ص ۴۷ و ۴۸.

۲- (۲) أمراء السريه هم: زيد بن حارثه، جعفر بن أبى طالب، عبد الله بن رواحه، وهم مدفونون فى مدينه الكرك، قريه مؤته.

غِی ولن تَقْشَعِرَّ منکَ الدَّوائر

قد بَذَلْنا لکَ النّفوسَ رِخاصاً

وفدیناکَ ثائراً بَعدَ ثائر

وسَنَمْضی إلیکَ واللیلُ داجٍ

وسَنَمْضی إلیکَ والصُّبحُ سافِر(۱)

نص القصیده یترجم لنا عن نفس الشاعر الجیّاشه تجاه القدس وشعوره الإسلامی والوطنی النبیل، فعمد الشاعر إلی استعمال بعض المفردات اللفظیه – قد بذلنا – وسنمضی – لیدلّ علی مواصله نهج الثوره مع مافیه من صعوبات، إذ یری النصر حلیفه بعد بذل النفوس والتضحیه، وتحدّی المخاطر، ودرء خیوط المؤامرات، وخوض المغامره فی سبیل تحریر القدس. أیضاً عمد الشاعر لأداه النداء فی خطابه «یاثری القدس» لإشعارنا بمأساه نفسه وحنینه العمیق إلی وطنه وما تعانیه القدس المکبله، إذ کان «الشعر الثوری هو الشعر الذی یتخذ من الکلمه الصادقه الموحیه قوه ثوریه تساند السلاح فی مواجهه أعداء الأمه وأعداء الشعب داخل البلاد وخارجها، وفی أوقات الحرب وأوقات السلم، وهو الشعر الذی یبنی الإنسان الواعی لوجوده الإنسانی فی خضم الحیاه»(۲) حینما یعیش نکباته، ونکساته، وفظائعه وانهیاراته، فی خیر أمه أخرجت للناس،(۳) من هنا یأتی صوت هارون هاشم رشید یندب الأمه العربیه والإسلامیه لعلاج قضیتهم المصیریه عن طریق الثوره والجهاد فی قصیدته (الأقصی – ۱۹۸۰) قائلاً:

المسجد الأقصی أبیح یقولها شعب یقاتل، لا یمل ویهجم

هو ثالث الحرمین فی باحاته حشد البغاهُ جموعهم، وتقدموا

۱- (۱) حسن البحیری، لفلسطین أغنی: ص ۵۳.

۲- (۲) عکو بکری، الثوره وقضایاها فی الشعر العربی المعاصر فی سوریه: ص ۲۱.

۳- (۳) (کُنْتُمْ خَیْرَ أُمَّهٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ...) [آل عمران: ۱۱۰].

داسوا طهارته، وشجّوا كبرهُ وتجرءوا، وتجبروا، وتحكموا

غلوا الأذان به، وشدوا قيده وغلوا على محرابه وتسنموا

وهو الأسير يظلُ رجع ندائه يدعو ألا غوث يجیء، ويقدم

هل تسمعون تقول فيه حجاره هل تسمعون، تقولها.. تستفهم

هل تسمعون، وهل رأيتم أهلنا فی القدس عُزلا بالحجاره أقدموا(۱)

صوره صاغها الشاعر لقدسنا وأقصاها فی ألمٍ صادق وتوجّع واضح لما تعانيه من وطأه الاحتلال الغاشم، رسمت صوره ثوره الحجاره وهی السّلاح البسيط المتوفر لدى شعبٍ فلسطين وأطفاله وما يحملون من شجاعه على صغر أعمارهم، حاول الشاعر فی قصيدته هذه، تقريع واستنهاض المسلمين لكی يلبّوا صرخه القدس المستغيثه، وهم يواجهون عدوهم الشرس بالصدور والنحور والأيدی الخاليه إلّا من حجاره اتخذوها سلاحاً يواجهون به العدو المدجّج بالسلاح الفتاك.

نلاحظ أنّ الشاعر عمد إلى تكرار «هل» الاستفهاميه لعلّه إشعاراً منه بيأسه شيئاً ما، ولكن يبدو أن خيوط الأمل عنده مازالت متصله، إذ يعود ليرفع صوته عالياً مرّهً ثانيه ليستنجد بأمته العربيه والإسلاميه لأخذ الثأر والانتقام من العدو، فأهل القدس قد أعدّوا واستعدوا وقدموا ويقدمون التضحيات فداءً للأقصی، والتكاتف الاستعماری أكبر من إمكاناتهم المتواضعه لذا فهم بحاجه إلى تكاتف إخوانهم العرب والمسلمين للوقوف فی وجه الأعداء. ثم يصوّر حاله الشعب فی مواجهه هذا العدو الغاشم، ويصوّر صموده وتصدّيه وجهاده الذی لا يعرف التراخی قائلًا:

ياأهلنا فی كل أَرض إنّه الأقصی ألا هبّوا إليه أقدموا

أهلوكُمُ حملوا الأمانه أشرعوا رأی الجهاد مثابرين ويمّموا

ص:۱۴۵

۱- (۱) هارون هاشم رشيد، مفكره عاشق: ص ۸۵ و ۸۶.

أهلوكمُ فی القدس وقع خطاهم لا خائف فيهم ولا متبرّم

النار فی أثوابهم، وعيونهم بالمسجد الأقصی تهيم وتحلم

الموت مفروش علی طرقاتهم والراجمات القاصفات تدمدم

مرفوعه راياتهم لا تنطوی أبداً وليست تستذل وتهزم

أحبابنا فی سجنهم، وإسارهم ضربوا لنا المثل العظيم وقدموا

فعسی لعل هديرهم ونذيرهم يصحو عليه السادرون النوّم

وعسی أذان الصارخين يجيؤنا ليثير فينا، مايهزّ، ويضرم

وعسی إلی الأقصی تهبّ جموعنا وعسی لعل.. وربما نتعلم(١)

نضال الشعب الفلسطينی المتواصل يتبدل إلی ثوره وانتفاضه عارمه ابتداءً من حاجز «أيزر» فی عام (١٩٨٧) وتظهر أكثر عزماً حينما قام أرييل شارون بزياره استفزازيه للمسجد الأقصی فی (٢٠٠٠/٩/٢٨ م) حيث ارتفع نداء القدس عالياً، وهو الذی تغنّی له الشاعر مطالباً بالثوره والجهاد.

قطعاً الشاعر يدرك مأساه الحرب وما تحمل من كوابيس، وويلات، وقتل، وتدمير، علاوه علی هذا فإنّ طبيعه الإنسان السليم الذات مهما كانت ديانته وانتماؤه، لا يحب الحرب ولا يرغب بها، ولعلّ دعوه الشاعر أن ينضم المسلمون إلی نداء الجهاد ضد الصهاينه، يعود إلی معرفته لماهيه العدو وفلسفه وجوده – أن يكون خنجراً فی جسد الأمه وقاعده انطلاق استعماريه – ولا يخفی أن الشاعر هارون هاشم رشيد فی مقطوعته هذه، عندما كرر «عسی» أربع مرات وأردفها بالأدوات «لعلّ» و «ربّما»، يشعر بآماله الكبيره بأمّته العربيه والإسلاميه علّها تسمع صوته، وتساعده بأنواع السبل المتاحه لديها، إذ يصعب عليه أن يسمع صوت «اذهب أنت وربک فقاتلا.. إنّا هاهنا قاعدون»

١- (١) هارون هاشم رشيد، مفكره عاشق: ص ٩٠ و ٩١.

وربّما كرر الشاعر (عسى) بناءً على جمودها ليدل على الجمود المخزى لعالمنا الإسلامى، وعالمنا الإنسانى فى الوقت الحاضر.

جدول أهم قصائد محور القدس - الثوره والجهاد حسب الترتيب الزمانى

القدس – الصمود والمقاومه

منذ عَقْد المؤتمر الصهيونى الأول بزعامه هرتزل عام (١٨٩٧ م) توجّس العرب والمسلمون عامه، والأدباء والشعراء خاصه خيفه ممّا خلْف الستار، ولعلّ الشاعر النشاشيبى كان أوّل من نظم قصيده تناولت التهديد الصهيونى لفلسطين تحت عنوان «فلسطين والاستعمار الجديد»(١) فى «تشرين الأول ١٩١٠» يقول:

إنّ الاستعمار قد جاز المدى دون أن يعدوه عن سير عداء

إنّ هذا الداء قد أمسى عياءً فتلافوه سريعاً بالدواء

إنها أوطانكم فاستيقظوا لاتبيعوها لقوم دخلاء(٢)

١- (١) الموسوعه الفلسطينيه: ٨/٥ و ٩.

٢- (٢) المصدر: ص ٩.

ولـذا أخـذت المقـاومه تظهر ملامحها فی الوطن العربی والإسـلامی فی فلسـطين، وبـدأت تشـتدُّ بعـد وعـد بلفور عام (۱۹۱۷ م) فتنوَّعت صورها فيما بعـدُ، فكل إنسان فی مجاله يحاول أن يقـدم أقصـی ما عنده، وما يسـتطيع أن يقوم به من أجل خدمه قضـيه بلده وبالتالی تعددت صور المقاومه، فالفنّان قد وقف ريشـته خدمةً لقضيته والشاعر قصائِدهُ والأديب قِصَصَه وهكذا... وكل هذه الصور من المقـاومه لاـ تقـل أهميتهـا أبـداً عن رصـاصه المقـاوم فی ساحه المعركه لأنَّ المعركه لا تكون دائماً فی ساحه القتال، وبالتأكيـد يمكن القول بـأن اسـتعمال الشـعر وسـيله إعلاـم وتثقيف ونقـد ذاتی، ويرجع الفضـل فی إطلاق هـذه التسـميه – شـعر المقاومه – إلی ما جاء من هذا الموضوع فی شعر سميح القاسم كقوله فی قصيده (خطاب من سوق البطاله):

ربما أخمد.. عريانا.. جائع..

يا عدو الشمس.. لكن.. لن أساوم

وإلی آخر نبضٍ فی عروقی..

سأقاوم..!!(۱)

فـبرز شـعر المقـاومه فجر الثوره ضـد الاحتلاـل ثم ظهرت حركه شـعريه أصـليه تعبّر عن النكبه ومرارتهـا فی سبيـل استرداد الحق المغتصـب، لـذا ألّفـت حركـه شـعر المقـاومه برهه تـاريخيه فی حركه الشـعر الحـديث، وقـد جـاءت علی أثر – النكبه – ونكسـه الخـامس من حزيران (۱۹۶۷) فقـد نهضت المقـاومه إثر الهزيمه لتلقّی الصـدمه العنيفه الـتی أحـدثها الغزو فی النفـوس، وهكـذا أصـبحت طريق تمهيد لظهور صوت جديد جسّده شـعراء المقاومه، حاملين نغمه حزن شـفافه تعبّر عن الروح الثوريه المقاومه(۲) والصمود الشامخ ناظره

ص:۱۴۸

۱– (۱) سميح القاسم، الأعمال الكامله: ۹۱/۱.

۲– (۲) الموسوعه الفلسطينيه: ۲۷۰/۴.

إلى الآفاق المستقبليه لأمه الإسلام نظره آمالٍ وترقّبٍ لنصر الله تعالى بعد صمود وصبر وتضحيه ومقاومه، كما يصوّر هذا المشهد الشاعر محمود مفلح فى قصيدته (نشيد للقدس) قائلاً:

ويعود للأقصى «بلال» يملأ الآفاق سحرا والمؤمنون الصادقون.. يرتلون.. الفتح.. شكراً

صبراً على ليل الطغاه فإن بعد العسر يسرا

فجنود ربك يا أخى.. حق لمن أولاه نصرا..(١)

تبقى قضيه القدس هى الشغل الشاغل لدى الشعراء كما هى عند الشاعر محمود مفلح إذ يشعر بألمها ويسمع أنينها، ويرى فى الوقت نفسه، الواقع الإسلامى المرير والذى يسدُّ نوافذ الخلاص، ولذلك نراه لا يجدُ ملجأ إلّا الصبر وحمل النفس على الأمل والتفاؤل والثقه بجنود الله الصابرين، فلهذا نلاحظ أن الشاعر هنا حَرَصَ على توظيف أكبر مصدر فى تراثنا العربى والإسلامى ودستورنا السامى، أى: القرآن الكريم، فى مثل هذه الأبيات لما فيها من معانٍ تلائم الموضوع الذى يعالجه الشاعر فقوله: «المؤمنون الصادقون» إشاره لقوله تعالى: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ...)٢ قوله: إن بعد العسر يسراً، إشاره لقوله تعالى: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً) ،(٢) وقوله لمن أولاه نصرا... لعله إشاره لقوله تعالى:

ص:١۴٩

١- (١) محمود مفلح، المرايا: ص ۶٠.

٢- (٣) الانشراح: ۵ و ۶.

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدامَكَمْ)١ فقد جاءت لتحث الأمه الإسلاميه على المقاومه والصمود متوكلين على الله تعالى، وهذه صوره أمل وتفاؤل عند الشاعر.

من أبرز الأحداث الفلسطينيه التى قام بها الصهاينه هى مجزره مخيّمى صبرا وشاتيلا فى جنوب لبنان (١۶ أيلول ١٩٨٢ م) والتى راح ضحيتها نحو سبعه آلاف من الفلسطينيين، وهذا الحقد الصهيونى فجّر المشاعر الإسلاميه والعربيه لاسيما عند شعراء القدس كما نرى ردّه الفعل عند هارون هاشم رشيد وهو يحرّضُ الشعوب الإسلاميه على استمرار الثوره والصمود والمقاومه فى قصيدته (ياوحدنا):

ماذا أقولُ لكم وأخبرُكم واليوم لا لهوٌ ولا لَعِبُ

حربٌ تُهدّدُنا، تُهدّدُكم وتطالكم والدَّورُ يقتربُ

ماذا أقولُ لكم لأمتِكُم ماذا يقولُ أحبّه عَتَبُوا

إنا نقولُ بأن ثورتَنا لو دُمّرت وأصابها العطَبُ

من بعدِها سَتُداسُ أمّتكُم من بعدِها لن يُذكَرَ العربُ(١)

نبره الألم واضحه فى شعر هارون ودعوه صريحه لمقاومه الاحتلال، ودعوته هذه لم تكن فى إطار الضيق للشعب الفلسطينى وحده، بل للعالم العربى والإسلامى كله، إذ يرى أنه إن لم يوقف العدو عند حدوده، فستكون البليه عامه وطامه، وتساءل الشاعر أكثر من مره – ماذا أقول – تساؤلاتُهُ هذه تكشف عن ما يتردّد فى أعماقه من خوف على مستقبل أمته، وهكذا يبرز مفهوم المقاومه والصمود، معبراً عن الدعوه الدائمه لمواصله النضال، وعدم الركون إلى الخنوع

١- (٢) هارون هاشم رشيد، الصمود والحزن: ص ٢١.

والاستسلام فالصمود سيصنع المجد حتماً، يقول الشاعر السورى جابر خير بك وهو يتابع بأحاسيسه مقاومه الشعب الفلسطينى والمقاتل المسلم فى قصيده:

يافارس الساح يامن زاده شرفاً أن يحفر القدس فى أحداقه وشما

من غيره وهب الأوطان مهجته وصافح الموت مزهواً ومحترما

فهو الذى جعل الجلى مطيّته وداس وجه عتاه الكفر واحترما

وهو الذى قال للتاريخ مبتسماً أنا هنا لن أملَّ البرد والخيما

أنا هنا حربةٌ فى صدر من ذبحوا أهلى وشعبى، وشقوا القلب والرحما(١)

وهكذا كان صوت فلسطين فى ضمير الإنسان العربى والمسلم، دعوه الصمود والمقاومه ورفض الاحتلال، أحسها الشاعر الفلسطينى واللبنانى كما أحسها الشاعر السورى لأنها قضيه تحرير واستقلال، قضيه نضال وكفاح ومقاومه قضيه الحق والعدل.. ولا يرضى بأدنى من إنجاز هذا. ومن هذا المنطلق انعكس الرفض لمعاهده (أوسلو ١٩٩٤) فى شعر القدس، وذلك لأن قاطبه الشعراء كغيرهم اعتبرها معاهده استسلام وتنازل بل تخاذل عن أدنى حقوق الشعب الفلسطينى المضطهد، لهذا نرى الأصوات الشعريه قد علت وركزت على الصمود والمقاومه تعالج القضيه شعرياً، ومن هنا جاءت قصيده الشاعر على عقله عرسان (أورسلام – ١٩٩٦) الرافضه للسلام المزيف، فى مقطع منها يقول: أنا وخطاى نقول:

سلاماً أور سلاماً،

لم نُهزَم ياأور سلاماً،

لم نُهزَم ياقدس الفاروق، وقدس صلاح الدين، وقدس

يبوس الأول،

ص:١٥١

١- (١) جابر خير بك، شوارد النغم: ص ١٥٨-١٥٩.

لم.. لن،

لن.. لم،

لم نُهزَم،

فى الأرحام حداءٌ،

أكبر من هروله الذلِّ،

وأكبر من كلِّ المأزومين المهزومين المأجورين،

فى الأرحام رجاءٌ أكبر،

نورٌ أكبر،

حلم أكبر.

لا سلم بهذى الأرض وأنا مقهورٌ ياأور،

لا سلم بهذى الأرض وسيفُ القرصان يحزُّ وريدَ القلبِ،

ويفرى كلَّ جذورِ الحبِ،

ويمسخُ كلَّ نداء الربِّ،

ويقتلُ.. يقتلُ.. يقتلُ،

لا سلم بهذى الأرضِ على أنقاضِ السلمِ الحق،

سلمٌ فيها.. يوم يسود العُربُ،

يسود العدلُ،

ويفنى الرعبُ الصهيونىُّ،

ويفرحُ قلبى،

سلامٌ فيها يوم يسود الحق.(١)

من الواضـح أن الشـاعر يطـالب بسـلام الحق، سـلام العـدل. واسـتعماله للأدوات - لم - لن - يـدل على عمق اعتقـاده بالمقاومه والصمود، عقيده راسخه

ص:١٥٢

١- (١) على عقله عرسان، الأعمال الشعريه: ص ٣٢٠.

ممتده فی جذور الأرض وشرایین أبناء الأمه الإسلامیه، یستبشر بالمستقبل القریب، وبین صراع الیأس والأمل، فالأمل هو المنتصر.

القدس – الشهاده والشهید

إن کلمه الشهید تحیط بها هاله من القدسیه، والعلو والسمو، وإنما تطلق کلمه الشهید علی ذلک الفرد الذی ضحّی بحیاته فی سبیل هدف مقدَّس، أو الذی قضی وهو سائر علی طریق المسیره المقدّسه، والشهید یکتسب حاله الخلود، ویخلق جواً من الصفاء والطُّهر فی المجتمع المحیط به، ولا بُدَّ للهدف من أن یکون مقدّساً وعظیماً، والذی یضحّی بحیاته من أجل أهداف غیر سامیه، أو یقتل فی سبیلها، فإنَّه لن ینال حاله القُدسیّه، واحترام التقدیس فی عیون البشر.(۱) فمن یضع فکره وآثاره العلمیّه فی خدمه البشریه، فإنه یُعطی لفکره مفهوم الخلود، وهکذا من یُرَبّی

ص:۱۵۳

۱- (۱) هناک فرق بین الهدف المقدس، وبین الهدف الکبیر، فأمثال «الاسکندر» و «نابلیون» و «هولاکو» و «هیتلر» کانوا یأملون بتحقیق أهداف کبری، لکنهم لم تکن لدیهم أهداف مقدسه. فمثلوا دور الأبطال وکبار حبّ الجاه والسلطه، ولم یمثلوا رمزاً للأحرار وطلاب الحقیقه.

ابنه أو يُربى الآخرين، فإنه يُعطى الخلود لأعماله، وإن كلّ واحد من هؤلاء يُضحى بكل مايملك عن عشق ووفاء للمبدأ السامى، فيُعطى لدمه قيمه الأبديه والخلود، وهذا هو الفرق بين الشهيد وغيره،(١) والهدف المنشود لدى الشهيد هو نصره الحقيقه وإعاده الحق إلى أهله، ولذلك تراه يُضحى بالمصلحه الشخصيه وبكل ما يملك حتى نفسه الطاهره، فى سبيل انتصار الحقيقه والوصول إلى الحق والعدل فى سبيل الله والأمه والوطن والإسلام؛ ولذا أصبح مفهوم الموت عند الشهيد هو الحياه بذاتها بل يكاد يفوقها وذلك لتحقيق الحياه السعيده السرمديه فى الآخره أو الحياه الحقيقيه فى الدنيا، وهذا ما يؤكده سيد الشهداء الإمام الحسين بن على عليه السلام فى طريقه إلى أرض المعركه حينما أنشد أبيات أخى الأوس قائلاً:

سأمضى فما فى الموت عار على الفتى إذا ما نوى خيراً وجاهد مغرما

وآسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثبوراً وخالف مجرما

فإن عشت لم أُذمم، وإن مت لم أُلم كفى بك ذلاً أن تعيش وترغما(٢)

لقد سجل الشعر فى سوريه لبنان وفلسطين أرض الشهاده والشهداء، قضيه القدس، تسجيلاً صادقاً وعميقاً تجاوز فيه الخطابه إلى غور أعماق الإنسانيه فى الاستشهاد والفداء والتعبير عن الالتزام بالقضيه وإحقاق الحق عن طريق الشهاده، فالشهاده هى الحياه،(٣) ولهذا برز مفهوم الشهاده والموت فى سبيل الله والحرّيه والتحرر كأعلى قيمه ثوريه فى طريق المناضلين والمجاهدين فى شعرهم فكانت القصيده عندهم رصاصه بوجه الصهيونيه وقد تفاعل الشاعر فى تحرير القدس مرتبطاً بأمنيته بالاستشهاد كما نلاحظ

١- (١) مرتضى مطهرى، الملحمه الحسينيه: ٣/٢٧-٢٩.

٢- (٢) تذكره الخواص لسبط ابن الجوزى: ص ٢١٧.

٣- (٣) (وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) [آل عمران: ١٦٩].

ذلک فی قصیده الشاعر نزار قبانی (طریق واحد):

إلى فلسطین خذونی مَعکُم، یا أیُّها الرجال

أُریدُ أن أعیشَ أو أموتَ کالرجالْ

أُریدُ أن أنبتَ فی ترابها.. زیتونهً أو حَقلَ برتُقَال

أو زهرَهً شَذِیَّه..

قولوا لمن یسأل عن قضیتی..

بارُودتی.. صارت هی القضیّه..

أصبح عندی الآن بُندُقیَّه

أصبحتُ فی قائمه الثُوَّارْ

أَفتَرِشُ الأشواکَ والغُبار

وألبسُ المنیَّهْ..

مشیئهُ الأقدار لا تردُّنی

أنا الذی أُغَیِّرُ الأقدارْ..

یا أیُّها الثُوارْ..

فی القدسِ، فی الخلیلِ، فی بیسانَ، فی الأغوارْ

فی بیت لَحمٍ..

حیثُ کنتُم أَیُّها الأحرارْ..

تقدَّموا.. تقدَّموا..(۱)

نکسه حزیران عام (۱۹۶۷) قد ألهبت حماس قبانی وأجّجتها، کأنه ینتظر الفرصه الذهبیه لحمل السلاح والتوجه إلى القدس السلیب، الحدث یدعو إلى الخطابه أکثر منه إلى التأمل الهادئ، فالموقف مصیری إمّا حیاه کالرجال الأحرار وإمّا ممات کالأبطال والمناضلین الذین کرعوا کؤوس الموت فی

۱- (۱) نزار قبانی، الأعمال السیاسیه: ۳۲۹/۳ و ۳۳۰.

سبیل الله تعالی وصافحوا أیدی الردی فی ساحات القتال، فالشاعر یستمد عاطفته الإنسانیه من جذورها الإسلامیه ویسلط أنوار الحقیقه علی السبل المثلی التی یجب علی الأمه أن تسلکها للتحرر وسعیاً وراء ما ضاع من عزتها ومجدها، ویری نزار قبانی أن هذا هو النهج السدید لإحراز النصر وتخلیص الأرض، فالشهاده أعلی مرحله من مراحل النضال التحریری، والشهداء هم روّاد الحرّیه الذین یقطعون غیاهب اللیل الداجی بدمائهم، ویوقظون النیام من سباتهم، ویبشرون بالخلاص من قیود الاحتلال.

وعندما استشهد القائد خلیل الوزیر أبو جهاد یوم (۱۶ نیسان ۱۹۸۸) نظم الشاعر هارون هاشم رشید قصیدته (لن نقبل العزاء) قائلًا:

نَحْنُ لن نَقْبَلَهُ فیک العَزَاءَ قَبْلَ أنْ نَبْلُغَ بالثأر، الرّجاءَ

أنْتَ مَنْ علَّمنا، لَقَّنَنَا ثورهَ النَّصر التزاماً وانْتِمَاءَ

أنْتَ مَنْ عَلّمنا، کیفَ إذا فَجَرَ الباغی، دَعیاً وأساءَ

نُرجعُ الضربهَ، کرّاتٍ ولا نَتَراخی فی المُلمَّاتِ انحناءِ

أنتَ کَم مِنْ مرَّهٍ لَقّنتَهم رائعَ الدَّرسِ، وفَجَّرتَ الفَضَاءَ

أنتَ یا سیفاً، تَنَاسَی غِمْدَه مشرَعاً، یَسْتَبِقُ الموتَ اجتِراءَ(۱)

ثم یواصل الشاعر فی المقطع السادس من قصیدته قائلًا:

أیُّها الراقِدُ فی الشّام وفی «الرَّملهِ البَیضاء» یَرتادُ الفَضَاءَ

روحُک الطاهرُ رَفرافٌ علی وطنٍ، یَنتَظِرُ الفَجرَ المَضاءَ

روحُک الطاهرُ فی القُدْسِ علی قُبَبِ الأقصی یُنادی البُسَلاءَ

یُوقِظُ الکامِنُ مِنْ غَضبَتِها یُشعِلُ الثورهَ، یُهدِی البُسطاءَ(۲)

ص:۱۵۶

۱- (۱) هارون هاشم رشید، طیور الجنه (قصائد للشهداء): ص ۷۷-۷۹.

۲- (۲) المصدر: ص ۷۹ و ۸۰.

يقدّم لنا الشاعر هارون صوره لنفس هذا الشهيد المضحّى بنفسه، الذى لم يتخاذل أمام غطرسه العدو، ولم يُؤْثر الحياه والسلامه، وإنما هبّ مدافعاً عن عرضه وأرضه، فالشاعر لاـ يذرف الدموع على الشهيد لأنه حىّ يرزق فى جنّات العُلى، التى طالما كان يحلم بها، وهى الغايه التى يجاهد المقاتلون للوصول إليها، فيصبح الشهيد نبراساً ومناراً يُهتدى به، معبّراً كل التعبير عن المجاهدين الأحرار، ومجسّـِماً لآمال سائر الشهداء الأبرار الذين يصوغون بدمائهم الزكيه سطور أعظم قضيه للإنسانيه واستمرار حياتها، ولتكون كلمه الحق هى العليا، فيرى الشاعر أن الشهداء هم أساتذه الثوار والأحرار يعلّمونهم كيف يكون الموت حياه لا موت فيها، وذلك لأن الأمّه التى لا يكثر فيها المستشهدون دفاعاً عن كيانها وعقيدتها وحفظ هويتها وحريتها، هى أمّه مرشحه للزوال والموت، يتخطفها الأعداء من كل حدب، ويطمع بها ذئاب البشريه بل كل قوى وضعيف. ومتى ما أصبحت أرواح الشهداء تطوف حول قبه الأقصى وقدسها فالأمل بالحياه كبير ونسيج عنكبوت الصهاينه لا محاله زائل. وفى هذا المضمون أيضاً جاءت قصيده الشاعر كمال رشيد التى قال فيها:

ياحبيبَ الله قد نلتَ الذى كنتَ ترجو وجنانَ الخلد نلتا

رأيت دربَ النصر وعراً شائكاً دمُك الطاهرُ فى الأرض سكبتا

أنت فينا قبسٌ يرشدنا وإذا اخترت مثالاً كنت أنتا

وإذا القدس غدت قنديلنا فلقد أصبحت للقنديل زيتا(١)

فالشهاده أعطت القدس بُعداً عقائدياً وثقافياً عميق الجذور تتجمع فيه الأرواح لتصبح ذلك الزيت الطاهر ليُضىء طريق القدس نحو التحرير.

أخذ الشعراء يعبرون عن معان الشهاده ويقدمون التحيه والتقدير لشهداء القدس وفلسطين، فالشعر «الفلسطينى أشبه بشعر المناسبات، ولكن ليس على

١- (١) كمال رشيد، القدس فى العيون: ص ٥٧.

طريقه الشعر العربى القديم، فالمناسبات التى يسجلها الشعر هنا مناسبات الدم والبطوله والتآمر ومئات الأحداث التى تتّخلل مسيره الثوره، ذلك أن الشعر بتماسه اليومى والحار مع الأحداث على تنوعها يكاد يصبح تعليقاً مباشراً على هذه الأحداث، يسجلها ويحدد موقفه منها ورؤيته لها».(١)

فيقدم الشاعر صوره مشرقه فى غياهب الدجى مبدّدةً سحب الخوف والضياع، ومنيره مصابيح الأمل والتحرير. وهذا ما نلاحظه عند الشاعر «على عقله عرسان» فى قصيدته (ياراغبُ قمْ - الثمانينيات):

ياراغبُ قم.

ياراغبُ قم.

واهتفْ بالركبِ وقل لَهُمُ،

بسحر بيان جهادِهِمُ:

«للقدسِ طريقٌ من أرنون..»

تكسوها أوراقُ الطيُّون،

يشعّ بها فجرٌ فتّانٌ أو مفتون..

يصنعه اليوم جنوبيون جهاديون..

جهاديون جنوبيون..

للقدس طريقٌ من «أرنون»

للقدس طريقٌ من «أرنون»

مشاعلها نورُ النورينْ،

وزينتُها فخرُ الدّارين:

جحافل أحفاد الحسنين..(٢)

ص:١٥٨

١- (١) نزيه أبو نضال، الشعر الفلسطينى المقاتل: ص ٩٥.

٢- (٢) على عقله عرسان، الأعمال الشعريه: ص ٣٧٣.

بعد اجتياح العدو الصهيونی للجنوب اللبنانی فی «السادس من حزیران ۱۹۸۲ م» واجهت الأمه العربیه والإسلامیه حلقه جدیده من التآمر علی وجودها ووحده أراضیها وذلک لنهب خیراتها والتسلط علیها عن طریق التجزئه والاحتلال، وبعد ماتلقی العدو الضربات تلو الضربات علی ید المقاومه اللبنانیه راح یبحث عن وسیله عسکریه جدیده تؤمّن له أمنیاته الغاشمه فتشبث وکما هو دیدنه باغتیال رموز المقاومین ظناً منه إزاله هذه العقبه أمام نوایاه التوسعیه فبادر لاغتیال الشیخ راغب حرب فی عام (۱۹۸۵ م).

وقد هز مصرع الشهید شاعر الأمه الإسلامیه فکان لموته رنه ألم وأسی تجاوزت حدود لبنان فحدثت ردود فعل علی الصعید الشعری کان أبرزها موقف الشاعر السوری «عرسان» حیث ینادی الشهید بأن یسیر برکب المجاهدین فإنّ طریق القدس یمر من بحر تلک الدماء الزکیه التی سکبت فی سبیل الله تعالی، وأن سبیل الشهاده الذی سلکه أبناء الجنوب سوف ینته إلی التحریر وستنتج تلک الدماء براکین مبدؤها الجهاد والنصر علی العدو. ثم بیّن الشاعر بأن هذه الدماء الثائره متصله بکربلاء لأن کربلاء لا تختص بمکان أو زمان وشهاده الحسین علیه السلام هی المقاومه الواعیه الزکیه علی طریق الهدف المقدس ولا أقدس من الدفاع عن الذات والوطن.

لِلقدس طریق من «أرنون»

تکسوها أوراق الطیّون

للقدس طریق من أرنون

والزحف بداه جنوبیون

غداً تلقاه: شامیّون.. عروبیون،

لِلقدس طریق من «أرنون»(۱)

ص:۱۵۹

۱- (۱) علی عقله عرسان، الأعمال الشعریه: ص ۳۷۴.

وهكذا تفاءل الشاعر بتحرير القدس، وساهم فی تعبئه الأمه الإسلامیه لمواصله نهج الشهاده، لأن الشهید حینما یقف بوجه العدوّ، فإما أن یصرعه وإمّا أن یُصرع، لکن عمل الشهید لا ینحصر فی هذا الموقف! فلو کان عمله منحصراً بهذا لذهب دمه هدراً حینما یخرُّ صریعاً فی ساحه المعرکه. وهذا ما لا یحدث، فدم الشهید لایذهب هدراً.. دم الشهید لا یُراق علی الأرض. کل قطره من دم الشهید تتحوّل إلی آلاف القطرات.. بل إلی بحر من الدماء یدخل جسد المجتمع.(۱) ولذا واصل الشاعر قائلًا:

تشقُّ طریقَ القدس قلوبٌ، بعد قلوبٍ، بعد عیون..

أسراب جراحٍ تهطلُ فوق الناس ضیاءً..

تهمی نصراً.. تنقذ طفلًا.. تصنع أمناً.

کبِّر فی الناس

ینتعشون.. وینتشرون بکل الأرض

وقل لهم..

لمجد القدس صهیل قلوب الناس الیوم،

ومجدُ القدس هزیمهُ وکرِ الشّرِّ: بنی صهیون.

جنوبیون مشوا فی الدرب إلی العلیاء، جنوبیون..

أرواحٌ تنسج صبح النصر،

بلون العندم والزیتون،

جنوبیون.. جنوبیون،

ضیاء الیائس والمحزون..(۲)

۱- (۱) مرتضی مطهری، الشهید یتحدث عن الشهید: ص ۳۰.

۲- (۲) علی عقله عرسان، الأعمال الشعریه: ص ۳۷۷.

الشعر الثورى الذى يعيش فى معترك الحياه ووسط هموم الناس وصراعاتهم لا يلبث أن يصبح شهاده على العصر، والشهاده هنا لا تعنى نقل الأحداث وتسجيلها على طريقه التصوير الفوتوغرافى، بل تعنى أن تنقل الأحداث من خلال فهم حركتها الحقيقيه، ذلك أن كل حدث مرتبط بجمله متشابكه من المؤثرات والعلاقات التاريخيه والمعاصره، ومن هنا فإن شهاده الشعر الثورى، تمتلك دائماً إلى جانب القدره على نقل الصوره بسياقها الظاهرى إلى جوهر الحدث.(۱) فعبّر الشاعر بقصيدته هذه عن عمق إيمانه بالنصر الذى سوف تسجله دماء الشهداء وتنقذ الأمه بعد أن أضاءت طريقها وأزاحت جبل اليأس من أمامها، فإن كل قطره من دماء الشهداء حينما تراق على الأرض وتسقى أديمها تفجّر مشاعر البشر وأفكارهم، ووجدانهم غضباً عاصفاً وأمواجاً مطاطه تنصبّ فوق رؤوس من سوّلت لهم أنفسهم الاعتداء على الآخرين، وتورق الحياه خضراء بلون الزيتون.

جدول أهم قصائد محور القدس «الشهاده والشهيد» حسب الترتيب الزمانى

ص:۱۶۱

۱- (۱) نزيه أبو نضال، الشعر الفلسطينى المقاتل: ص ۹۰.

بعض ما توصل إليه البحث فى هذا الفصل

لقد كانت هذه المحاور الخمسه فى الفصل الثانى - الدواعى والاتجاهات الإسلاميه - هى أهم ما دار حول شعر القدس فى الفتره (١٩٤٨-٢٠٠٠ م) وقد تبيّن لنا أولاً:

أن المحاور حسب كميّه القصائد الوارده فيها هى كالترتيب التالى:

القدس - الشهاده والشهيد.

القدس - الصمود والمقاومه.

القدس - واليقظه الإسلاميه.

القدس - الثوره والجهاد.

القدس والوحده الإسلاميه.

وفى معظم تلك القصائد لاحظنا أيضاً، العلاقه القويه بين شاعر القدس والواقع الذى صوّره فى تلك المحاور التى كانت نابعه من أعماق النفس الإنسانيه والأحاسيس الوجدانيه فى كلمات تشعر بالمشاعر الحماسيه المتأججه والمتفجّره. فقد انطلقوا بدورهم فى تعبئه الأمه العربيه والإسلاميه للوقوف فى وجه العدوان ومقاومه الاحتلال حتى الشهاده فى سبيل الله تعالى أو تحرير القدس الشريف، فكانت النتيجه واضحه حيث اندلعت الثورات والانتفاضات وهذا بعض ثمارها. إلا أن قاطبه أولئك الشعراء غفلوا عن محور

القـدس والوحده الإسـلاميه – مع ما فيه من الأهميه الخطيره إذ أنَّ القدس تتعلق بالمسـلمين جميعاً، لكنّهم لم يغفلوا عن موضوع الوحده العربيه والذى سنعرض له فى الفصل الآتى.

ثانياً: قـد تفاوتت القصائـد – فى هـذه المحاور – فيما بينها شـكلاً واقتربت مضـموناً – وهى تعرض لنا صوره القـدس – ولا يبـدو المكان فى هـذه القصائـد ظل ساكناً وإنّما كانت الحركه فيه تدبّ وتبعث الحياه فى القصـيده؛ إذ اسـتطاعت أن تجعل منه قضـيه للإنسـان الفلسـطينى بـل للإنسـان العربى والمسـلم، «ويكون المكـان أحـد العوامـل التى تقوم عليها الأحـداث، وهو لا ينعزل عن عناصر السرد الأخرى، وإنما هو يتضمنها بالضروره، ويؤثر فيها وتؤثر فيه، ولذلك لا يصلح المكان وحده لأى عمل فنّى، كما أن الشخصـيات لا تعيش ضـمن فراغ، ومن هنا يتداخل هذا العنصر والعناصر الفنيّه الأخرى فى علاقات مختلفه لتشكيل العمل الفنى، سواء أكـان روايه أم مسـرحيه أم قصـيده، ويكون المكان عنصـراً ضـرورياً، بل هو من أهم العناصـر الفنيه لما يتركه من بصـمات واضحه فى الشخوص والأحداث.(۱) فلذا جعل القدس والشعر الذى اشتمل عليها معنىً وقيمه خاصه.

ثالثاً: كانت الصفه الغالبه فى قصائد القدس فى هذه المحاور هى الخطابه المباشره.

رابعاً: إن شـعر القدس فى هذه المحاور لم يكن رد فعل للأحداث وحسب وإنّما كان فعلاً مقاوماً لبعضـها محرضاً للبعض الآخر، فتعامل الشعراء مع الحدث منذ عام (۱۹۴۸) حتى (۲۰۰۰ م) وكانوا حريصين على متابعه يوميات القدس، يرصدون أحداثها بدقه كالشاعر هارون هاشم رشيد، حسن البحيرى، على عقله عرسان، نزار قبانى و....

۱– (۱) خليل الموسى، جريده تشرين: ۲۷ كانون الثانى، ۲۰۰۵، العدد ۹۱۵۷، ص ۸.

٣. الدواعی والاتجاهات السیاسیه

القدس والضمیر السیاسی

إن التجربهً الفلسـطینیه الحـدیثه لا- ترحم، ولا- تترک نـاحیه من نواحی الحیـاه دون التـدخل فی أعمق أعماقها، ولیس هناک من یفلت من قبضاتهـا، فالکـاتب أو الشـاعر الـذی یفکر فی التـوجه توجهـاً منفصـلًا عن السـیاسه فهو یتنکر للواقع والتجربه، إذ وجد الشـعراء الفلسـطینیون وغیرهم بعد عام (١٩۴٨ م) أنهم لم یکونوا ورثه لتاریـخ شـعری عربی طویـل وحسب، بل وجـدوا أنفسـهم کذلک ورثه لوضع سیاسی جدید ومعقد، شعروا أنه لا فکاک لهم منه.

وقـد مال الشـعر قبل عقـد الخمسـینیات إلی الاسـتجابه العفویه للأحداث، فخضع لمتطلبات المعنی فی القصـیده(١) عندما رفض الشـعراء قـاطبه رفضـاً باتـاً مقوله الفن للفن ودافعوا بقوه عن مقوله الفن للحیـاه وللقضایـا القومیه والوطنیه ومن هنا جاء رد إلیاس قنصل قائلًا:

قالوا لنا خلوا السیاسه أنها أفعی یرافقها غرابٌ ناعبُ

ص:١۶۵

١- (١) سلمی خضراء الجیوسی، موسوعه الأدب الفلسطینی المعاصر: ٣٢/١-٣٧.

غنّوا على وتر الجمال فلحنه تهفو إليه عواطف ورغائب

وتغزّلوا بنساء موطنكم ففى تلك الديار من السّماء مواهب

كيف التغنّى بالجمال وقيدنا رَكِبتْه من صدأ الزمان مصائب؟

فإذا أردتم أن يكون نشيدنا عذباً عليه من السّلام سواكب

فاسعوا إلى استقلالكم وتَرشّفوا قطر العُلى وإلى الفخار تواثبوا!(۱)

يقول إلياس قنصل فى مقدمه ديوانه «السهام» لا حريه للشعر مع عبوديه الوطن وعليه «فإن من تقيدت بلاده ليس حراً وهو بعض منها. من لم يكن حراً فلن تتفتق نفسه عن شعر حر. فسعينا لاستقلال بلادنا سعياً لحريه شعرنا، وأن الأدب من أسلحه الكفاح فى الأمه.(۲)

ويثير الشعر السياسى عند نزار قبانى، التزامه فى الموقف، والالتزام فى الموقف يستتبع إدراك قيم إنسانيه واجتماعيه؛ بها يتجاوز المرء موقعه لتغييره إلى ما هو خير.

ولا ـ يتوافر الوعى بهذه القيم إلا ـ إذا اشترك بهذا الوعى مع طبقته أو أمّته؛ أو فئته؛ فيكون ثائراً فى جهوده الإنسانيه المتآزره مع جهود نظرائه. أما إذا انطوى على نفسه، وقصد تحقيق غايته الذاتيه التى لا يشترك فيها مع بنى قيمه أو طبقته، فإنه يكون متمرداً.

وهناك فرق بين الثوره المشروعه والتمرّد الذى هو غير إنسانى، ويتنافى مع القيم الإنسانيه(۳) فبعدما فجّرت نكسه حزيران (۱۹۶۷ م) مشاعر نزار قبانى السياسيه قال معلقاً على قصيدته «هوامش على دفتر النكسه»: «لا قيمه لفن لا يحدث ارتجاجاً فى قشره الكره الأرضيه.. ولا ـ قيمه لقصيده لا تشعل الحرائق فى الوجدان العام.. فى المرحله التاريخيه التى نعيشها، لا قيمه لشعر يحترف

۱- (۱) إلياس قنصل، ديوانه «السهام»: ص ۴۸-۴۹.

۲- (۲) . المصدر: ص ۱۰.

۳- (۳) محمد غنيمى هلال، الأدب المفارق: ص ۴۰۷.

التبخير والتستر والتقيه.. لم يبق بعد حزيران للشاعر سوى حصان واحد يمتطيه هو الغضب.. ولكن أين يبدأ حدود هذا الغضب وأين ينتهى؟ صعب علىّ كثيراً أن أرسم حدود غضبى فطالما أن هناك سنتمتراً واحداً من أرضى تحتله إسرائيل، وتذلّه وتقيم عليه مستعمراتها، فإن غضبى بحر لا ساحل له، أنا لا أستطيع أن أتحدث على طريقه عمرو بن كلثوم:

إذا بلغ الفطامَ لنا صبىّ تخّر له الجبابر ساجدينا

إن الأطفال فى عصر عمرو بن كلثوم كانوا بخير، وكان لهم وطن وقبيله. أما أطفال القدس، وحيفا ويافا، ونابلس، والناصره، فلا زالوا يبحثون عن وطن»،(١) فالتحول – بعد الخامس من حزيران (١٩٦٧ م) – ليست بمعجزه نزلت على نزار بل ردّ فعل ضميره السياسى الحىّ الذى أمطر العالم بقصائده السياسيه واضعاً يده على داء أمّته بعدما حدّد موقفه من مسائل عصره، وهكذا استمر نزار حتى وافاه الأجل فى عام (١٩٩٨ م) أليس هو القائل فى قصيده «إفادةٌ فى محكمه الشعر» والتى ألقاها فى المهرجان الشعرى التاسع ببغداد فى نيسان عام (١٩٦٩ م):

مالنا.. مالنا.. نلومُ حُزَيْرا نَ وفى الإثم كلُّنا شُرَكاءُ

مَنْ هُمُ الأبرياءُ؟؟ نحنُ جميعاً حامِلُو عارِهِ.. ولا استثناءُ

وَحْدَويُّونَ!! والبلادُ شَظَايا كلُّ جزءٍ من لحمها أَجزاءُ

ماركِسِيُّونَ!! والجماهيرُ تَشْقَى فلماذا لا يشبعُ الفقراءُ

قُرَشيُّونَ!! لو رأَتهُمْ قُرَيشٌ لاستجارتْ مِنْ رملها البَيْداءُ

لا يَمينٌ يُجيرُنا أو يسارٌ تحتَ حدِّ السِّكِّين نحنُ سَوَاءُ

لو قرأنا التاريخَ.. ماضاعتِ القُدسُ وضاعتْ من قبلها (الحَمْراءُ)(٢)

١- (١) نزار قبانى، الأعمال الكامله: ٣/٤٠٤.

٢- (٢) نزار قبانى، الأعمال السياسيه: ٣/٤٠٢-٤٠٤.

«ليس الشاعر واعظاً يعظ بالبينه ولا ـ حكيماً يعلّم بالعبر ولا عالماً يخلص إلى المادى والمجرّدات والتعاميم وليس مقلّداً يعرّف ويصف، وإنما هو راءٍ – كما يقول رامبو – يشاهد الحقيقه ويتّصل بها ويحلُّ فيها ويمثلها بالرؤى والرموز والاستعارات والأطياف التى تحدس فى خياله وانفعاله المدهشين.

فالحقيقه الشعريه هى حقيقه انفعاليّه دون شك، ولكنّها لا تصدر عن الانفعال المهووس، الفاقد البصيره، وإنما هو انفعال عاقل، رزين، يستمدُّ من العقل جدّيته ومن العاطفه يقينها وحرارتها وحياتها وحيويتها».(١) وما أبيات نزار قبانى إلّا توضيحاً لصوره عاشتها أمته وحقيقه عكستها رؤيته، فقد جعلت الشاعر يلمس بحسه وبصيرته وضميره أبعاد الهزيمه وعمقها، فألقى أعباءها على الجميع، فالناس فى الإثم شركاء وكل حسب حاله. ثم بيّن الشاعر التذبذب عند أمته وأنظمتها آنذاك، وزيف الظاهر والشعارات المغريه ويصرّح بأن التشبث بالشرق والغرب لايسمن ولا يغنى من جوع وهذه الاتكاليه هى أحد أسباب الهزيمه والتخلف. ثم يتابع ويذكر السبب لهزيمه حزيران وهو الانفصال عن التاريخ والقيم الإنسانيه والتراث العربى والإسلامى. إذ لو فهمنا التاريخ لما ضاعت القدس ومن قبلها الأندلس. ثم يواصل نزار قصيدته قائلاً فى مقطع ثان:

يا فلسطينُ.. لا تزالينَ عَطشى وعلى النفط نامت الصَحْراءُ

العباءاتُ كلُّها من حريرٍ.. والليالى رخيصةٌ حمراءُ..

يا فلسطينُ.. لا تُنادى عليهمْ قد تساوى الأمواتُ والأحياءُ

قَتَلَ النفطُ مابهم من سجايا ولقد يقتُلُ الثرىَّ الثراءُ(٢)

١- (١) إيليا الحاوى، نزار قبانى شاعر قضيه والتزام: ٦/٢.

٢- (٢) نزار قبانى، الأعمال السياسيه: ٤٠٥/٣.

يرى الشاعر أنه «ليس من وظيفه الشعر أن يتحوَّل إلى ذئب.. ولكن حين يدخل رمح إسرائيل إلى هذا المدى من كبريائنا.. وحين يسافر فى أنسجتنا وأعصابنا، ولا أحد يسأله إلى أين.. يصبح الشعر هجمه انتحاريه.. على الطريقه اليابانيه تدمر الأرض والسماء جميعاً».(۱) ومن هذا المنطلق يصب نزار، جام غضب ضميره السياسى ويوجه هجومه الشديد وهجاءه اللاذع إلى أولئك الأحياء الأموات الذين أضاعوا الثروات ولم يستخدموها بالشكل المناسب لتحرير القدس الضائعه، إذ انشغلوا بأنفسهم وأمات النفط ما بهم من سجايا عربيه وإسلاميه أصيله، وهذا الهجوم ليس أوّل وآخر هجوم للشاعر نزار قبانى يعالج من خلاله آلام أمته وجراحاتها فى قصائده السياسيه والوطنيه والتى تضمنها الجزء الثالث من أعماله الكامله مثل: خبز وحشيش وقمر؛ رساله جندى فى السويس – جميله بوحيرد الحب والبترول – هوامش على دفتر النكسه – الممثلون – الاستجواب – فتح – شعراء الأرض المحتله – القدس – منشورات فدائيه – عرس الخيول الفلسطينيه – دعوه اصطياف من حزيران – حوار مع أعرابى أضاع فرسه – الحاكم والعصفور – الخطاب – حوار مع ملك الفول – إلى الجندى العربى المجهول – تعريف غير كلاسيكى للوطن – خطاب إلى شخص شهر حزيران – جمال عبد الناصر – الهرم الرابع – من مفكره عاشق دمشقى – ملاحظات فى زمن الحب والحرب – إفاده فى محكمه الشعر – يا ست الدنيا يا بيروت – أنا ياصديقه متعب بعروبتى – حوار ثورى مع طه حسين – أريد بندقيه – السيمفونيهُ الجنوبيه وغيرها.

وهكذا تدفّق شعر الضمير السياسى، بجمال تعبيره وطلاوه ورشاقه لفظه عند القبانى، فتراه يُغرّد كالبلبل حيناً ويجرح كالسيف حيناً آخر، «قد أخرج المعجم السياسى من غربته وأزال عنه وحشته فألانَ الصله بينه وبين الذوق

١- (١) نزار قبانى، الأعمال السياسيه: ٤٣٢/٧، (من تعليقاته على «هوامش دفتر النكسه»).

العربى. كأنه بدّل التصور الذى استوطن فى الذهنيّه العربيه والإسلاميه حيال السياسيه إلى ألفه حميمه، والذى زاد توفيقه أنه يستخدم قاموس الفعل السياسى لهجاء السياسه والسياسيين»(۱) بكلّ جرأه وشجاعه فيضع أصابعه على الداء وفى حينها يصف الدواء كما نلاحظ فى رسالته لجمال عبد الناصر قائلًا: «أودعتها – هوامش على دفتر النكسه – خلاصه ألمى وتمزقى، وكشفت فيها عن مناطق الوجع فى جسد أمتى العربيه، لاقتناعى أن ما انتهينا إليه لا يعالج بالتوارى والهروب، وإنما بالمواجهه الكامله لعيوبنا وسيئاتنا. وإذا كانت صرختى حاده وجارحه، وأنا أعترف سلفاً بأنها كذلك، فلأن الصرخه تكون بحجم الطعنه، ولأن النزيف يكون بمساحه الجرح».(۲)

ولقد جاءت «القدس» فى معظم قصائد شاعرنا نزار، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل علو منزله القدس ومكانتها وما تحمل من رموز فى قلبه وعقله، موكلًا تحريرها للأجيال القادمه. وهكذا نجد الضمير السياسى حيّاً عند الشاعر بدوى الجبل يحرّك القدس ويهتف بتحريرها فعند ما هدد «أحد الملوك فى يوم من الأيّام بأنه سيحتل حوران، فهو يريد أن يكون ملكاً على سوريه أيضاً.. انفعل البدوى وألقى قصيده من الإذاعه السوريه، يقال أن ذلك الملك قد ضرب الراديو فحطمه عندما سمع البدوى يقرأ هذين البيتين:

يهدد بالسلاح ويدّعيه وما ملك الجنود ولا السلاحا

بطاح القدس دنّسها مغير فهل حميت كتائبه البطاحا؟!(۳)

أشار البدوى فى هذين البيتين إلى الفكر البائد الذى يتمتع به بعض قاده الأمّه فيرى البدوى أن حالهم حال الإنسان الأحول، فهم بدل أن يهبوا

۱- (۱) نزار قبانى، شاعر لكل الأجيال: ص ۶۲.

۲- (۲) نزار قبانى، الأعمال الكامله: ۴۳۵/۷.

۳- (۳) جريده تشرين: ۱، شباط، ۲۰۰۵، العدد (۹۱۶۲)، ص ۸.

لاستخلاص القدس من الاحتلال تسوّل لهم أنفسهم بالاعتداء على جيرانهم وإخوتهم! وفى قصيده «سرحان يشرب القهوه فى الكفاتيريا – السبعينيات» سخر محمود درويش من أولئك الذين حولوا القدس إلى عرش السلطه محاولين خدمه شعوبهم بإظهار الولاء لقضيه القدس، موجها نقده اللاذع أيضاً للذين يتاجرون بها على المنابر حتى أصبح الحديث عنها تملّه الآذان ويكتئب منه الإنسان لأنه لم يقترن بالعمل الصادق. قائلًا:

وما القدس والمدن الضائعه

سوى ناقه تمتطيها البداوه

إلى السلطه الجائعه.

وما القدس والمدن الضائعه

سوى منبر للخطابه.

ومستودع للكآبه.

وما القدس إلّا زجاجه خمر وصندوق تبغ..

.. ولكنها وطنى

من الصعب أن تعزلوا

عصير الفواكه عن كريات دمى..

ولكنها وطنى.(۱)

فالقدس هى الدم الذى يجرى فى عروق الشاعر وهى الهواء الذى يستنشق منه، محال عزلها يوماً ما كما أن عزل عصير الفواكه عن كريات الدم محال، فيرسم صورتين للقدس، صوره لموتى الضمائر والمتاجرين بها، وصوره صادقه لدى أصحاب الضمائر الحيّه الذين آلوا على أنفسهم رسمها فى قلوبهم. وقريب من هذا المضمون قصيده هارون هاشم رشيد (فى الزّمَن

۱– (۱) محمود درويش، الديوان: ۴۵۶/۱ و ۴۵۷.

المُهـان – السـبعينيات) لكن يظهر أنها أشـد قسوه إذ هى تؤنّب الضـمير السياسـى لـدى الجميع، حينما يطاف يومياً حول القـدس وبمختلف الوسائل، لكنها تبقى مكبله فى السلاسل تئنُّ من وطأه الاحتلال الصهيونى فيقول:

القدس فى هذا الزمان

فى زمن الطرشان.. والعميان

فى زمن المُهان

القدس، صارت منتدى،

وملتقى، ومهرجان..

القدس صارت مطعماً، ومشرباً

وملصقاً على الجدران..

القدس فى كل مكان

فى صف الصباح، والمساء

فى موجز النشره، فى تفصيلها،

فى أول الأنباء

القدس فى العنوان

فى خطبه الجمعه،

فى محادثات القمم الشمّاء

القدس دائماً فى البال،

فى الضمير؛ فى الأذهان

تبقى مكانها،

مكتومه الصدر،

لا تجاوز اللسان.(۱)

۱- (۱) هارون هاشم رشید، مفکره عاشق: ص ۲۴ و ۲۵.

إن اللغه الشعريه عند الشاعر هارون تمتاز بالوضوح وبالحده والشده والعنف أحياناً إلّا أنه يمتلك ضميراً حياَ وواعياً فهو يناضل بأحاسيسه ومشاعره من أجل قضيته، فالقدس لن تغب عن ذهن الشاعر ولا عن ضميره ولو للحظه واحده، ولكنه يرى أن الجماهير بعيده عن التأثير الحقيقى بالأحداث السياسيه، ولذا أصبحت القدس لقلقه لسان فقط. وعلى الرغم مما نلاحظ فى قصيدته من اليأس والتقريع المباشر إلّا أن القدس عنده مازالت تحرّك الزمان وتؤثر فيه فهى تتصدر كل شيء لتهز الضمائر الخامده ولتدين صمت هذا العالم الذى بات وكأنما تخلّى عن ضميره السياسى والإنسانى، إذ لا ـ يسمع ولا ـ يفقه الصوت الضارع لفلسطين والقدس وهو يصرخ صباحاً ومساءً لنجدته واستغاثته من قيد الاحتلال.

وهكذا نجد نزار قبانى فى قصيده (القدس – أواخر الستينيات) يبكى على أعتاب القدس، المدينه المكبله ويتساءل نزار عن ما سيعيد السنابل والغصون وضحكه الشفاه والعيون..

بكيتُ.. حتى انتهت الدُمُوعْ

صلَّيتُ.. حتى ذابت الشُمُوعْ

ركعتُ.. حتى ملنى الرُكوعْ

سألتُ عن مُحَمَّد..

فيك، وعن يَسُوعْ

يا قدس. يا مدينه تفوح أنبياء

يا أقصر الدروب بين الأرض والسماء

يا قُدْسُ.. يا مدينتى

يا قُدْسُ.. يا حبيبتى

غداً.. غداً.. سيُزْهِرُ الليمونْ

ص:١٧٣

وتفرحُ السنابلُ والغُصُونْ

وتضحك العُيُونْ.(۱)

فالشاعر يستنجد بالضمائر الإسلاميه والمسيحيه لنصره القدس وتحريرها من الاحتلال الصهيونی.

جدول أهم قصائد محور «القدس والضمير السياسی العالمی» حسب الترتيب الزمانی

ص:۱۷۴

۱- (۱) نزار قبانی، الأعمال السياسيه: ۱۶۱/۳.

القدس والوحده العربيه والإسلاميه

لقد كانت الوحده العربيه فى كثير من الأحيان تعنى «الوحده الإسـلاميه» لا غير لكن بعض تصـرفات الحكم العثمانى (۱۹۱۷ م - ۱۵۱۶ ه) البعيده عن المنطق والحكمه، جعل حركه الوحده العربيه تتبلور بشكلها القومى العربى ويراد منها الوحده السياسيه للبلاد العربيه والأمه العربيه آنذاك ومن خلالها يستطيع أبناؤها مواصـله الطريق وعلى مختلف الأصـعده لاسـيما طريق النضال والكفاح لحل القضيه الفلسطينيه وتحرير قدسها من دنس العدو الغاصب.

فالوحده العربيه والإسـلاميه أمل العرب والمسـلمين فى عصـرنا الحاضر، إليها تتوق النفوس، وتهفو الأرواح، لاسيما وأن الظروف العامه تدعو العرب والمسلمين إلى التمسك بفكره الوحده والعمل على تحقيقها بكل ما أُوتوا من قوه وعزم وإيمان.

لقـد مضت على الأمه العربيه والإسـلاميه أيـام مظلمه حقّـاً، لاقَت فيهـا من صـنوف التفرقه مـا أضـعفها ونكّل بها وجعل بلادها وأرضهم مطمعاً للغزاه الصهاينه. ولكن الأمل يدفعهم إلى الخلاص من هذه الفُرقه بأى ثمن لينتهوا إلى تحقيق الوحده التى تجمع بينهم وتوحـدهم وتؤلـف بين قلوبهم وتفرض إرادتهم، المشـتركه ووجودهم،(۱) ولاشـك أن هـذا قـد حصل فى القرون الثلاثه الأولى وذلك أيام الدوله الإسلاميه والعربيه وصدر الإسلام حيث توحدت الرايات تحت رايه الإسلام.

ص:۱۷۵

۱- (۱) نور الدين حاطوم، نحو الوحده العربيه: ص ۴۳.

وتبرز حقيقه الوحده من خلال الكفاح ضد الاحتلال والاستعمار الغربى، فقد أكدت الظروف التى مر بها الوطن العربى والإسلامى بعد الحرب العالميه الثانيه لاسيما فى فلسطين أهميه الوحده وضرورتها فلهذا قد وجدَ شعراء القدس أنفسهم أمام أحداث كبيره أبرزها زرع الكيان الصهيونى فى قلب الأمه واحتلال قدسها، لذا تحول البعض إلى دعاه قوميين منادين بالوحده العربيه، فالتجزئه لم تعد مجرد حدود سياسه تفصل وطناً عن آخر فحسب إنّما صارت جزءاً من مشروع استعمارى هادف لابتلاع الشعوب وثرواتها.

ومن هنا نجد أن الشعراء ركّزوا على هذا الجانب الأهم، حيث يرون بعض أسباب الهزائم التى منيت الأمه بها كان منشؤها تلك المشاريع والخطط الخبيثه التى سببت التمزق والفرقه وقطعت جسد الأمه إلى أشلاء مبعثره وأوطان متناحره أدّت إلى ضياع القدس بكل بساطه.

لاشك أن القضيه حينما تكون على هذا المستوى من الخطوره، كما هو الشأن بالنسبه إلى قضيه القدس، فإن المسؤوليه تكون على عاتق الجميع وعليهم تحملها ولا يجوز لأىّ واحد أن يفرّط بها ويتخلف عن تحمل مسؤوليته منها.

ومن هنا جاءت تساؤلات الشاعر المتتاليه فالأمه قد أعرضت عن الوحده وقبول المسؤوليه وراحت تركض خلف السراب لتزداد عطشاً، حين واجهت سفينتها العواصف المهلكه مما جعل صوت الشاعر يعلو بالنحيب وقلبه يقطّعه الأسى حين يرى شعبه انسحب من تحت أرجله البساط، وتوالت هزائمه ونكساته فنظر بعمق ثم تحسّر قائلاً: ما أكثر العبر وقله المعتبر، فالصهاينه – مع ذلّتهم وتفرّقهم وتشتّتهم – أخذوا بأسباب القدره والقوه وتوحدوا مع الباطل فى كل شؤونهم، وأصحاب الحق يُبكى لهم! مع وضوح الحق ومسلكه وكثره منارات الهدى فيه.

ص:۱۷۶

ولذا نرى كيف يستبشر الشاعر حسن البحيرى فى القصيده (أفراح الوحده - ١٩٥٨) عندما أعلنت الوحده بين «مصر» و «سوريه» فى شباط عام (١٩٥٨) فراح يعزف ألحان الفرح وهلل له حيث أن أمله وأمل أمته العربيه والإسلاميه قد لاح بالأفق ومن خلاله سوف تعود القدس إلى حضن أهلها قائلًا:

وَطَنٌ حُرٌ روينْا أرضَهُ بدَمٍ يَقْطُرُ منْ كُلِّ جنانِ

ورَفَعْنا فى ذُراهُ رايَةً تتهادَى فوقَ هاماتِ العَنَانِ

نحنُ فيه أمَّةٌ واحدةٌ لم تُفَرَّقْ بفؤادٍ أو لِسانِ

وعلى جرحٍ عَميقٍ فى الأسى ليسَ للطِّبِّ بدُنياهُ يَدانِ

هاجَ قلبُ المَسْجِدِ الأقصَى هوىً أنطَقَ الجُرحَ بآياتِ البَيَانِ(١)

برزت الحاجه الملحه إلى مفهوم الوحده العربيه وكما سبقت الإشاره إليه - فى بدايه هذا المحور - إثر تفكك البلاد العربيه أثناء الاحتلال الغربى واقتسام الدوله العثمانيه والتى تركت بصماتها آنذاك على نفسيّه المواطن العربى، واشتدت المقاومه للحفاظ على الهويه القوميه العربيه لاسيما بعد زرع الغده السرطانيه - الكيان الصهيونى - فى قلب الأمه والتى أكدت على أن بلوره الوحده هو الرد الحازم والحل الوحيد للقضايا الراهنه لاسيما قضيه القدس، وكان من أبرز نتائج هذه الفكره فى أرض الواقع هو: وحده مصر وسوريه عام (١٩٥٨ م) حتى أيلول عام (١٩٦١ م) وكذلك اتحاد جمهوريات كل من مصر وسوريه وليبيا عام (١٩٨١) واتحاد المغرب العربى عام (١٩٨٩) ومجلس التعاون العربى عام (١٩٨٩) واتحاد شطرى اليمن عام (١٩٩٠) ومن هنا صّور البحيرى أن الوحده العربيه ستقضى على كل أشكال التخلف والتمزق والفرقه وتجعل للأمه قلباً ولساناً واحداً تنطلق من خلاله نحو القدس والمسجد

١- (١) حسن البحيرى، لفلسطين أغنى: ص ٧١-٧٣.

الأقصى لتحقق الآمال والأحلام وتعيد البسمه الضائعه لأمتها وشعبها.

وفى هـذا المضـمون جاءت قصـيده (فى عيـد الوحـده) للشاعر سـليمان العيسـى والتى ألقاها فى حلب احتفالاً بمولـد الجمهوريه العربيه المتحده فى شباط من عام (١٩٥٨):

وليالى الضَّياعِ، والقيدِ، زولى نحن باقون وَحْدةً لن تزولا

وحدةً.. تُلْهِمُ الكواكبَ مسرا ها وتمشى فى القفرِ ظلّاً ظليلاً

وحدةً.. فى السماء والأرضِ منها لَهَبٌ يغسِلُ الأذى والدخيلا(١)

فالشـاعر يعبّر عن إحسـاسه الصـادق تجـاه الوحـده العربيه فيرى نفسه لابسـاً ثيابه القشب، راقصاً فى عيـد ميلاد الجمهوريه العربيه المتحده، إذ زمان الضياع والتشتت لم يَعُد يذكر! ثم يواصل قصيدته قائلاً فى مقطع ثانٍ منها:

أينَ أهلى على الذُّرى الشمِّ فى لبنانَ؟.. تحلو فى العيد كأسُ التلاقى

أينَ أهلى.. فى القُدْسِ، فوق الضِّفافِ الخُضْرِ، ضَجَّت فى صدرِهم أشواقى

لَكَأَنى أجُر خلفى حطاماً من عقالٍ فى زَنْدها ووَثَاقِ

العراق الحبيبُ.. طال دُجاه أنا أدْرَى بصاعقاتِ العراقِ

أينَ أهلى.. فالعيدُ فى كل صدرٍ زَغْرداتٌ تضى ءُ فى الآفاق(٢)

فنضال الأمه يتوقف على وحده كلمتها وصـفها، لأن التمزق موت والوحده حياه، وتحرير القدس لا يتم إلّا عبر الحياه إذ هى التى تحمـل فى طياتها التضامن والجهاد، ومن أجلها ضـحّى الكثير بأنفسـهم وأموالهم للوصول إلى أهـدافهم الساميه، فنـدبَ سـليمان العيسى العرب فى لبنان وبغداد وغيرهم معلناً تضامنه معهم يطرب للوحده حين لاحت فى الآفاق والأنفس.

ص:١٧٨

١- (١) سليمان العيسى، الأعمال الشعريه: ٤٣٣/١.

٢- (٢) المصدر: ٤٣٤-٤٣٥.

وراحت الشاعره هند هارون فی قصیده (من وحی الوحده – ۱۹۵۹ م) ومن هذا المنطلق تصورّ لنا بأن الوحده الکبری ستکون کالمظله والخیمه تضم تحت جناحها أمتها العربیه والإسلامیه وستکون المنطلق لتحریر القدس وعوده أهلها قائله:

الوحده الکبری.. تبارک من یهلل للعروبه..!!

وتضم تحت جناحها.. أبناء أُمّتنا الحبیبه..

سیعود شعبُ القدس.. جباراً.. إلی الأرض السلیبه

سیعود.. رغم الغاصبین.. إلی مرابعه الخصیبه!!(۱)

وهکذا تغنّی شعراء القدس فی عقد الخمسینیات والستینیات مستبشرین بالوحده العربیه متفائلین باستخلاص القدس من براثن الاحتلال، ولکن یا تری هل تحققت آمالهم وأمنیاتهم؟ وبأی نسبه وماهی الأسباب؟ هل الأسباب أنفسهم؟ أم أن الجمیع مشترک فی ذلک؟ ولمَ لم یستمر شعراء القدس بعد الستینیات بالطرب للوحده والتغنّی لها؟ هل خابت آمالهم؟ وهل سیبقی حلم الوحده الذی طال انتظاره غیر قابل للتحقق وغیر قابل للتفسیر؟ أری من المناسب أن نحیل الإجابه لمستقبل القدس وتاریخها المستقبلی إذْ الشعر سکت عن ذلک حیث تتّبعنا مظان شعر القدس فلم نحصل علی شیء ولکن خارج إطار الشعر کتبت عشرات بل مئات الکتب والمقالات وعقدت الندوات والمؤتمرات بما لایقل عن ذلک، لدراسه هذا الموضوع – الوحده – أمثال: نحو الوحده العربیه لصابر فلحوط، والوحده العربیه لعلی بدور، والوحده العربیه لعبد العزیز الدوری والوحده العربیه لناصیف غالب ونحو الوحده العربیه لنور الدین خاطوم و.. ونوقشت المعوقات والتبعات وقدمت الحلول والمقترحات.. ونحن نأمل أن تتوحد الأمه الإسلامیه بما فیها العربیه

۱– (۱) هند هارون، سارقه المعبد: ص ۸۲.

ومن خلال هذه الوحده يبزغ الفجر حين نرى رايه النصر ترفرف فى ربوع القدس وفلسطين، إذ الوحده الإسلاميه والتى دعا إليها الإمام الخمينى (قدس الله سره) هى الدواء لكل داء.

جدول أهم قصائد محور «القدس والوحده الإسلاميه» حسب الترتيب الزمانى

القدس وقضيه السّلام

إن السّـلام من القيم الساميه المتفق عليها عند البشـريه جمعاء، لاسـيما عند الشـعوب الإسـلاميه حيث يرددون تحيه السّلام صباحاً ومساءً، وذلك تطبيقاً لتعاليم دينهم ومنهج إسـلامهم – السّـلام عليكم.. عليكم السّلام – وهل يتصور للدين الحنيف غير هذا؟ بل أكثر من ذلك إذ أمر الله عز وجل المسلمين أن يجنحوا للسـلم حتى مع خصـمهم، أليس هو القائل وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ(۱) وهذا حسب الأسس والقواعد المنطقيه العقليه لدى جميع الأمم والأقوام «إلاّ اليهود الصهاينه يصرون على أن تكون لهم مفاهيمهم الخاصه لجميع القيم بما فيها السّلام، فوراء شعارات السّلام التى يرفعونها يخفون حقيقه نفوسهم المياله نحو الحرب والعدوان، وهذا طبع متأصل فيهم، وعاده متحكمه فى شخصيتهم، تظهر فى أعمالهم وتصرفاتهم وتعبر عن

۱- (۱) الأنفال: ۶۱.

مفهومهم للسلام كخيار تكتيكى، على عكس ما هو عند غيرهم».(۱)

هاهو القرآن الكريم يخبرنا عن بعض أفعالهم على طول التاريخ ويحذّرنا من مكائدهم المتواليه (أَ فَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَ قَدْ كانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ)۲ وفى آيه أخرى قوله سبحانه: (أَ وَ كُلَّما عاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ)۳ وفى العصر الحديث وتحديداً توقيع معاهده كامب ديفيد فى تاريخ (۱۹۷۸/۹/۱۸) التى تعتبر أول معاهده سلام تخص قضيه القدس ومروراً بمعاهده مدريد (۱۹۹۱) وأوسلو (۱۹۹۳) تبلور تاريخ الصهيونيه وأصبح أكثر وضوحاً، ولذا تبددت أوهام السّلام حينما رأى الجميع أن إسرائيل غير راغبه فى السّلام العادل، وما تريده من معزوفه السّلام هو أن لا يكون سلام لأنها تدرك جيداً بأن معنى السّلام هو إخلاء سبيل القدس وإرجاع الحق إلى أهله وهذا خلاف فلسفه وجودها فى قلب الوطن العربى والإسلامى فلسطين؛ حيث إن الكيان الصهيونى فرض على الأمه فرضاً بقوه الاستعمار والخطط المدروسه مسبقاً، ولذا حينما يدور الكلام حول قضيه السّلام ترى الصهاينه لايريدون السّلام بالمعنى الحقيقى له ويضعون دائماً خيار الاستسلام أو الموت للشعب الفلسطينى، ولا شك أن هذا أخطر من الاحتلال على الشعب والأرض والعرض.

ثم «ما قيمه السّلام إذا كان المطلوب منا أن نتنازل عن حقوقنا فى وطننا ليظل شعبنا مطروداً من أرضه وأرض آبائه وأجداده ويعيش مشرّداً بلا وطن يُؤويه وبلد يحميه؟ وما قيمه السّلام إذا كانت إسرائيل تصادر المزيد من

۱- (۱) محمد على عمر الفراء، السّلام الخادع: ص ۳۴۹.

الأراضى الفلسطينيه وتقيم عليها مستعمرات جديده أو توسع القائم منها؟».(۱)

ونجد الكثير – مع الأسف الشديد – قد صدّق هذه الخدعه – السّلام – بشىء من السذاجه، وآمنوا بأنه من الواجب عليهم فعلاً أن يسلّموا بأن إسرائيل حقيقه واقعه لا يمكن أن تزول، نسجوا من صلب مأساتهم أحلام المستقبل القائم على تحقيق السلام، وراحوا يترقبون ساعه إحلال هذا السلام.. كلُّ ظنهم كان أن السّلام سيحلُّ بين ليله وضحاها،(۲) ونسوا العزه الإنسانيه والإسلاميه والعربيه وكأنه لم يمر عليهم قول المتنبى حين يقول:

عشْ عزيزاً أوْ مُتْ وأَنْتَ كريمٌ بين طَعْن القَنَا وخفق البنود(۳)

بـل راح البعض أبعـد من هـذا حين أخـذ يتغنى لإسـرائيل وشـغفها لشـعوب العالم الثالث ونيتها الخالصه لهم!، علّق آمال انتعاش البلاـد والأوطـان العربيـه وازدهارهـا إلى مابعـد السـلام!!، إذ سـوف يصب ميزان الكيـان الصـهيونى – عفـواً إسـرائيل الشـقيقه – بالمعونات المختلفه وتتدفق التكنولوجيا الحديثه لبلاده، لتصبح جنه الدنيا وأمنيتها.

ولكن تاريـخ السّـلام العربى – الإسـرائيلى قـد أثبت خلاف هـذا التصور «فقد كشـفت الوثائق أن تاريخ العلاقات الاقتصاديه بين مصر وإسرائيل – أيام الرئيس السادات – هو تاريخ نشر مخدرات ونشر الإيدز، ونشر الفساد الإدارى، وأغذيه فاسده، أو مجرثمه، أو مؤديه إلى العقم أو مهيجه جنسياً، أو مثبطه جنسياً.. وهلم جرّا، وأمّا المكاسب التى حققتها موريتانيا فهى دفن النفايات النوويه الإسرائيليه فى أراضيها».(۴) وكما قيل مَنْ جَرَّبَ المُجَرَّبَ

ص:۱۸۲

۱– (۱) محمد على عمر الفراء، السّلام الخادع: ص ۳۵۵ و ۳۵۶.

۲– (۲) عزت السيد أحمد، انهيار أسطوره السلام: ص ۸.

۳– (۳) أبو الطيب المتنبى، الديوان: ۴۵/۲.

۴– (۴) عزت السيد أحمد، انهيار إسطوره السلام: ص ۱۸۷ و ۱۸۸.

حَلَّتْ به النَّدامةُ إذن لَم هذه الهروله نحو شرب السم القاتل؟ لم هذا التسابق نحو الفناء المحتّم!؟.

مضت السنون وتصرّمت الأيام على بدء مفاوضات السّلام منذ عام (١٩٧٨ م) من دون الحصول على أيّ شيءٍ يستحق الذكر!، اللهم إلّا عدم استخدام لفظ الكيان الصهيونى والعدو الصهيونى عند الحديث عن إسرائيل، واستخدام لفظ حائط المبكى بدلاً من حائط البراق، واستخدام لفظ قتيل بدلاً عن شهيد حينما يسقط الفلسطينى برصاص الاحتلال وهو مضرّج بدمه، واستخدام المستوطنات بدلاً من المستعمرات، والاعتراف بإسرائيل دوله يمكن العيش إلى جانبها لدى البعض!!!

هذا أدمى قلوب شعراء القدس وفجّر قرائحهم شعراً لونه أشد اسوداداً من غياهب الدجى، يسوده الألم والحزن، مما جعل القدس صامده شامخه، ولكنها تئنّ وتصرخ لما تعانيه من وطأه الاحتلال، واستغرابها من آخر الزمان، وفوضى المواقف، كيف اتفق أهل الباطل على باطلهم وتفرّق أهل الحق عن حقهم، بل عن أرضهم، ولا أقول هذا جزافاً ولا مبالغه إلّا بعدما تتبعت مظان شعر هذا المحور - القدس وأوهام السلام - فلم أعثر على شاعر من شعراء القدس قد تفاءل لقضيه السّلام على الروايه الصهيونيه، ولا بارقه أمل لمستقبل واضح المعالم يسوده العدل والمساواه وهكذا جثم على قضيه القدس عهد جديد وهو مأساه الضياع.

ولهذا المصاب يفجع شاعر القدس ويمزقه الجزع والأسى معبّراً كل التعبير عن ضياع شعبه ووطنه وقدسه، وهذا ما نجده عند الشاعر السورى زكى قنصل وذلك حينما خُدع العرب فى عام (١٩۴٨ م) بالحديث عن الهدنه والسّلام وكان إنقاذ الكيان الصهيونى بعدما أوشك على الانهيار فى بدايه الحرب، وبالفعل كانت نتيجه خدعه السّلام نكبه الجيوش العربيه وضياع فلسطين والقدس الجديده، يقول قنصل فى قصيدته (خرافه السلام - ١٩۵۵ م):

لَهْفى على القُدْس انطوت أعلامُه وَكَبتْ بأشبال النضال خيُولُ

يمشى الأصيلُ ابنُ الأصيل مُطَأطئاً فيه ويَشْمَخُ واغلٌ مَرْذُولُ

الهُدنهُ النكراءُ أصْلُ بلائنا فى عُنق عاقدها الدَّمُ المَطْلولُ

لولا حبائلُها لحطَّم سَيْفُنا وَكْرَ الرذيله وانتهت إسريلُ

لَيْتَ الذين استبشروا بَسرابها زلَّتْ بهم قَدَمٌ وضلَّ دليلُ

مليونُ لاجٍ فى العراء تَشَرَّدُوا لم يَخْتَلِجْ لَهوانهم مَسْؤُولُ

يا خائفينَ على السّلام أَلَا اخجلُوا ودعوا السّلام خُرافهٌ وفُضولُ(۱)

سلّط الشاعر الضوء فى هذه الأبيات على خدعه السّلام آنذاک حين روّجها حماه الصهيونيه واستسلم لها البسطاء، وهى لم تكن إلاّ خرافه باطله، إذ كيف الحديث عن السّلام وأكثر من مليون لاجئ فلسطينى تحت العراء يقلّبهم حر الصيف وبرد الشتاء، فالشاعر يرى أسباب الهزيمه هى الهدنه وخدعه السلام.

ومن هنا يمكن الاستنباط أنّه متى أصبح الكيان الغاصب فى مأزقٍ من أمره كثر الحديث حول السلام! ولم تمض فتره طويله على مقوله السّلام أيام النكبه حتى فسّر قاده السّلام السّلام وذلک فى عدوانهم الثلاثى على مصر عام (۱۹۵۶ م) وعلى رأسهم الكيان الصهيونى، فواصل الشاعر زكى قنصل حديثه عن السّلام فى قصيده (كنانه الله - ۱۹۵۶) كاشفاً القناع عنه، قائلًا:

أينَ السّلام أين الهاتفون له بل أينَ زَمْرٌ وزُمَّار وسُعْدانُ؟

ما فى الكنانه للطُغيان مُرْتَبعٌ إلاَّ إذا احتل عرشَ الحق شيطانُ

تلک الوعودُ التى انقادت لها انفضحت فبان تحت إهاب الشاه سَرْحانُ

أبحْتُمُ القدسَ للشذاذ فاقتسمتْ عارَ الجريمه إصلال وذؤبانُ(۲)

۱- (۱) زكى قنصل، الأعمال الشعريه الكامله: ۴۳/۱ و ۴۴.

۲- (۲) زكى قنصل، الأعمال الشعريه الكامله: ص ۵۵ و ۵۶.

عكست أبيات الشاعر حدّه الرفض، وكشفت الانفعاليه فى قرارات السّلام المتخذه. وهذا الأمر واضح فى قصيده قنصل هذه وهجومه على دعاه السّلام الكاذب حيث تساءل عن السّلام وأصحابه أكثر من مره، وقد اتسمت القصيده بمباشره الصياغه إذ جاءت ألفاظها سهله الفهم تكاد تقرب من لغه الشارع.

الكل يعلم أن القاعده التى تقوم عليها الصهيونيه، هى قاعده العنف، القتل، الإرهاب.. ولهذا فإننا نرى أنه لا يوجد فى القاموس الصهيونى سلامٌ بالمعنى الحقيقى والمفهوم عند أرباب العقول، لذا تجد إسرائيل تعربد فى شرق العالم وغربه وشماله وجنوبه تاره، وتبكى للسلام مع أقمارها تاره أُخرى، وقد أربكت مواقفها هذه البعض وأرعبت البعض الأخر حيث سقط الكثير قبل الطلقه كما يقول المثل العربى «رغم أن حرب تشرين عام (١٩٧٣) قد بددت كثيراً من هذه الأوهام، إلّا أن فكر بعض القاده والزعماء بوعى أو بغير وعى مازال يدق على وتر حتميه التعامل مع إسرائيل على أساس أن التكافؤ العربى معها مستحيل، وأن مقومات استمرار التفوق لصالحها سوف تستمر إلى ما لا نهايه!؟».(١)

ولعله من هذا المنطلق جاءت معاهده كامب ديفيد للسلام عام (١٩٧٨ م)، التى وقّعها الرئيس المصرى «أنور السادات» ورئيس الوزراء الإسرائيلى «مناحيم بيغن» ولقد كان لها الصدى الكبير على الساحه العربيه والإسلاميه لخرقها الإجماع العربى والإسلامى تجاه العدو الصهيونى، والأثر الأكبر على قضيه القدس بل القضيه الفلسطينيه والشرق الأوسط باعتبارها الحدث الأكبر تأثيراً، وقد عبر شعر القدس عن هذه الأحداث المروعه لأنها الأخطر على الشعب والوطن.

ص:١٨٥

١- (١) موسى عطاء الله، نقاط على حروف السلام: ص ٨.

ومن هنا جاءت قصيده الشاعر عبد الله يوركى حلاق «بنت الفرات – ۱۹۷۸ م» ولعلها أول قصائد هذا الصنف التى نقف عندها، إذ يقول:

يا مصر لمّى ما نثرتِ منَ المُنى الوردُ أمسى فى يديك قَتادا

لا تسألى الأعداءَ سلماً أنّهُمْ مكروا وزادوا خسَّةً وعنادا

ذرّوا الأمانى والوعودَ وأخلَفوا فكأنّهم ريح تذرُّ رمادا

أو ما عددتِ، وفيكِ فطنهُ حاذقٍ للقدس كم ذهبَ الرَّسولُ وعادا

يا مصر هل ينسى الشقيقُ شقيقَهُ؟ كلَّا، ولو طال العتابَ وزادا(۱)

فأبيات الشاعر جاءت عتابيه من شقيق إلى شقيقه، يقدّم له النصائح المخلصه ويكشف التمويه المتلبس به عدوه، وما يكنّ له من شراسه وخسّه وعناد وخلف وعد، كأنّ الشاعر يشير للآيه الكريمه كُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ(۲) التى تؤكّد بعض خصال الصهاينه الذاتيه، فالشاعر انتزع هذه الطباع الخطيره وصوّر السّلام الخادع الذى يتصف به. ففى هذه الأبيات من الشفقه والأنين مالا يخفى، ولعلّ هذا النوع من الشعر وما فيه من همس أوقع أثراً من شعر الصخب والصياح حيث يستمد الشاعر يوركى حلاق عاطفته الإنسانيه من إطلالته العميقه على ثقافه أمّته وأصله العربى والإسلامى.

ولذا يرى كثير من شعراء القدس أن معاهده كامب ديفيد للسّلام كانت بمثابه شرب السم للعرب والمسلمين لما فيها من الخطوره والضياع، وفى هذا المضمار جاءت أبيات قصيده الشاعر اللبنانى جمال الدين (بَسْمَةُ اللَّوْز – ۱۹۷۹ م) قائلًا فيها:

لو لاكَ هل «كمب داودٍ»،

ص:۱۸۶

۱– (۱) عبد الله يوركى حلاق، عصير الحرمان: ص ۲۶۲.

۲– (۲) البقره: ۱۰۰.

سوى طَبَقٍ حَاموا عَلَى شَهْده الْمَسموم

واحْتَشدوا..

يَا رَمْلَ سيناءَ

هل تدرى بما اتخذوا من القرارات

أو تدرى بما عقدوا

مَشَوا إلى القُدْس

ساروا فى جَنَازَتهم

والنَّعشُ لو نَظَرُوا مَنْ فيه ما وَفَدوا

فيه الضَّحَايَا عَلَى الكُثْبان نائمَةٌ

فيه الرَّمادُ

وفيه طَيْفُ مَن رَمَدُوا

مَشَوا إلى القُدس؟

لَيْسَ الشَّتْمُ من شيَمى

لَكنْ أَراهُمْ عَلى شَتْم الوفا اجْتَهدوا

شَدُّوا لَدَى الزَّحْف مَطَّاطاً عَلَى رُكَبٍ

وفى الرَّقاب مناديلَ الخَزَا عَقَدُوا.(۱)

كامب ديفيد عند نجيب جمال الدين هى أساس المصائب التى التصقت بالوطن العربى والإسلامى بل الإباده الجماعيه للعرب والمسلمين، لهذا تصاعدت نقمه الشاعر على الذين زحفوا لأوهام السّلام - على الروايه الصهيونيه - مسرعين فأضاعوا حيثيتهم وكرامتهم وحيثيه وكرامه الأمه برمّتها، لاسيما أبناء القدس وفلسطين، الأمر الذى دفعه للتأنيب والتقريع بمطرقه من الفولاذ والحديد، فالصوره التى يقدمها شاعرنا نجيب تحمل الحزن والألم وتظهر وجدانه المعذب،

١- (١) نجيب جمال الدين، قصائد إلى عاصمه المدن: ص ١٤٣-١٥٨.

تبيّن عمق المأساه التى قصمت ظهر كل إنسان حرّ ذى تاريخ عميق، فالتوجّع المكرر فى القصيده نابع من واقع شده الألم حيث يسارع الإنسان لقتل نفسه ويشيّعها للدفن وهو يظنُّ أنه يُحسن صنعاً، نعم هكذا ضاعت القدس!!

لم تكن أوّل قصيده تشاءم فيها الشاعر نجيب لقضيه السّلام وكشف الأقنعه عن وجوه الصهاينه المختبئه خلف سور السّلام – هذا اللفظ المحبب لدى الجميع – ففى قصيده (الرَّحلَتَان – أواخر السبعينيات) يواصل الحديث عن تداعيات معاهده كامب ديفيد قائلًا:

فَدَارَهُ السلم.. أدرى

سُوْرُهَا لَهَبٌ كَجَنَّهِ الله

إنْ تُعْبَرْ.. فَباللَّهَب

من يُبْغِضُ السّلْمَ؟

لَكنْ.. وَيْحَ طالبه

إنْ راحَ يَحملُ مَعْنى ذِلّهِ الطَّلّب

فإن تَكُنْ..

رِحْلَهٌ للْقُدْس قَدْ جلَبَتْ خزْياً عَلَى القَدْم

يبقى آخرَ الحقْب.(١)

لقد حمل الشاعر «نجيب» جراحات القدس العميقه فى قلبه وفى وجدانه، فعندما يقول المخرج السويدى «بياهو المكست»: «الفلسطينيون لهم حقوق، ككل حقوق الشعوب، وإذا لم تنجز هذه الحقوق، أعتقد أنه لن يكون هناك نوع من السّلام لأن من المضحك القبول بتوزيعهم فى (٢١) دوله عربيه كأنك تقول للسويديين: «اذهبوا وعيشوا فى ألمانيا»(٢) فكيف بابن الوطن لا يصرخ

١– (١) نجيب جمال الدين، قصائد إلى عاصمه المدن الشرقيه: ص ٩٥ و ٩٦.

٢– (٢) منيه سماره، فلسطين فى ذاكره العالم: ص ٧٨.

وهو الـذى يرى ضـياع أرضه بما فيها القـدس الشـريف، فالشاعر اسـتلهم التشبيه من الآيه الكريمه (... فَضُـرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بابٌ بـاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَهُ وَ ظـاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَـذابُ)١ فـالوطن جنّه وخلف سور السّـلام الـذى يؤدّى إلى فقـدان الجنه التى هى الأرض والوطن، لهم جهنّم ونارهـا، وخزى الـدنيا عارها، اللهم إلاّ أن يحقق السّـلام العـدلَ والسّـلام المشـروع إذ ليس هناك من يبغض السّـلام بهـذا المعنى. ولقد اسـتمرت إدانه ومهاجمه السّـلام عند شـعراء القدس، بعد معاهدات مدريد عام (١٩٩١ م) أُوسـلو عام (١٩٩٣ م) ووادى – عربه عام (١٩٩۴ م) وطابا عام (١٩٩۵ م) و «وادى بلانيتش» عام (١٩٩٨ م) وشرم الشيخ عام (١٩٩٨ م) ومن هنا جاءت قصيده الشاعر «هارون هاشم رشيد» (هذا سلامهم – ١٩٩۴).

وَطَنٌ تكونُ القدسُ عاصمةً لَه يَعْلو به صوتُ الأذان ويَصْعَدُ

«الله أكبر»، لا سواها رفْدُنا فى ظلّها، ولأجلها نَتَوَحَّدُ

هى للسَّلام الحَق، للْعَدْل الَّذى مافيه مُحْتَمل، ولا مُسْتَعْبدُ

عَرَبيَّةٌ، قَرَشيَّةٌ، مُضَريَّةٌ أعلامُها، تعلو السَّماء، وَتَخْلُدُ(١)

فالشاعر يرفض معاهدات السّـلام ما لم تعيد الأرض والحريه لأهلها وتكون القدس هى العاصـمه العربيه الإسـلاميه ورايه فلسطين فوقها خفّاقه.

وفى هذا المضـمون – بل أكثر بسـطاً – قصـيده الشاعر «على عقله عرسان» (أورسالم – ١٩٩۶ م)(٢) الذى عالج فيه قضـيه السّلام بشـكل مبسّط فأسـهب الحديث حوله. وهلم جرّا، مادام السّـلام العادل بعيداً عن القدس، فشـعر الرفض مستمر لتبقى القدس رمزاً لحياه أهلها حتى يتحقق السّلام العادل فى مدينه السّلام.

١– (٢) هارون هاشم رشيد، طيور الجنه: ص ١۴۴.

٢– (٣) على عقله عرسان، الأعمال الشعريه: ص ٢٩٩.

جدول أهم قصائد محور «القدس وقضيه السلام» حسب الترتيب الزمانى

القدس والانتفاضه المقدسه

إنّ معاناه الشعب الفلسطينى المضطهد منذ نكبته بقيام الدوله الصهيونيه ومنذ وعد بلفور عام (١٩١٧ م) الذى أعطى مالا يملك مَنْ لا يستحق، فتكأكأ شذاذ العالم - المسمّون أنفسهم باليهود - لتشييد دويلتهم على أنقاض أرض العرب والإسلام فلسطين الجريحه، فكانوا جرثومه سرطانيه بكل معنى الكلمه، ولم يحسن العالم الإسلامى والعربى معالجتها فى الوقت المناسب، فاستمرت الأمه تتخبط فى حروب يُرثى لها حيناً، وتشرذم عَبْر صراعات حيناً آخر، وهكذا حتى سقوطها فى فخ ما يسمى بعمليه السّلام فى الشرق الأوسط!

وأما الشعب الفلسطينى المنكوب فقد غسل يديه إلى أعلى من المرفق كما يقول المثل الإيرانى، ولم يعد أمامه أىّ سبيل لرفع المعاناه وبعد إخفاق اتفاقيات السّلام سوى الانتفاضات الشعبيه والمقاومه الإسلاميه والوطنيه،

«فنهض الشعب الفلسطينى وبادر من جديد ومن فوق تراب وطنه المحتل، بانتفاضه ثوريه جديده، مستوعباً لكل دروس التجارب النضاليه السابقه وعِبَر ها، عربياً وفلسطينياً، ومدركاً كل ما أفرزته تجارب الصراع ضد إسرائيل من وقائع، وما كشفته من حقائق.

لقد تمكنت الانتفاضه، منذ بداياتها عام (١٩٨٧ م) بما حددته من أهداف واضحه، وبما أبدعته من أساليب نضاليه لتحقيق هذه الأهداف، من تأكيد قدرتها على الاستمرار والنمو كحقيقه ثوريه ميدانيه تستطيع فرض واقع جديد على سيره الصراع»(١) جاءت الانتفاضه على شكل فيضان من الفداء والتضحيه والاستبسال. فكان لها وقعها المدوّى فى كل مكان، وصورتها المشرقه المتميزه فى لوحه الغليان الشعبى المسلح بالصدور والزنود، والحجاره،(٢) وأدرك الشعب الفلسطينى أنه ليس وحده فى مواجهه الاحتلال والصهيونيه ولذا هتف فى مسيرته الثوريه للتضامن الإسلامى والعربى: خيبر خيبر يايهود/ جيش محمد سوف يعود.

فى ظل هذه الظروف برز شعر القدس بشكل أقوى وأصلب من السابق ليؤدى دوره فى انتفاضه القدس، لقد ساهم الشاعر بل الأديب بالمعنى الأعم فى معركه الانتفاضه، ومن منطق الإحساس بالمسؤوليه إذ هو أقرب من غيره لضمير الشعب والأمه، فرصد أحداثها اليوميه من جانب، وأعطاها حيويه رامقه من جانب آخر.

لقد هبّ شعراء القدس - فى سوريه ولبنان وفلسطين - ولما عانوا من وطأه الاحتلال يضمّنون قصائدهم روح الجهاد، والمقاومه، والتحدى، وبعباره أشمل: روح الانتفاضه، فتغنّوا بها وبأهدافها وبوسائلها، شابحه أعينهم نحو

١- (١) الموسوعه الفلسطينيه: ٩٧٧/۶.

٢- (٢) طلعت سقيرق، الانتفاضه فى شعر الوطن المحتل: ص ٢١.

القدس، فالشاعر هارون هاشم رشيد يصور أبطال الحجاره فى قصيده (ثوره الحجاره – ١٩٨٨ م) فيقول:

لَمْ يَبْقَ غَيْرُكَ أيُّها الحَجَرُ فَقَدْ تَخَلَّت جُمُوعٌ أَحْجَمَتْ زُمرُ

عشْرونَ عاماً.. وإنّى فى انتظارهُموُ تجذرا فى ترابى يَشْمَخُ العُمرُ

والقدسُ صاخبةٌ، تعلو بصرختِها اللهُ أكبرُ: فيها هاتفاً عُمَرُ

وفى القيامه، و الأقصى.. مواكبنا لما تزلْ، بنداءِ الحقِّ تأتِمرُ

أسطورةُ المجدِ أطفالُ الحجاره فى هذا الزمان الذى يهوى وَيَنْكَسِرُ

أسطورةُ المجد، ما جَادَ الزمانُ بما جادت بِهِ طفلةٌ فى كفِّها حجرُ

وإنَّه النصرُ آتٍ تلك قولتنا فالليل، لابدّ هذا الليلُ ينحسِرُ

قد قالها، الشاعرُ الشّابى من زمن لابد.. لابد أن القيدَ ينكسرُ(١)

فيرى الشاعر هارون والـذى سـمّى أحـد دواوينه الشـعريه باسم «ثوره الحجاره» أنّ أبواب تحرير القدس مغلقه إلاّ باب الانتفاضه، فـإنه مفتـوح على مصـراعيه، فبعـد أن لم ير جـدوىً لحـلّ قضـيته على يـد أنظمه أمته الإسـلاميه والعربيه، يبتهـج لانتفـاضه شـعبه وأبطالهـا، لاسـيما أطفـال الحجـاره الصـغار سـنّاً، الكبار فكراً ونضالاً. فصوّر الشاعر «ملامـح الطفل الفلسـطينى بأنها معجزه، حين انبثقت بشـكل مثير ومـدهش لتكون صوره الصور بدون منازع. فمن الطبيعى أن تحتل الانتفاضه مكانه خاصه فى وجدان شـعراء أبناء تراب فلسـطين، إذ الظلم الـذى تجرعه الشـعب الفلسـطينى جعل شاعر القـدس يتغنى لحجر يقذفه أبابيل القدس ليحرق قيود الاحـتلال، ويحطّم أُبّهه الجيش الـذى لا يقهر، فيتركه كعصف مأكول، فيصوِّر الشاعر الانتفاضه التى اتخذت من العقيده والقرآن منهجاً لها، إعصاراً عصف بالصهيونيه وجذورها فهو ماض إلى أن

١– (١) هارون هاشم رشيد، ثوره الحجاره: ص ٤–١٠.

يجرف العدو المحتل ويعيد الأرض وقدسها إلى أهلها، وذلك لما فى الحجر من رموز ودروس للمقاومه والنّضال، فالجرح أخذ يلتئم وهذا مما يزغرد له. ففى مثل هذه الظروف المبتهجه للحياه والحريه والتحدى، تفجّر شعر القدس ليقذف الكلمه لتكون من سجّيل ويضمها إلى جانب الحجاره ممجّداً فتيانها الغاضبين على الاحتلال الصهيونى. هذا ما نشاهده فى قصيده هارون هاشم رشيد (ورده على جبين القدس – ١٩٨٨ م) قائلاً فى بعض أبياتها:

وَقَفَ الفَتى، والقدسُ ملء عيونِهِ تبدو القبابُ مشوقةً والمسجدُ

«الله أكبرُ» ثمَ أتبعها الفتى بالانتقامِ مزلزلاً يتوعدُ

سَلِمتْ يدٌ عرفت طريقَ مَسَارها وتحكّمتْ فيهِ فَلانَ المِقْوَدُ

مِنْ حَالِقٍ، ألقى بهمِ لحَضيْضِهمْ للموتِ يطوى جمعهمْ، ويُبَدّدُ

حجرٌ إلى حجرٍ، وتمضى ثورةٌ شعواء عارِمَةً تَضِجُّ وتُرعِدُ

الانتفاضَه منذُ شبَّ لهيبُها هيهات تهدأ نارُها أو تُخمدُ

هو فعلهم يرتدُّ مشئوماً لهم، وبِمثلِ ما كالوا نَكيلُ ونوردُ(١)

فالشاعر (هارون هاشم) معجب كل الإعجاب وفى الوقت نفسه متفائل لثوره هؤلاء الفتيان، فالانتفاضه عنده ما هى إلّا ردّه فعل على الظلم الذى حل بالشعب الفلسطينى على يد الصهيونيه الحاقده، فهى الآله التى تستطيع أن تطوى بساط الاحتلال إذ «أن التوحدّ مع الأرض عشقاً وعطاءً وشعوراً، أعطى الانتفاضه كل هذه القدره على التحدى والمواجهه والوقوف فى وجه الاحتلال.

فالانتفاضه هى كل هذا المخزون الهائل من الإمدادات اللانهائيه فى الأرض والطبيعه وجغرافيه المكان، فى كل جريان الدم والشهاده والخصب.

١- (١) هارون هاشم رشيد، ديوانه (ورده على جبين القدس): ص ٣٨-٤٢.

الانتفاضه كانت كلّ هذا وسواه فی نهوضها شموخاً قوه وتصمیماً وإراده».(۱)

یشتدُّ إعجاب الشاعر هارون هاشم رشید وتفاؤله بالمستقبل بعد الثمار التی جنتها الانتفاضه فاندفع لیرسم صوره تعبر عن شدّه حبّه ومشارکته لمستقبل لاح بالأفق فجره، ففی قصیدته التی حملت اسم (قصیده الانتفاضه - ۱۹۸۸ م) یقول فی أبیات منها:

الانتفاضهُ، إعصارٌ، وعاصفهٌ وَهبّهٌ، أشعلتْ فی أرضِنَا اللَّهَبا

أتتْ، إلی الغَاصِبِ المُحتلِ توقظُهُ علی هدیرٍ، علی أبوابِهِ اصْطَخَبَا

الانتفاضهُ، زلزالٌ، وملحمهٌ وثورهٌ تتحدی، الجیشَ، والغُرَبا

أتت کما الفجر، من أعماق داجیهٍ سوداءَ، تبتکرُ التَّصمیمَ، والغضبا

یمتدُّ من غزهَ الشَّماء لاهبُها للقدس مُنْدفِعاً، ومُنْسربَا

وتعتلی فی جبال النَّارِ شُعْلتُها تعیدُ فیها زماناً رائعا حصِبا

لنا.. لنا الأرضُ، آمالٌ مقدّسهٌ علی ثَراها نثرنَا الجُرحَ منسکَبا(۲)

إن الفرح الذی یظهر فی قصائد شاعرنا «هارون» جاء نتیجه واقع فلسطین ورمز انتفاضتها القدس الشریف لیفرض هذا اللوّن من الشعر النضالی علی الشاعر، فهو یستمد القوه من آماله ویقینه بالنصر العاجل، إذ الأرض المحتله انتفضت، فأصبحت لظی جهنّم یُلهب العدو المحتل، وتبثّ البهجه فی النفوس، وتُبدد سحب الیأس لتشرق شمس الضحی وینطوی لیل الدجی. فالمشاعر التی یحملها إلینا الشاعر تحمل روح الوطنیّه الخالصه وحبّ فلسطین والقدس. فالصوره التی یقدمها لنا «هارون» هی صوره تحمل عنوان الشموخ والثوره والإصرار وتحدی العدو رغم عمق الجراح، وتقدیم

۱- (۱) طلعت سقیرق، الانتفاضه فی شعر الوطن المحتل: ص ۲۹.

۲- (۲) هارون هاشم رشید، دیوانه، ورده علی جبین القدس: ص ۱۱۹-۱۲۰.

الشهداء، لأن حضن الموت الدافئ يحمل دلالات وأحاسيس تشعر باستمرار النهوض، ومن هنا نجد الشاعر نجيب جمال الدين فى قصيدته (غابوا مع الشمس – الثمانينيات) ينشد قائلًا:

غابوا مع الشمس..

ظَنَّ الوردُ قد ناموا

تنفَّضَ الوردُ

منْ أوراقه قاموا. ليلُ الحسين:

على أجفانهم مزَقٌ

صبحُ المسيح

مساميرٌ وأورامُ

سُقراط موجُ دماءٍ

فى بحورهُم

يالَلربانيين!

غطّاسٌ وعوَّامُ ويُرشفونَ لُهى الأحجار

من دَمهم

فاسلمْ دَويٌّ

لهى الأحجار أَلغامُ غابَ الجميعُ

سوى آثار صاعقَةٍ

تقولُ:

مرَّرتْ لهُمْ فى القُدس: غيفارا.. فيتنام.(١)

للشمس خصوصيه حصريه، وهى تغيب عن الأنظار ثم تعود ليبزغ الفجر مع شروقها، فالورد الذى يكتسب حياته منها، ولاسيما عبّاد الشمس دائماً

۱- (۱) نجیب جمال الدین، الکتابه علی أعمده الشمس: ص ۱۲۵-۱۳۶.

يخشى غروبها، لكن سرعان ما يبتهج عندما يرى الظلام يلملم أكنافه، فالشاعر نجيب يقدم لنا نفس الصوره لشهداء الحريه والمظلوميه والانتفاضه الفلسطينيه، فإنهم قد تختفى معالمهم، ولكن لم ولن يموتوا، فهاهو الحسين بن على عليه السلام وهاهُوَ المسيح بن مريم عليه السلام، هاهُوَ سقراط الحكيم، كلما مرَّت الأيام اشتدت مصابيحهم نوراً وازداد سبيلهم وضوحاً، وهكذا شهداء ثوره الحجر فنار انتفاضتهم قد تكون تحت الرماد لكنها سرعان ما يعلو لهيبها حتى تعود القدس إلى أهلها.

حينما هبَّت الانتفاضه الثانيه فى صباح يوم الخميس (٢٠٠٠/٩/٢٨ م) التى كانت شرارتها زياره شارون للمسجد الأقصى وعندما التهبت فلسطين وعلى رأسها القدس فى اليوم الثانى، الجمعه (٢٠٠٠/٩/٢٩ م) حفل الزمان بالآمال والتفاؤل وإلى يومنا هذا فانعكس فى شعر القدس لتبقى وما أكثر القصائد التى تكتنز هذا المضمون إذ عرض أكثر من شاعر لموضوع الانتفاضه، والحجر والحجاره..، فأُلّفت دواوين وأُنشدت مئات القصائد وكُتبت عشرات الكتب، وهذا أكبر دليل على التفاؤل بتحرير القدس عبر انتفاضه أشبالها، إن لم يثمر السلام.

ويمكننا فى نهايه بحثنا ودراستنا فى هذا الفصل أن نشير إلى بعض النتائج التى توصلنا إليها ومنها:

أولاـ: استمد شعر القدس السياسى فى الفتره الزمنيه ما بين عام (١٩٤٨-٢٠٠٠ م) مادّته الشعريه، من أبرز الأحداث السياسيه والوطنيه والعسكريه، ومن مستجدات الظروف والانتفاضات العارمه فى القدس وفلسطين، فكانت القصائد التى تناولت القدس - فى الفقره الآنفه الذكر - تشبه قصائد الفصل الأول لاسيما المحور الأول والثانى والثالث منه إذ أنها نجحت فى تحريك الحدث فى القصيده وتحريك المكان الذى لم يظهر ساكناً أو جامداً من خلال تناولها

مدينه القدس وقضيه القدس كرمز بارز للوطن المحتل فلسطين العزيزه.

ثانيـاً: صوره الالتزام تبرز واضـحه المعالم فى كل هـذه المحاور لاسـيما المحور الأخير – القـدس وانتفاضه التحرير – إذ ظل قلب الشاعر معلّقاً بالقدس وفلسطين، فهو يرى فى الانتفاضه سبيلا من سُبُل التحرير والوصول إلى الحرّيه الضائعه.

ثالثـاً: بـادر شـعراء القـدس بـالتحريض على الوحـده العربيه، مؤكّـدين على تحرير القـدس من خلالهـا، قـاذفين أعبـاء اللّـوم على معارضيها والمتهاونين بها، حيث كان ذلك السبب الرئيس فى ضياع القدس.

رابعاً: قـد هاجم جلّ شـعراء القـدس – فى محور البحث – دعاه السّـلام مؤكّـدين أن تحرير القدس والأرض المحتله لا يكون إلاّ عبر نيران السـلاح وسواعـد الرجـال حيث أصـبح – حسب معتقـدهم – السّـلام أوهاماً ليس إلاّ، وذلك نتيجه إصـرار العـدو على الاحتلال، وتعنّته فى العمليه السـلميه لأكثر من مرّه، والمفهوم من نصوص شـعرهم أنهم ليسوا ضد السّلام العادل الذى يعيد الحق إلى أهله، بل ضد الاستسلام، إذ يأبى الله ورسوله والمؤمنون.. والأحـرار ذلك.

خامسـاً: من أبرز الشـعراء تحمّسـاً وأكثرهـم قصائـد فى هـذا الفصـل – الـدواعى والاتجاهات السياسـيه – هو نزار قبانى، إذ كرّس معظم شعره بعد نكسه حزيران (١٩٦٧ م) لقضيه القدس، ثم يأتى بعده فى المرتبه الثانيه هارون هاشم رشيد.

سادسـاً: منـذ أن بـدء محمـود درويش ونزار قبـانى مسـيرتهما فى الشـعر السياسـى، «أفسـحت الحيـاه السياسـيه الفلسـطينيه المليئه بالأحداث، المجال للشـعر السياسـى الفلسـطينى – بما فيه شـعر القدس السياسى – لكى ينوّع بعض الشىء فى هذا الموضوع».(١) نرى شعراء القدس تفاعلوا مع الحدث وتواصلوا

١– (١) سلمى خضراء الجيوسى، الأدب الفلسطينى المعاصر: ص ٨٦.

معه فرصدوا شعره السیاسی علی الصعید الوطنی والإقلیمی، والعالمی، إذ نراه تأثّر بشکل واضح بالثوره الإسلامیه فی إیران والهزیمه الصهیونیه فی جنوب لبنان، ونلمس هذا فی محور «القدس وانتفاضه التحریر» حیث أعطی القدس حیویّه وصموداً وتحرکاً أکثر من السابق.

سابعاً: ترتیب قصائد القدس فی هذا الفصل من ناحیه الکم هی کالتالی: ۱. محور القدس والضمیر السیاسی - أربع عشره قصیده ۲. محور القدس والسّلام - خمس عشره قصیده ۳. محور القدس وانتفاضه التحریر - ثمان قصائد ۴. محور القدس والوحده العربیه - ست قصائد.

جدول أهم قصائد محور «القدس والانتفاضه المقدسه» حسب الترتیب الزمانی

ص:۱۹۸

الباب الثانی: صوره القدس الجمالیه

اشاره

ص:۱۹۹

١. الصوره الشعريه فى شعر القدس

وقفه مع الصوره

١. مفهوم الصوره الشعريه

الصوره بما تحمل من مواد متنوّعه ما هى إلا انعكاس لما يتأثر به الشاعر نتيجه ما يدور حوله من أمور بيئيه واجتماعيه وأدبيه وسياسيه وأحداث يوميه وغيرها، ثم تمتزج مع ذاته الشاعره وتختلج مع وجدانه وأحاسيسه لتكون الثمره إبراز مجموع هذه أو بعضها صوراً شعريه، فالصوره الشعريه هى مرآه لتلك التجارب التاريخيه والاجتماعيه والخياليّه والأسطوريه لأهداف مقصوده ومتنوعه.

ولمّا كان للصوره الدور الكبير فى إبراز المعنى وترسيخه فى الأذهان عمد إلى استخدامها الشعراء الذين خدموا قضيه القدس فى شعرهم، إذ وظّفوا هذه الأداه فى إيصال ما يجول فى مشاعرهم حول القدس السليبه، ومن المعلوم أنّ أى أداه لكى تؤدّى وظيفتها على الوجه الأكمل والأتم لا بد أن تتوافر فيها مواصفات الجوده بأرقى درجاتها، وهذا لا شك فيه، لكن السؤال كيف استعان الشاعر بهذه الأداه لإحياء القدس، فهل أن الشعراء أجادوا فى اختيار الصور التى تبيّن ما حلّ بالقدس؟ وهل للقدس صوره جليه وخاصه فى شعر محور

ص:٢٠١

البحث؟ هذا ما تحاول دراسه هذا الفصل التوقف عنده بعض الشيء.

الكل يعلم بأنه «ليست الصوره شيئاً جديداً فإن الشعر قائم على الصوره منذ أن وجد وحتى اليوم، ولكن استخدام الصوره يختلف بين شاعر وآخر، كما أن الشعر الحديث يختلف عن الشعر القديم فى طريقه استخدامه للصور.(۱)

وهنا لا بد من التنويه إلى معنى الصوره لغه واصطلاحاً وتحديد مناطقها فى البحث وذلك لتسهيل الموضوع.

أمّا لغه فقالوا فيها:

الصوره تعنى: الشكل، حقيقه الشيء وهيئته وصفته.(۲)

الصوره هى: الهيئه والشكل المحسوس.(۳)

الصوره هى: الجسم.(۴)

الصوره هى: التمثال.(۵)

الصوره هى: الشبح والمثال الشبيه بالتخيل فى المرآه وما تميز به الشيء مطلقاً سواء كان فى الخارج أو فى الذهن.(۶)

الصوره هى: الوصف: صوّر الأمر، أى: وصفه وصفاً دقيقاً يكشف عن جزئيّاته.(۷)

وفى القرآن الكريم جاءت الصوره بمعنى التجسيم يقول سبحانه (هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى الْأَرْحامِ كَيْفَ يَشاءُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)۸ وكذلك

۱- (۱) إحسان عباس، فن الشعر: ص ۲۳.

۲- (۲) لسان العرب، ماده «صَوَر».

۳- (۳) مقاييس اللغه، ماده «صَوَر».

۴- (۴) تهذيب اللغه، ماده «صَوَر».

۵- (۵) الصحاح، ماده «صَوَر».

۶- (۶) محيط المحيط، ماده «صَوَر».

۷- (۷) المحيط، ماده «صَوَر».

قوله تعالى (فِي أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ)١ وبما أن اللغه هى إحدى طرق تفاهم البشر فهى أيضاً وسيله الشاعر الكبرى لتجسيم أفكاره وعواطفه وإبرازها بصياغته الخاصه ولغته الشعريه.

أمّا فى المصطلحات الأدبيه:

يظهر ومن خلال تتبع الموضوع أنّه لا يوجد تعريف شامل للصوره الشعريه، حيث «وسع مفهوم الصوره إلى حد أصبح يشمل كل الأدوات التعبيريه... فالصوره فى الشعر هى الشكل الفنى الذى تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر فى سياق بيانى خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربه الشعريه الكامله فى القصيده، مستخدماً طاقات اللغه وإمكاناتها فى الدلاله والتراكيب والإيقاع والحقيقه والمجاز والترادف والتضاد والمقابله والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفنى».(١)

إذن فالصوره لا تقف عند حدٍّ تختص فى إبرازه «حتى قيل إن الصوره الشعريه أصبحت تحمل لكل إنسان معنى مختلفاً كأنها تعنى كل شيء»(٢) وإن دلَّ هذا على شيء فإنّما يدل على القيمه التعبيريه الخصبه للصوره التى أجاد الشاعر فى انتقائها وتوظيفها.

٢. الصوره الشعريه فى النقد الحديث

كانت الصوره الشعريه دوماً موضوعاً مخصوصاً بالمدح والثناء، وما زالت محل اهتمام الأدباء والشعراء، إنها وحدها التى حظيت بمنزله أسمى من أن تتطلع وتصل إلى مكانتها الشامخه باقى الأدوات التعبيريه الأخرى، والعجب أن يكون هذا موضع اتفاق بين نقاد ينتمون إلى عصور وثقافات ولغات

١- (٢) عبد القادر القط، الاتجاه الوجدانى فى الشعر الأدبى المعاصر: ص ٤٣٥.

٢- (٣) ريتا عوض، بنيه الشعر الجاهلى والصوره الشعريه لدى امرئ القيس: ص ٣١.

مختلفه،(١) ولهـذا أمكن القول بأن الصوره كيان أطول من التاريخ، فإنّ زخم الدراسات الهائل والكتب النقديه التی ركّزت علی الصوره بالـذات واتخـذتها عنوانـاً لهـا، لخير دليـل علی مكانتهـا الجمـاليه والفنيه، وذلـك لأـن أهميتها تكمن فی تقـديم الفكره والرؤی والمعنی العميق من خلاـل الرمز والإيحـاء بطريق غير مباشـر بهـدف التـأثير الأعمق، ويؤكـد هـذا ما أشار إليه الناقـد «أبو أصـبع» إذ يقول: تكمن أهميه الصوره فی بُعـدها عن الأداء المباشـر، وتقـديمها الفكره من خلال إيحاء وتركيز بهدف التأثير.(٢) وتكون أشـبه شیء بالكنايه أو الاستعاره أو التشبيه، فهی إضافه إلی بعدها الجمالی والفنی تربط المعنی وتركّزه بصوره ظريفه فی ذهن المتلقی، وأمّا سـی دی لويس فهو يری اسـتعمال الصوره لاـ يتجاوز الخمسـين سـنه لكنّها حسب رأيه هی لب القصـيده إذ يقول: «إن كلمه – الصوره – قد تم اسـتخدامها خلال الخمسين سنه الماضيه أو نحو ذلك كقوه غامضه... ومع ذلك فإن الصوره ثابته فی كل القصائد، وكل قصيده هی بحد ذاتها صوره، فالاتجاهات تأتی وتذهب، والأسلوب يتغير كما يتغير نمط الوزن، حتی الموضـوع الجوهری يمكـن أن يتغير بـدون إدراك ولكـنّ المجـاز بـاق، كمبـدأ للحيـاه فی القصـيده وكمقيـاس رئيس لمجد الشاعر.(٣) فـالصوره عنـده اللبنه الأساسـيه فی القصـيده وركيزه الشاعر فی شـعره. ويری ساسـين عساف «أن الصوره قوه إدراك وقوه بناء. إدراك الحقائق، وبناء العالم الشـعری. والشاعر يدرك إمّا بالمحاكاه وإمّا بالرؤيا، وتتم عمليه البناء بتوضـيح هذه الرؤيا وتجسيدها بالصوره»(٤) الشـعريه بطريقه من شأنهـا أن تثير إحساس الآخرين وتؤثر فيه إذا اسـتطاعت أن تسترجع شـيئاً غاب أثره المباشر

ص:٢٠۴

١- (١) الولی محمد، الصوره الشعريه فی الخطاب البلاغی والنقدی: ص ٧.

٢- (٢) صالح أبو أصبع، الحركه الشعريه فی فلسطين المحتله: ص ٣٢.

٣- (٣) سيسل دی لويس، الصوره الشعريه، ترجمه أحمد نصيف الجنابی وآخرون، ص ٢٠.

۴- (۴) ساسين عساف، الصوره الشعريه ونماذج ابداع ابی نواس: ص ٢١.

عن الإنسان فهو لم يعد يدركه أو حتى يتخيله لولا ـ الصوره. بينما يرى الدكتور مصطفى ناصف أن الصوره «تعبير عن نفسيه الشاعر... وهى تعينه على معنى أعمق من المعنى الظاهرى للقصيده».(١) وهكذا اضطربت المصطلحات والروى النقديه بالنسبه للصوره الشعريه وأهميتها ودورها فى الشعر «حتى غدت الصوره الشعريه محوراً خطير الأهميه فى الدراسات الأدبيه الحديثه، والحق أن تباين التعريفات أمر عادى فى حقول الدراسات الإنسانيه، والناقد الأدبى يتبيّن له بالممارسه أن الاتجاهات الشعريه لا يمكن إخضاعها لنظريه واحده ومحدّده ولا يمكن لنظريه كهذه أن توجد».(٢)

فالصوره فى النقد الحديث اتسع معناها وشمل كل ما يؤثر فى أحاسيسنا وعواطفنا ولم يقتصر على ما تراه العين وتلمسه اليد كما كان قديماً، فالأسلوب الشعرى الحديث يستخدم أشكالاً من التعبير المتخيّل، لتوصيل الأفكار والعواطف، وذلك من خلال طريق التصوير، لا ـ التعبير المباشر، فهى بناءً على هذا: «تركيب لغوى لتصوير معنى عقلى وعاطفى متخيّل لعلاقه بين شيئين يمكن تصويره بأساليب عده، إمّا عن طريق المشابهه أو التجسيد أو التشخيص أو التجريد أو التراسل».(٣) وعندى هى صياغه ما يرتسم فى نفسيه الشاعر من رؤى وأفكار وأحاسيس وعواطف، انفعالاً ـ بشيء أو عمل ما، وذلك بواسطه ألفاظ وعبارات وتراكيب ورموز ومجازات واقعيه أو خياليه يراد من خلالها تعميق وترسيخ معنى معيّن.

على كلّ حال فإن كتب النقد والدراسات المتنوعه وبنظرياتها المختلفه تدور رحاها جميعاً حول دور الصوره صياغه وأثراً وأسلوباً.

١- (١) الصوره الأدبيه: ص ٢١٧.
٢- (٢) ريتا عوض، بنيه الشعر الجاهلى والصوره الشعريه لدى امرئ القيس: ص ٣٩.
٣- (٣) صالح أبو أصبع، الحركه الشعريه فى فلسطين المحتله: ص ٣١.

المؤثرات فی صور القدس فی الشعر

١. المؤثرات القرآنیه

من المؤثرات المهمه فی صیاغه صور شعر القدس القرآن الکریم الذی وظّف الصوره توظیفاً مدهشاً أذعن له وأقرّ به نقّاد الأدب المنصـفون. لقـد تأثر شاعر القـدس بالصوره القرآنیه فاتخذها مصدراً لرسم صوره القدس فی مختلف شـعره، وذلک بحکم نشأه الشاعر الإسلامیه واتخاذه المنهج الدینی المعتدل أساساً لمختلف شؤون حیاته، إذ لابدّ للشاعر من وجود عوامل تربویه وثقافیه قد کـوّنت شخصیته وفکره، وأسـهمت فی رسم صـوره الفنیه، وحینمـا یضم تلـک المضـامین الإلـهیه بمـا تحمله من جمـال ومعـانٍ یصوغهـا من عواطفه وأحاسـیسه، یؤجّج فی المتلقی المشـاعر ویعـدّه لـدرک مـا یریـد، ویزداد تأثر المتلقی کلما کانت الصوره ناضـجه تامه قـد توفرت فیها عوامل الإثاره والبعث والتحریک، فاسـتخدام الشاعر آیه قرآنیه فی شـعره، یمکن أن تغنیه عن کتابه أبیات، بل قصائـد جمّه، وهـذا ما نلاحظه فی أکثر من دیوان وفی أکثر من موطن لـدی الشـعراء الـذین انشدوا شـعراً فی القدس، کمـا نلاحظ التأثیر القرآنی فی الصوره الشـعریه فی شـعر القـدس عنـد الشاعر نجیب جمال الـدین، ولا غرابه فی ذلک إذا علمنا التزام الشاعر بقیمه القرآنیه والإسلامیه، فکان الأثر واضحاً کما نشاهده فی قوله:

وصِرْتُ أَصْرُخُ..

صَارَ الهَمُّ یَمضغُنی

والشَّکُّ یَبلَعُنی فی لُجَّهِ الصَّخَبِ

وَما بِبَالِکَ

قلْ لی: یاأبا لَهَبٍ

وَمَا سَمِعْتُ جَوَاباً مِنْ أبی لَهَبِ

تُرَی مُعَسْکَرُ دَاودٍ بِجُعْبَتِهِ؟

ص:٢٠۶

أَم رِحْلَهُ القُدْسِ؟ أمْ حَمَّاله الحَطَب؟(۱)

الصوره القرآنيه قد تنتقل إلى رمز نتيجه لشيوعها وتكرارها على الألسن، واستخدام الشاعر لتلك الآيه – حماله الحطب – رمز منح صورته الشعريه قوه تأثيريه كبيره؛ وذلك لأنّ الصوره الجيّده هى التى تستطيع إذابه الآيه المتّكأ عليها فى مناخها وإسقاطها مع الموقف والتجربه. حاول الشاعر أن يرسم لنا فى هذه السطور وبهذه الصور البسيطه والتى اخذت أبعاداً رمزيه، صوره مقاومه الحق والوقوف بوجه الأمه الإسلاميه ونبيها الأكرم صلى الله عليه و آله فعمد الشاعر إلى سوره «المسد» التى صوّرت لنا شدّه عداوه أبى لهب للدعوه النَبويّه الفَتِيّه وزوجته أم جميل التى كانت تحمل الحطب وتحرقه فى طريق الرسول صلى الله عليه و آله.

ونرى الصور القرآنيه فى شعر القدس تبرز جليّه فى السطور التاليه من القصيده نفسها:

فَدَارَهُ السلم.. أدرى

سُورُهَا لَهَبٌ كَجَنَّهِ اللهِ

إنْ تُعْبَرْ.. فباللَّهَبِ

من يبغِضُ السِّلمَ؟

لَكِنْ.. وَيْحَ طالِبِهِ

إن راحَ يَحْمِلُ مَعْنى ذلَّهِ الطَّلَب(۲)

وهذه الصور نلمحها فى قوله تعالى: (يَوْمَ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الْمُنافِقاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَراءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بابٌ باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَهُ وَ ظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذابُ)۳

۱– (۱) نجيب جمال الدين، قصائد إلى عاصمه المدن الشرقيه: ص ۹۴.

۲– (۲) المصدر: ص ۹۵.

وكـذلك قوله تعالى: (فَلا تَهِنُوا وَ تَـدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَ اللّهُ مَعَكَمْ وَ لَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكَمْ)۱ – فالشاعر هنا وبالتصوير المباشـر يسـتعين بـالقرآن الكريم فيصوّر لنا السّـلام بأنه لهب جهنم وذلّه لأنه خروج من جنّه الله تعالى. ففى هـذا التصوير بيّن لنا الشاعر انزعاجه من السّلام فى معاهده كامب ديفيد آنذاك.

ومن هذا القبيل قول الشاعر حسن البحيرى فى قصيدته «منائرالهدى» قائلًا:

أيُّ رَكبٍ فى مَنْهَجِ الحَقِّ سائرْ

مُشرِقِ المَجدِ.. مستنيرِ المآثِرْ

مِن ذَرَى «مُؤْتَهَ» الطَّهوَرِ إلى «القُدس»

تجلّى به وِضَاء ُالَمفاخِرْ

نَثَرَتْ عِزّةً وزهْوَ جَلالٍ

سِدْرَهُ المُنتهى عَلَيْهِ الأزاهِرْ

وحدَاهُ الرُّوح ُالأمينُ بآياتِ

جِهادٍ مُنَزَّهاتِ الشَّعائرْ(۱)

الصوره التى يقـدّمها الشاعر مسـتنده إلى القرآن الكريم، هى تلك الصوره التى تقـدّم الحقائق التى وقعت أو سوف تقع فتجـدها تؤثر فى مشـاعر المتلقى بسـهوله فـائقه، فتصـل إلى أعمـاقه؛ حيث «صـاغ بهـا أفكاره، ومشاعره، ومعانيه، ورؤاه النفسيّه ويقـدمها تقديماً جديداً يحمل خصوصـيته الإبداعيه، وتفرّده الذاتى».(۲) فحينما يشـير إلى ألفاظ الآيه «سـدره المنتهى» المأخوذه من قوله تعالى (وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَهً أُخْرى * عِنْدَ سِدْرَهِ الْمُنْتَهى)۴ التى رسم لنا من خلالها

ص:۲۰۸

۱– (۲) لفلسطين أغنى: ص ۴۷–۴۸.

۲– (۳) هيفا عربيه، الصوره الفنيه فى الشعر العربى الحديث، الاحيائيه والرومانسيه والمعاصره، مخطوط، ص مقدمه.

صوره المعراج ومشـهده، فالنبی محمد صـلی الله علیه و آله بدأ رکبه بمعیّه جبرائیل علیه السلام من المسجد الحرام إلی المسجد الأقصـی ثم إلی السّماء، فمن هـذه الصوره بـادر الشاعر إلی رسم صوره رکب المجاهـدین، فهم بـدأوا رحلتهم من ذری «مؤته» وسوف تنتهی بالقـدس وذلـک تلبیه لـدعوه الحق، فبهـذه الألفـاظ البسـیطه واسـتلهاماً من أسـلوب تـداعی المعانی تجلَّت صوره القدس ورکْبُ عشّاقها سائرٌ إلیها.

وما أکثر المؤثّرات القرآنیه فی شعر القدس.

حیث لاـ نکـاد نجـد شاعراً لم یسـتعن بالقرآن الکریم، فنلاحظ الشاعر حسن البحیری کیف یوظّف القرآن المجیـد والتاریـخ فی قصیدته (المسجد الأقصی) قائلًا:

أعندکم أنّنی فی لَیلِ غاشیهٍ رِیعَ القضاءُ لها واستَشْعَرَ القَدَرُ

وأنَّ «قُدْسی» ومِعراجی وأرضَهُما باتتْ بدهْمِ الرَّزایا السُّودِ تأتزِرُ

فکادتِ «القبلهُ الأولی» وصَخْرتُها عن «الخطیم» ورُکْنِ «البَیْتِ» تنبَتِرُ

وزلزلت أسسَ الإسلامِ نائبهٌ بَکتْ لها فی طروسِ المُصْحفِ السُّورُ!

ألم تَرَوْا أنَّ مِحرابی ومِنْبَرَهُ وآیتی بِدِثارِ الغَمِّ تدَّثِرُ(۱)

فالشاعر اسـتفاد من الکتاب الکریم لتـدعیم صوره الشـعریه التی أراد منها تنبیه بل تحریض الآخرین لما فیها من قوّه تأثیر بالدلاله المباشـره أو بالتذکیر ولو بالإشاره إلی اسم المصـحف الشـریف، وقد کثرت هذه المؤثرات بعد نکسه حزیران عام (۱۹۶۷ م) إذ الصـدمه ألجأت الشاعر إلی الباعِث والحافز الـدینی، لـذا نراه أحیاناً یسـتعین بالقرآن المجیـد والتاریـخ والتراث معاً لیجد خلاص قدسه من براثن الاحتلال، ونلاحظ الأسلوب نفسه عند الشاعر عبد الله یورکی حلاق إذ یقول:

۱- (۱) لفلسطین أغنی: ص ۸۶-۸۷.

رَتَّلْتُ آیَ المُجدِ باسم محمَّدٍ فالمجدُ باسْمِ محمدٍ مقرونُ

ورأیتُ وحی اللهِ فی آیاتِهِ وَعَرفْتُ قلبَ الصخرِ کیف یلینُ

الفارسُ العربی لم تجمح به فرسُ الجهادِ ولم تُخِفْهُ مَنونُ

نظرتْ إلینا القدسُ نظرهَ عاتبٍ وَنَعَتْ تخاذُلَ رَأینا اللطرونُ(۱)

فاستفاد الشاعر من التأثیر القرآنی فی القلوب وقرنه بإنجازات النبی الأکرم محمد صلی الله علیه و آله لعله أراد أن یقول إنّ الإنسان المسلم من الأحری به أن یقتدی بالرسول الأعظم ویقرأ أوراق المجد مره أخری، ولیلین قلب الإنسان - عموماً - لما حل بالقدس وشعبه وبالإنسان الفلسطینی، فتداعی المعانی رسم للشاعر صوره مستاقه من القرآن وصاحبه، والأثر واضح.

وأما نزار قبانی فیعرّج فی قصیدته (هوامش علی دفتر النکسه) نحو القرآن الکریم لیستعیر من بعض ألفاظه لیصوغ صوره یجعل منها قاعده تدّل علی القانون الإلهی فی خلقه وهی (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللّهَ یَنْصُرْکُمْ وَ یُثَبِّتْ أَقْدامَکُمْ)۲ قائلاً:

ولا تَلْعَنُوا السمَّاءْ

إذا تخلَّتْ عنکمُ

لا تَلْعَنُوا الظروفْ

فالله یؤتی النصرَ من یشاءْ

ولیسَ حدَّاداً لدیکُمْ..

یَصْنَعُ السُیوفْ(۲)

ص:۲۱۰

۱- (۱) أسدیات: ص ۷۱-۷۲.

۲- (۳) الأعمال السیاسیه: ۸۰/۳.

فالشاعر بهـذه المؤثرات القرآنيه يسـتنكر عمل الـذين يرفعون أيديهم نحو السّـماء بدون عمل، لأنّ هذا خلاف الأصل القائل بأن الحركه من البشر والاستعانه بالله تعالى.

فى هذا المضمون أيضاً قول الشاعر هارون هاشم رشيد فى قصيدته (عربيه عربيه)، قائلًا:

لبيك يا قدس السّلام ومرحبا بالعاديات، وويل من لا ينفر

فإذا حصون الغاصبين تُهدّمُ وإذا حشود الدارعين تبعثر

دُحرواً وأذيال الهزيمه خلفهم وبمثل ما جاؤوا إليك تقهقروا

ما عاد منهم شارد أو وارد مرَّ الزمان عليهمُ وتحجَّروا(۱)

فالشاعر اسـتعان بأسـلوب التشـخيص التصويرى، إذ خلع الصـفات الإنسانيه على مدينه القدس وهى تستنجد بالّذين آمنوا بالجهاد والنضال، ومن هنا أشار الشاعر إلى سوره العاديات وما تتضمن من أوصاف المجاهدين وغبار المعركه عندما تصول خيولهم نحو العدو ثم أخذ يقرع ويؤنب أولئک الّذين لم ينفروا فى سبيل الله تعالى لنصره القدس، وقد استوظف آيه النفر(۲)

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ما لَكُمْ إِذا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ اثّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَ رَضِـيتُمْ بِالْحَياهِ الـدُّنْيا مِنَ الْآخِرَهِ فَما مَتاعُ الْحَياهِ الدُّنْيا فِي الْآخِرَهِ إِلّا قَلِيلٌ * إِلّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذاباً أَلِيماً وَ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَ لا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَ اللّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

و نجد الأمثله الكثيره فى شعر القدس تصبّ فى هذا المصب، فدأب الشعراء على التقاط الألفاظ والآيات القرآنيه وقد أجادوا فى توظيفها فى صورهم الفنيه مما زاد شعر القدس جمالاً ومعنويهً.

ص:۲۱۱

۱- (۱) مفكره عاشق: ص ۱۰۲ و ۱۰۳.

۲- (۲) التوبه: ۳۸ و ۳۹.

٢. المؤثرات التاريخيه والتراثيه

لقد عمل شاعر القدس وعمد إلى استنفار العديد من السور والآيات القرآنيه واستدعى تاريخ الأُمه العربيه والأمه الإسلاميه، شخصيات وأحداث ومواقف وبطولات تركت أثرها الكبير على نفس المتلقى، إذ حاول شاعر القدس ربط حاضره المتردّى بماضى أمّته المشرق ليعود التاريخ نفسه أو أفضل منه، لذا توقّف عند رسول الله صلى الله عليه و آله صانع المجد الأكبر والتاريخ الأعظم وخلفائه وأصحابه والأبطال مرّه، وعند الوقائع التاريخيه والتراث مره أخرى حيث كان لها الصدى فى نفس الشاعر وصياغته الشعريه، إذ يرى بأن العوده إلى التاريخ يمكن أن تعود بالأمه إلى رشدها وتقتل اليأس الذى راح يقطّع مفاصلها لتصبح فى متاحف التاريخ، ونلاحظ هذا فى قصيده الشاعر «بدوى الجبل» قائلًا فيها:

هلْ دَرَتْ عَدْنُ أَنّ مَسْجِدَها الأقْ صى مكانٌ من أَهلِه مهجورُ

أَينَ مسْرى البُراقِ، والقُدْسُ والمهْ دُ وبيتٌ مُقَدَّسٌ معمورُ؟

لم يُرَتَّلْ قُرْآنُ أَحْمَدَ فيه ويُزارُ المَبْكى ويُتلى الزَبُورُ

طُوىَ المصْحَفُ الكريمُ، وراحَتْ تتشاكى آياتُهُ والسطورُ(١)

فالشاعر كما نلاحظ وظّف الشخصيات التاريخيه وعلى رأسها «النبى محمد صلى الله عليه و آله»، والتى كان لها ارتباطها الخاص بالقدس الشريف، بعد ذلك عمد «بدوى الجبل» إلى التساءل بأداه «هل» ثم تساءل بأداه «أين» فى هذا المقطع متسائلًا بها عن ضياع بيت المقدس، والمسجد الأقصى، ومسرى البراق، وكنيسه المهد وهتك الحرمات وإباده المدن والقرى. فالشاعر صوّر بُعد الأمه العربيه والأمه الإسلاميه عن تاريخها وأمجادها وحضارتها، وحاول

١- (١) الديوان: ص ١٩٥.

أن يستعين بالتاريخ وعن طريق رسم الصور البسيطه وبأسلوب التشخيص إعاده الأمّتين إلى رشدهما وسؤددهما.

ونشاهد الشاعره فدوى طوقان فى قصيدتها «إلى السيد المسيح فى عيده» تستوظف شخصيه السيّد المسيح عليه السلام وعيد ميلاده لتعطى الصوره المناسبه للقدس قائله

يا سيّد، يامجد الأكوان

فى عيدك تُصلَبُ هذا العام

أفراحُ القدس

صمتت فى عيدك يا سيّد كلُّ

الأجراس

من ألفى عامٍ لم تصمتْ

فى عيدك إلّا هذا العام

فقباب الأجراس حدادٌ

وسوادٌ ملتفٌ بسواد

القدس على درب الآلام

تُجلَد تحت صليب المحنهِ

تُنزفُ تحت يد الجلّاد

ثم تقول: لم يرفع فى المحنه شمعه

لم يذرف حتى دمعه

تغسل فى القدس الأحزان...(۱)

تقدّم الشاعره مجموعه من الصور البسيطه والمتصله ببعضها لتقدم صوره كلّيه مركّبه تتمثل بتصوير مدينه القدس وهى غريقه بالأحزان والمحن،

١- (١) الليل والفرسان: ص ٣٢-٣٤.

تعيش حاله الاحتضار على يد الجلاد، وذلك فى عيد ميلاد المسيح عليه السلام، فكأنّ هذا الحزن ظلمات فوقها ظلمات وقد لف «القدس» بجلباب أسود يشيع فى الروح كدراً واكتئاباً، والكل حتى القباب والأجراس لبست السواد حداداً عليها، فالشاعره – فدوى – جسّدت الأفراح ودق الأجراس فى الأعياد مصلوبه بيد العدو وقد حلّ محلها الرعب والموت والفزع، ثم تصوّر الخفقان الذى ألمّ بالقدس فجعلها مدينه أرواح وأشباح – لم يرفع فى المحنه شمعه/ لم يذرف حتى دمعه – موقف العدو رهيب مستمر، كأنَّ الحزن سرمدى أبدى.

وفى إطار التجارب التاريخيه نجد أهمّيه وقائع التاريخ البارزه وشخصياته الفذه، ماده أساسيه استقى شاعر القدس صوره الشعريه منها، ومن هذا المنطلق حاز أهل بيت النبوّه عامه والإمام الحسين عليه السلام خاصه عنايه فائقه من الشعراء، لما لمسوه من تلك الشخصيات من أثر فى النّفس الإنسانيه وذلك بفضل تضحياتها وجهادها ودفاعها عن الحق والحقيقه، ففى ذكرها واستحضارها شدٌّ لعرى الأمّه الآخذه بالانفصام وحضّ على المقاومه ونصره المظلومين، ومن هذا القبيل قول الشاعر نزار قبانى فى قصيدته (منشورات فدائيهٌ على جدران إسرائيل):

نَأتى..

بِكوُفيّاتنا البيضاء والسوداءْ

نرسُمُ فوق جلدكُمْ

إشارهَ الفدَاءْ

مِنْ رَحِمِ الأيَّام نأتى كانبثاق الماءْ

من خَيْمهَ الذُلِّ التى يعلكها الهواءْ

مِنْ وجَعَ الحسين نأتى..

من أسى فاطمهَ الزَهْراءْ..

مِنْ أَحُدٍ نأتى، ومن بَدْرٍ..

ومن أحزان كربَلَاءْ

نأتى.. لكى نصحِّحَ التاريخَ والأشياءْ..

ونطمسَ الخوفَ فى الشوارع العبريّهِ الأسماءْ...(١)

شاعرنا نزار قبانى يصوّر الإنسان العربى، والإنسان المسلم وعلى تعدّد تياراته وانتماءاته وبما يحمل من أفراح وأحزان – بكوفياتنا البيضاء والسوداء – كيف يشق الزمان ويتدفّق كالشّلالات نحو العدو، ليصنع من ذلّ الهزيمه نصراً، فسرعته وقوته تشبه المياه الجارفه. ثم الشاعر يستدعى التاريخ وشخصياته بما تحمل من رموز وإشارات ليقدم لنا صوره تمكننا أخذ الدروس والعبر من التاريخ؛ وذلك لتصحيح التاريخ وصنعه من جديد والسيرفى طريق التحرير لإعاده القدس إلى أهلها، فالشاعر استغل أكثر من أسلوب – التجسيد – التشبيه – التجريد – تداعى المعانى.. لصياغه هذه الصوره الراقيه، ثم كرر الأداه «من» الابتدائيه أكثر من ست مرّات لعله تأكيد على صواب المكان المنطلق منه، وتكرار الشاعر فعل المضارع «نأتى» لعلّه دليل على وقوعه وحتميه القدوم، وهكذا «يستلهم الشاعر أوجه التشابه بين أحداث الماضى ووقائع العصر وظروفه إن سلباً أو إيجابا، وهو فى هذا كله يطلق العنان لخياله لكى يكشف عن صدى صوت الجماعه وصدى نفسه فى إطارالحقيقه التاريخيه العامه التى يبحث عنها، أو الموضوعات التاريخيه الكبرى، التى تشكل حضوراً بارزاً فى تاريخ الأمه دون الخوض فى جزئيات صغيره».(٢)

ونلاحظ هذا عند الشاعر نفسه فى قصيده (إفاده فى محكمه الشعر) قائلًا:

ص:٢١٥

١- (١) الأعمال السياسيه الكامله: ١٩٧/٣.

٢- (٢) إبراهيم نمر موسى، مجله عالم الفكر: رقم ٣٣، ٢٠٠٤، ص ١١٧.

مرَّ عامانِ.. والمسيحُ أسيرٌ فى يديهم.. ومريمُ العذراءُ..

مرَّ عامانِ.. والمآذنُ تبكى والنواقيسُ كلُّها خرساءُ

أيُّها الراكعونَ فى معبد الحرفِ كفانا الدُوارُ والإغماءُ

مزّ قوُا جُبَّةَ الدراويش عنكم واخلعوا الصُوفَ أيَّها الأتقياءُ

أتركوا أولياءَنا.. بسلامٍ أىُّ أرضٍ أعادها الأولياءُ!(١)

هنا توظيف الشاعر للتاريخ والتراث يختلف عمّا قبله، فهو يرى الزمان انطوى وما زالت المقدسات مكبله تصرخ تحت وطأه الاحتلال، ولكن المصيبه الأكبر من هذا هى أنّ الناس ضلوا الطريق الصحيح، لهذا يعمد الشاعر إلى أسلوب السخريه والاستهزاء، فهو قدّم عدداً من الصور البسيطه والمترابطه محاوله منه لإيقاظ الجمهور وإعادته إلى النهج الأقوم والصراط المستقيم، وقريب من هذا أبيات قصيدته (مفكره عاشق):

فلا خيولُ بنى حمدانَ راقصهٌ

زهواً، ولا المتنبى مالئٌ حلَباً ٢)

وأمّا الشاعر كمال عبد الرحيم رشيد ففى قصيدته (أطفال الحجاره) يجعل المتلقى معجباً بالتاريخ والتراث والحضاره والشعب وحتى أرض فلسطين، إذ يقول:

ويعجب أهل الأرض كيف تجمعت لها عزمات لا توازن حالها

هى القدس والأقصى ومسرى محمدٍ بها بركات الله، والله قالها

فلسطين تاريخٌ ودينٌ، حضاره وأرض وشعب هل عرفتم جلالها(٢)

استخدم الشاعر تاريخ مسرى النبى محمد صلى الله عليه و آله وتاريخ فلسطين التراثى

ص:٢١٦

١- (١) نزار قبانى، الأعمال السياسيه: ٤٠٦/٣.

٢- (٢) القدس فى العيون: ص ٤٣.

بما فيها المسـجد الأقصى ثم استعان بالقرآن الكريم وبالذات آيه الإسراء - تأييداً لكلامه - كى يصوغ صوره تبيّن قداسه وعظمه المكان.

أمّا الشاعر على عقله عرسان فى قصيده «أورسالم صباح الخير» يستخدم التاريخ لا ليوظّفه لخدمه التاريخ بل لإثبات التاريخ.

يا بنت كنعان.. وبيت اليبوسيّين،

يكذب تاريخٌ لا يحترم حقائقَ التاريخ،

يكذب ويسقط،

نعم..

يكذب ويسقط؛

فعلى باب قلعه اليبوسيين، أجدادى، ما زال سيف الزمان

يقطر دماً،

يروى للآتين حكايه مهد حَضَنَكَ وسمّنك وكبّرك وفَدَاك،

وما زال الآتون من نسل كنعان..

يجدِّدون، فى كل زمان، عهدهم وعطاءهم لك..

دماً وتضحيات، دماً وأضحيات..

ليبقى اسمُك ونسبُك ونورك ومجدُك.

وليبقى انتماؤك لمن سوَّاك وأنشأك وأرضَعَك ونمَّاكِ.

فى القلب والعين أنت يا قدس...(۱)

ففى هذا المقطع والمعنون «يا قدس» من قصـيدته الطويله عبّر الشاعر ومن منطلق رؤى تراثيه وتاريخيه استحضر من خلالها تاريخ القدس العريق لإثبات مدينه القدس، فهو كرّس الكثير من الصور الجزئيه لهذا الغرض واستعان

١- (١) الأعمال الشعريه: ص ٣٠٢.

بأسلوب التشخيص تاره وأسلوب الصوره المباشره تاره أخرى، وقد استعان بالاستعاره وتداعى المعانى أيضاً. وما أكثر التوظيف التاريخى فى شعر القدس.(۱)

الصوره الوظيفيه فى شعر القدس

۱. توظيف العاطفه

الشعر يخاطب الوجدان والعاطفه ويحيل الأفكار الذهنيه إلى أحاسيس ومشاعر ويستخدم اللفظ. وللألفاظ دلالات عقليه ونفسيّه خاصه؛ وإدراكنا لها يتم عن طريق الشعور والعقل. وإدراك الألفاظ عقلياً يقف فى طريق الشعر منساباً إلى نفوسنا، ومن ثَمَّ يستعين الشاعر بأدوات الفنون المجرّده ليغلِّب الدلالات الشعوريه للألفاظ على دلالاتها الذهنيّه، فهو يتخذ من إيقاع الوزن وجرس اللفظ، وموسيقى الأسلوب، وسائل ينفذ بها إلى عواطف سامعه أو قارئه، وهو أيضاً يستخدم طبيعه التصوير، فكما تعتمد اللوحه على الخطوط والألوان فى إبراز إحساس الرّسام، تعتمد الصوره الشعريه على جزئيات مؤتلفه لو نظرت إلى كل منها مفرده لم تجد لها دلاله نفسيّه أو ذهنيّه كبيره، ولكن باجتماعها ترسم لوحه شعوريه متكامله الجوانب(۲) وتكمن فاعليه الصور أساساً فى تمثيلها للإحساس كما يقول أوستن وارين»(۳) فالشاعر النبراس مطالب بتصوير عاطفته وإحساسه فى موضوعات شعره و «من ثم فإنّه لا يمكن

ص:۲۱۸

۱- (۱) على سبيل المثال لا الحصر:- كمال رشيد، القدس فى العيون: ص ۳۲.- يوسف الخطيب، أرض المعاد: ص ۵۹.- محمود درويش، أعراس: ۵۹۱/۱.مما أود التنويه إليه فى المؤثرات التاريخيه والتراثيه هو أنّ أكثر الوقائع ذكراً هى واقعه المعراج وأكثر الشخصيات ذكراً هو النبى محمد صلى الله عليه و آله والسيد المسيح عليه السلام.

۲- (۲) الطاهر أحمد مكى، الشعر العربى المعاصر: ص ۸۱ و ۸۲.

۳- (۳) أوستن وارين وصاحبه، نظريه الأدب، ترجمه محيى الدين صبحى، ص ۲۴۱.

النظر فى الصوره بمعزل عن نفسيّه الشاعر»[١] إذ أنها «تعبّر عن نفس الشاعر وإنها تشبه الصور التى تتراءى فى الأحلام»[٢].
ونلمس هذا فى قصيده محمود درويش (بين حلمى وبين اسمه كان موتى بطيئاً) يقول فيها:

أموت – أحبك

إن ثلاثه أشياء لا تنتهى

أنت، والحب، والموت

قبلت خنجرك الحلو

ثم احتميت بكفيك

أن تقتلينى

وأن توقفى عنى الموت

هذا هو الحب

إنى أحبك حين أموت

وحين أحبك

أشعر أنى أموت

فكونى امرأه

وكونى مدينه

ولكن لماذا سقطت، لماذا احترقت

بلا سبب؟

ولما ترهلت فى خيمه بدويّه؟

لأنكَ كنتَ تمارس موتاً بدون شهيه

وأضافت

١- (١) صالح أبو إصبع، الحركه الشعريه فى فلسطين المحتله: ص ٣٥.

٢- (٢) إحسان عباس، فن الشعر: ٢٣٨/١٦.

كأن القدر

ينكسر فى صوتها، هل رأيت المدينه تذهب

أم كنتَ أنت الذى يتدحرج من شرفه الله

قافله من سبايا؟ هل رأيت المدينه تهرب

أم كنت أنت الذى يحتمى بالزوايا!

المدينه لا تسقط، الناس تسقط(١)

المرأه هنا هى المدينه المحتله، هى القدس، هى حبيبته فاستخدم أسلوب تبادل المدركات فأعطى صفه المرأه للمدينه، لأن المدينه تضم الإنسان فى حضنها ويسكن إليها وكذلك المرأه،(٢) ففى هذا التجسيد استحضر المعنى الإنسانى لمدينه القدس، وكأنها تدافع عن نفسها وتقاوم السقوط، لكن الذى جعلها تسقط بيد العدو هو ذلك الإنسان حينما تركها وهاجر - رغماً عن أنفه - دون أن يقاوم واحتمى بكفَّى المدينه الصامده، العاطفه التى يصورها «درويش» هى من الحبيبه - القدس - لا من الحبيب - الإنسان - فهو يبدو قاسياً مع حبيبته ويظهر أن بدايه القصيده غير منسجمه مع أواخرها؛ حيث رأى الشاعر الحب فى البدايه بأنه متبادل وليس كذلك فى نهايتها. وقريب من هذه العاطفه نجدها عند الشاعر هارون هاشم رشيد فى قصيدته (قصيده للقدس) إذ يقول:

لِعَينَيها..

مَدِينَتِيَ الّتى سُجِنَتْ

لِمَسْجِدِها..

لأقصاها

١- (١) الديوان: ج؟؟؟ / ٥٠١-٥٠٣.

٢- (٢) (وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً...) الروم: ٢١.

لِحُرمتَيِها الّتى انْتُهِكَتْ

لَخِطْوِ محمّدٍ فيها

لما حَمَلَتْ

وما حَفِظَتْ

لمريمَ والمسيحِ

وكلِّ ماعَرَفَتْ ومَنْ عَرَفَتْ

لِعينيها..

مَدينتى التى اغْتُصِبَتْ

وَفَوْقَ جَبينها المَشْجوجِ

آىُ الله قد طُمِسَتْ

لها..

للقدس وِهى تئِنُّ

تحتَ سنابكَ الحقدِ

خُطى الغازينَ تَصْفَعُها

تُلطِّخُ جَبهَةَ المجدِ..

تَفُضّ الطّهر عن عَينينِ

للصَّخرهِ والمهدِ..

لها.. للقدسِ..

فى الأسرِ المُذلِّ

تَضجُّ فى القَيدِ

أنادى..

لو يَهُزُّ نَداىَ

لو يُسْمَعُ.. لو يُجْدى

ص:٢٢١

أَنادى الإخوه الأحرارَ

مِنْ قومى.. ومِن جُندى(۱)

إذا تتبعنا الصوره الشعريه المعبّره عن عاطفه الشاعر «هارون هاشم رشيد» وحنينه الصادق فى تلك الأسطر، نجد زفراته تحمل دلالات وأحاسيس مُرهفه محموله لنا بألفاظ بسيطه وشفافه إلاّ أنها قويّه التعبير، لهذا نرى الصوره التى ساقها الشاعر تجعل الإنسان يعيش العذاب والآلام من جهه، ويشعر بمسؤوليهٍ تجاه القدس ومقدساتها من جهه أخرى، فالمكان – القدس – تحوّل إلى إنسان مكبّل فى السجن، يئنُّ تحت وطأه الاحتلال، وقد هُتِكت حُرماته، وخفيت معالمه، وسحقت كرامته. صور تُبرِزُ معانى تنزل على القلب والعقل كالصاعقه، تؤرّق الضمير وتمزّق الروح. هذه المأساه جعلت الشاعر يلحّ على وضع حدٍّ لهذا الوضع المؤسف، فهو سخّر معظم الأساليب – التجسيد – التشخيص – التجريد – تبادل المدركات و.. لصياغه صوره الشعريه، لكى يبرز شفقته وما تختلج فى نواياه تجاه القدس ويبين حالها المأساويه وما آلت إليه، وهو غير واثق من صرخاته، بأنها تؤثر ايجاباً على قومه وإخوته، إذ كرر أداه «لو» أكثر من مرّه، حيث أنزلهم منزله الأموات والجمادات.

ومن خلال متابعتى لشعر القدس وجدت أنّ توظيف العاطفه فى صياغه صور القدس فى الشعر، كانت ظاهره صارخه لافته لنظر المتتبّع، لاسيما شعراء فلسطين، أمثال: حسن البحيرى، هارون هاشم رشيد، فدوى طوقان، يوسف الخطيب، سميح القاسم، أبو سلمى.

۲. توظيف الحياه اليوميه

لابد أن تكون الصوره مطابقه تماماً للتجربه التى مر بها الشاعر لإظهار فكره،

ص:۲۲۲

۱- (۱) الديوان: ص ۴۴۲ و ۴۴۳.

أو حدث، أو مشهد، أو حاله نفسيه، أو غير ذلك فكل صوره كليه، أو عمل أدبى يحدث نتيجه تجربه غامرت نفس صاحبها، وتفاعلت فى جوانبها المختلفه، يمتزج الطارئ إليها بالمخزون فيها، حتى إذا ما اكتملت فى نفسه، تتلاقى الأشباه، وتتآلف النظائر لعلاقه بين أجزائها.(۱)

ومن هذا المنطلق «انفرد الشعر الفلسطينى بتصوير دقائق المحنه فلمس مناهج الإباده ووسائل الضغط وأرقام الهجره اليهوديه وطرقها وأنواعها والمحافظه على الأرض ودعوه الزعماء للتضامن وحض على الثوره، وأشعل الحماسه وألهب الشعور»(۲) ومن هنا يرسم لنا شاعر القدس صوره الحياه اليوميه التى عاشتها المدينه وعاشها ذلك الفلسطينى المتعثر الحياه والمغلوب على أمره، وربّما كانت الهجره والغربه أقسى أيام الحياه لذا نجد صورتها فى شعر القدس عند أكثر من شاعر، فها هو «هارون هاشم رشيد» يتساءل عن الجرم الذى ارتكبه الفلسطينى فأصبحت أيامه أحزاناً ومحناً وآلاماً وشجناً حين يقول:

لماذا، نحن أغرابُ!؟

يمرُّ العامُ، إثرَ العامِ

يا أبتى..، بلاجدوى

فلا أملٌ، ولابشرى

سوى الآلام والشجنِ

سوى الأحزان والمحنِ

لماذا.. نحن فى الخيمه

فى الحرِّ، وفى البردِ؟

ألا نرجعُ للبيتِ

ص:۲۲۳

۱- (۱) على صبح، الصوره الأدبيه تاريخ ونقد: ص ۱۶۸.

۲- (۲) كامل السوافيرى، الشعر العربى الحديث: ص ۳۵۸.

وللحقلِ، وللمجدِ؟

لماذا نحنُ فى الألمِ؟

وفى الجوعِ وفى السقمِ

وفى البؤسِ وفى النقمِ

لماذا..؟

نحن يا أبتى؟

لماذا، نحن أغرابُ؟(١)

فالشاعر هارون هاشم رشيد استعان بالأدوات الاستفهاميه وكررّها مرآت ليقدّم الأسئله المتتاليه، فهو بهذا الأسلوب وأسلوب التجسيد أحياناً قدّم لنا عدّه صور، مباشره ومترابطه بعضها مع البعض الآخر ليرسم لنا تصوير الطفله الفلسطينيه اللاّجئه، وهى تقيم فى معسكر «البريج» حين تقدّم إلى أبيها عشرات الأسئله المحرجه، تسأل عن القدس، عن الوطن، عن الأرض، عن.. عن سبب غربتها، آلامها، حزنها، سقمها، بؤسها، جوعها، غياب إخوتها، أحلامها، ضياعها، أيّامها السوداء، ليلها الداجى، عن..

فالصوره لوحه فى غايه الروعه، صاغها الشاعر بألم صادق وقلب متكسر الأجنحه يصف بها وبشكل مباشر اغتراب الإنسان الفلسطينى الروحى والجسدى وحياته المؤلمه حيث استعمل الألفاظ التى تحمل فى طياتها الحزن والألم، أمثال: الجوع، السقم، الحر، البرد، الخيمه، البؤس، المحن، الشجن.. فهى علاوه على دورها الغنى فى القصيده تجعل روح المتلقى وعاطفته تتكيف مع المغترب الفلسطينى وتعيش أيّامها القاسيه، ثم الشاعر تساءل، لماذا.. لماذا.. أكثر من ٢٣ مرّه ليصوّر براءه المغترب المهجَّر ويؤكّدها لدى

١- (١) هارون هاشم رشيد، ديوانه مع الغرباء: ص ٨-١٠.

ضمائر العالَم، أمّا تكراره الأداه «سوى» ثلاث مرّات فهو دليل على اليأس وخيبه الأمل ولكن سرعان ما يتراجع ليقول:

ولن يقتلنا جوعٌ ولن يرهقنا فقرٌ

لنا أملٌ سيدفعُنا إذا مالوّح الثأر

فصبراً.. ياابنتى صبراً غداةَ غدٍ، لنا النصرُ(١)

ونجد الشاعر «زكى قنصل» فى قصيده «ربيب السوط» يضع يده على الجرح النازف محاوله منه لمعالجته، فهو يعتمد فى تصويره على مأساه الحياه الإنسانيه فى القدس، إذ يقول:

أخى فى الجرحِ هَلْ يُشجيك دَمْعى وهَل يَعنيك فى الجلَّى هَديرى

تشابَه دَرْبُنا سَهْلاً ووَعْراً ولَم يَخْرُجْ مصيرُكَ عن مصيرى

مُصابُ القُدسِ أيقظَ كل صَوت فهلّا قُمْتَ يا غافى الضميرِ

عدوُّك لايَقِرُّ له قرارٌ وأنت تَغُطُّ فى نَوْمِ قَرير

زَفيرُ اللاجئينَ إلى الثُّريَّا ألا يَهْتَزُّ قلبُك للزفيرِ؟(٢)

لقد اتخذ شاعر القدس «قنصل» من الصفات الإنسانيه المشتركه موضوع الأخوّه وذلك لتصوير محنته ووحدته وما أصاب القدس، فهو ينـدب أخاه تارةً ويناديه أخرى، لأنّ صفات الأخوّه أعلى وأغلى ما يمتلكه الإنسان، لذا حين يرى الأخ أن أخاه قد أعرض بوجهه عنه وتراخى عن نصرته، وهو بأمسّ الحاجه إليه يأخذ فى عتابه وتأنيبه، لاسيما إذا كان المصير واحداً وخطر العدو مشتركاً، نرى الشاعر كيف يستخدم المفردات السهله التى تصل القلوب وتوقظ الضمائر، مباشره، فلا غريب فيها ولا تعقيد وفى التعبير من

١- (١) المصدر: ص ١٣

٢- (٢) زكى قنصل، الأعمال الكامله: ص ١١١.

المعانی ما لا یخفی من الرقّه - یشجیک دمعی - جلّی هدیری - زفیر اللاجئین - غافی الضمیر.. وقد اعتمد الشاعر فی صیاغته علی التعبیر المباشر والتشخیص أحیاناً فی تقدیم هذه الصوره، وهکذا یمکن متابعه عشرات الصور فی مختلف الأبعاد، التی اعتمد شاعر القدس فی رسمها علی الحیاه الیومیّه التی یحیاها الإنسان فی القدس وما یتصل بها من ماده، أمثال: الشجاعه والبطوله والشهاده والکفاح وکذلک فی الوجه الآخر، أمثال: بشاعه العدو وهمجیته، وظلمه وقساوته، لذا نری الشاعر نزار قبانی یصرخ بوجه العالم أجمع ویطلب النجده للمقدسات المشترکه بین الأدیان السماویه قائلاً:

مَنْ یُنْقِذُ الإنجیل؟

مَنْ یُنْقِذُ القرآن؟

مَنْ یُنْقِذُ المسیحَ مّمن قتلوا المسیح؟

مَنْ یُنْقِذُ الإنسان(۱)

نلاحظ «نزار» کیف استخدم الألفاظ والصور المباشره والبسیطه، وکیف استخدم أسلوب الاستفهام وتداعی المعانی - القرآن - الإنجیل - المسیح - لما فیها من قداسه وما تحمل من رموز، وذلک لیبیّن قساوه الاحتلال وعداءه الشامل والعام.

ولکن نزار قبانی لم یغفل عن قساوه قلوب الأصدقاء حین وجدهم یتغافلون ویتجاهلون عمّا تعانیه القدس وحیاه الإنسان الفلسطینی المأساویه قائلاً:

کأنَّ جمیعَ مَنْ صُلِبوُا..

علی الأشجار فی یافا.. وفی حیفا..

وبئر السبع.. لیسوا من سُلالاتِکْ

تغوصُ القدسُ فی دمها.

۱- (۱) نزار قبانی، الأعمال السیاسیه: ۱۶۳/۳.

وأنتَ صريعُ شهواتِكْ

تنامُ.. كأنمّا المأساهُ ليستْ بعضَ مأساتِكْ

متى تفهْم؟

متى يستيقظُ الإنسانُ فى ذاتِكْ(۱)

تعاملُ الشاعر نزار قبانى بالنسبه للقضيه الفلسطينيه واضحٌ؛ إذ هو كثيراً ما يستعمل التقريع والتأنيب - للأمراء وللشعوب على حد سواء - ففى هذا المقطع من قصيدته استند لما يحدث فى القدس يومياً ليكرّس عده من الصور المأساويه لعلها توقظ النيام، فهو استخدم «متى» الاستفهاميه لما تحمل من مفهوم تقريع مباشر وأسلوب تراسل الحواس والوصف المباشر لتكون صوره القدس وصوره الإنسان الغافل عنها جليّه.

وأمّا الشاعر سليمان العيسى فهو يستخدم أفراح المناسبات كالأعياد ليصوغ صوره القدس الكئيبه وإنسان القضيه الملتزم قائلًا:

أيُّ عيدٍ أتلقَّاه وأغدو

مَرِحاً أز هو على الكونِ وأشدو.

وبِلادى ألفُ جُرْحٍ يستبدُّ

وثرى القدسِ دَمٌ ما جَفَّ بعدُ

أيُّ عيدٍ أتلقَّاه رغيدِ؟

وعدوِّى مُديةٌ فوقَ وريدى.(۲)

فالشاعر استخدم الاستعاره ليرسم صوره جرح القدس العميق ثم شبّه العدو بالسكين وهذه السكين فوق وريده فهى كل لحظه من الممكن أن تقطع هذا الوريد وإذا كان كذلك فلا يبقى معنى للأعياد والأفراح. وفى هذا

۱- (۱) المصدر: ص ۶۸.

۲- (۲) سليمان العيسى، الأعمال الشعريه: ۱۱۳/۱.

المجال قصائد جمّه وعلى سبيل المثال يمكن الرجوع إلى القصائد التاليه:

يوسف الخطيب، عائدون، ص ٧٢ وص ٥٩.

هارون هاشم رشيد، طيور الجنه (قصائد للشهداء)، ص ١٥٤.

زكى قنصل، الأعمال الكامله، ص ٢٧٦.

٣. توظيف الخيال

إنّ الصوره الشعريه محاكاه ذاتيه لروح الشاعر، وما يرتسم فى عقله وقلبه من خواطر وأحاسيس، إذ يقوم بتشكيل ذلك الركام من الأحاسيس والأفكار التى تتحاور وتتفاعل فى أثناء عمليه الإبداع، ومن أجل أن تكون الصوره الشعريه ناضجه، فلابد من أن يتسلح الشاعر بخبرات تأتيه من ثقافاته وأسفاره، واطلاعه واحتكاكه، وخياله المبدع، وتكوينه النفسى، وبنائه الاجتماعى، ولعل الخيال يعدُّ فى مقدمه ما يحتاجه الشاعر فى تشكيل صوره الشعريه، فهو قوه خلاقه مبدعه، تعمل على استثاره الرصيد الثقافى عنده، واسترجاع الحاله الشعوريه التى انبعثت عن التجربه، كما يقوم بخلق نوع من العلاقات الخاصه بين الأشياء الخارجيه، وينتقى الأحداث ويختار المواقف الصافيه التى تغذّى التجربه الشعوريه ويعيد تنسيقها لتصبح قادره على تصوير الحاله الشعوريه.(١) «وهكذا أصبحت الصوره وسيله نقل الفكره والعاطفه عن طريق الخيال الذى هو أساس الصوره وعمدتها، وعليه المعّول فى رسم ملامح الفكره والعاطفه.(٢) و «الخيال هو المملكه التى يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوا صورهم وهم لا يؤلفونها اعتباطاً، إنما يؤلفونها من إحساسات سابقه لا حصر لها، تختزنها عقولهم وتظل كامنه فى مخيلتهم، حتى يحين الوقت، فيؤلفوا منها الصوره

١- (١) عبد الحكيم حسان، النظريه الرومانتيكيه: ص ٢٤٠.

٢- (٢) أحمد الشايب، أصول النقد الأدبى: ص ٢٤٣.

التی یریدونها، صوره تصبح لهم لأنها من عملهم وخلقهم.(۱) والصور التی یسهم الخیال فی خلقها وإبداعها تکون ذات طرفین؛ الطرف الأول هو الموضوع الذی تعایشه ذات الشاعر، والطرف الثانی هو المصدر الذی تستقی منه الصور مادتها وعناصرها.(۲) فالخیال لازم للأدب عموماً، وللشعر بخاصه، «فبدونه تصبح الحیاه علقماً مر المذاق لا تطاق؛ لسبب بسیط: وهو أنها تفقد روحها، تفقد ما یحرک فینا حبّها، إذ تصبح أکداساءوأکواماً من الأحداث الزائله التی لاتخلب لبّا، ولاتستهوی بصراً، ولا سمعاً».(۳) والأحری أن ننظر لموضوع الخیال عند شاعر القدس دون النظر لتقسیماته حسب المدارس الأدبیه، - کلاسیکی ورومانسی ورمزی - المهم «ألا یکون الخیال برهانیاً عقلیاً، وأن ترتبط الصور الخیالیه بالعاطفه، وألّا یتنافی الخیال مع العقل، وأن یکون له دور فی التشخیص والتجسیم، وأن یکون قادراً علی الخلق، والإبتکار»(۴) بأن یصوّر الحیاه وما یدور حولنا لیأخذ المتلقی وینطلق به إلی عوالم الجمال والأکثر کمالاً. یقول الشاعر «علی عقله عرسان» وهو یردّ علی ادعاء الیهود - بأن إبراهیم کان یهودیاً - مستعیناً بخیاله لرسم بعض قصص الأنبیاء وتصویر تلک المشاهد:

یبوس..

«أورسالم»..

إبراهیم أبی، ما کان یهودیّاً یوما،

ولا کان کذلک ابناه إسحاق ویعقوب،

۱- (۱) شوقی ضیف، فی النقد الأدبی الحدیث: ص ۱۶۷.

۲- (۲) إسماعیل أحمد العالم، مجله جامعه دمشق: ۱۸ / ص ۸۸.

۳- (۳) شوقی ضیف، فی النقد الأدبی: ۱۷۲-۱۷۳.

۴- (۴) محمد غنیمی هلال، النقد الأدبی الحدیث: ص ۴۴۸.

وإسماعيل بن إبراهيم من هاجر حنيفاً مسلماً كان، ونَسْلُ

أبيه، لم يشرك بالله ولم يحتكر الله،

ولم يعلُ فوق الخلق باسم الله،

آراميون.. مسلمون.. حنفاء..

فكيف تصير لهم ألسنه تلوك خوارَ العجلِ الذهبى المدْلِجِ

فى ليل التيه،

وليلٌ يصنعه التاريخُ،

ويصنع لليل التاريخ؟

وكيف تضيع رؤاهم فى ليل العميان،

وكيف.. وكيف.. وكيف يا أور؟؟!

موسى الكليم أخذ بلحيه أخيه هارون غَضَبَاً فى صحراء

التيه، لأن العجلَ الذهبى الأجوفَ حلَّ محلَّ الله،

وصار إله التيه ومن فى التيه.(١)

فالشاعر «عرسان» اقتبس من بعض الآيات معناها القرآنى ونفخها فى نصه الشعرى لتشكل صوره جديده تختصر الزمان وتضيف إليه مدلولاً قرآنياً مسلَّماً عند المتلقى لتصبح صوره القدس مستاقه من القرآن الكريم والعقيده الإسلاميه، فقوه الخيال فى هذه الصوره استمدها الشاعر من الواقع أوّلاً ومن ذاته ثانياً لربط أمور متباعده بعضها ببعض، ومن خلال التعبير المباشر وتداعى المعانى، صاغ هذه الصوره التاريخيه لأصاله القدس العربيه والإسلاميه، ليتبلور تاريخ اليهود الملطَّخ بالكذب والعصيان. ومن التجارب الشعوريه المتخيله ما نراه لدى الشاعر «هارون هاشم رشيد» حين يُحيّى الشهداء قائلاً:

١- (١) الأعمال الشعريه: ص ٣٠٨ و ٣٠٩.

فتحت «فلسطين» الحبيبهُ صدرها والطَّيِّبون الخالدونَ أفاءوا

والمقبلونَ إلى الرَّدى بِصُدُورِهم لبَّوا، فلا خوفٌ، ولا استخذاءُ

فى «القدسِ» إخوتُهُ تلاقى دَربُهم بِمَسارِهِ، وتلاقت الأشلاءُ

أرواحُهُم تَحْنوُ عليهِ تَضُمُّهُ مِنْ شوقها الأكبادُ والأحشاءُ

والخالِدونَ عَوَاكِفٌ مِنْ حولِهِ، يتحلقون، وتُنْشَرُ الأضواءُ

صلى عليه ملائكٌ وتَفَتَّحتْ قِمَمٌ، تُرَحِّبُ لَهْفهً، وفَضَاءُ

بُشراهُ بالجنَّاتِ وارفُ ظِلِّها مُتَرَاَقِبٌ والسِّدره العَلياءُ(۱)

لا تكاد تخلو قصيده من قصائد شاعرنا «هارون رشيد» من القدس الشريف، حيث نجده هنا يشيد بشهداء فلسطين والقدس ليعطيها بُعداً ولوناً وصوتاً وصدىً ليمنحها الحركه والحيويه، لهذا يرسم صوره الشهداء وهو يأخذها من المعتقدات الدينيه، فالقدس وفلسطين تفتح صدرها لتغذيهم حب الوطن والدفاع عن حرمته ومقدّساته، إذ المعوّل عليهم فهمُ الغوث والنجده وهم القوه والأمل وهم الفرج والنصر، وذلك لأن الخوف غير موجود فى قواميسهم، ولا يعرفون الموت والرعب، بل هم الموت نفسه، فالموت يلبسه الخلود والسعاده والهناء، خطوت أهل الجنه، موت من أجل الحياه، حياه مع الأنبياء والرسل والنعيم الأزل، فالشاعر عمد إلى أُسلوب التجسيد والتشخيص لرسم هذه الصوره الرائعه. (القدس، فلسطين تفتح صدرها، الشهداء يقبلون عليها إنه لحنان الأم الذى ليس له حدود ثم الجنه ونعيمها يستقبل قوافل الشهداء) (وَ أَصْحابُ الْيَمِينِ ما أَصْحابُ الْيَمِينِ * فِی سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَ طَلْحٍ مَنْضُودٍ * وَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ * وَ ماءٍ مَسْكُوبٍ * وَ فاكِهَهٍ كَثِيرَهٍ * لا مَقْطُوعَهٍ وَ لا مَمْنُوعَهٍ * وَ فُرُشٍ مَرْفُوعَهٍ) .(۲)

۱- (۱) هارون هاشم رشید، دیوانه طیور الجنه (قصائد للشهداء): ص ۱۵۴ و ۱۵۵.

۲- (۲) الواقعه: ۲۷-۳۴.

وحيث استفاد الشاعر من الجمل الخبريه فالمسيره مستمره، إما النصر وإما الشهاده فی سبيل الله تعالی.

بعض ما توصل إليه البحث فی هذا الفصل

- استعان الشاعر بالقرآن المجيد وبالتاريخ والتراث الإسلامی والمسيحی بشكل واسع وذلك لتدعيم صوره القدس الفنيه مما أعطاها جمالاً وحيويه خاصه.

- استخدم الشاعر الأمور والحوادث اليوميه لتكون فی خدمه القدس والقضيه وليسجلها كما هی فی تاريخ المدينه كأمانه للأجيال القادمه ولتأجيج العواطف الإنسانيه والتذكير والتنبيه.

- استعمل الشاعر المفردات الصارخه لصياغه الصوره الفنيه لتعبّر عن عمق المأساه.

- أكثر - الشاعر استعمالَ الصور البسيطه والمباشره لسهولتها عند المتلقی.

۲. اللغه والأساليب فی شعر القدس

اللغه الشعریه

۱. الألفاظ والمفردات

اللغه العربیه دیوان العرب ومرآه تفکیرهم لأنها منزل الکائن البشری، یلجأ إلیها لتأکید وجوده وینطلق بها لتحقیق رغباته.(۱)

والشعر هو لغه القلوب ومرآه النفوس، فهو یعبّر عن اللغه الشعوریه المؤثره القادره علی الإثاره عند المتلقی – القارئ والسامع – حیثما تنبعث عن وجدان عمیق، وإحساس رهیف، وهذا یستلزم ألفاظاً ذات دلالات نفسیّه وشعوریه خاصه، ولهذا فإن اللغه الشعریه بشکل عام لا بد أن تتسم وتتصف بالألفاظ ذات الإیقاع الموسیقی، والقوه التصویریه والدقه فی اختیار الکلمات، والألفه – بأن تکون الکلمه قریبه من النفوس – والطرافه.

ورعایه المقاییس والقواعد النحویه والصرفیه ولاسیما الإیحائیه فی الدلاله بأن توقظ الألفاظ صوراً ومعانیَ فی ذهن ونفس المتلقی لتمنحه إحساساً عمیقاً بالمتعه

ص:۲۳۳

۱- (۱) عبد الله العلایلی، تهذیب المقدمه اللغویه: ص ۲۱.

والسرور، وذلك من خلال قدرتها على تفجير المعانى العاطفيه فى ذات الإنسان.

وفى هذا المضمار لكل شاعر ذوقه وطريقته الخاصه فى اختيار الألفاظ التى يستخدمها للتعبير عن ما يختلج فى نفسه وذهنه، ولكن من جانب آخر لا بد من خصوصيات وسمات مشتركه ومتصله ببعضها تشكل فى مجموعها اللغه الشعريه.

ابتعد شعراء القدس عن الفضفضه اللغويه الجافه كما نلاحظها فى الشعر التقليدى القديم، فعمدوا إلى تصحيح العلاقه بين اللغه والعاطفه وربطها ربطاً متماسكاً، وذلك بالتعبير عن تجربه الشاعر بلغه حديثه وعصريه واضحه وسهله الفهم، فأصبحت قصيده القدس ملحاً لا ـ يستساغ طعام الشعر بدونه، ومن أولئك الشعراء نزار قبانى فهو استعمل القاموس اللغوى الحديث مما جعل جمهوره حاشداً وشهرته لا حدود لها. نلاحظ هذا فى قصائده (القدس، الخطاب، حوار مع عربى، منشورات فدائيه على جدران إسرائيل) فالألفاظ سهله ومباشره والتراكيب والمفردات سليمه وفصيحه، قريبه من لغه الشارع حتى وقع نزار من حيث لا يشعر فى استعمال بعض الألفاظ العاميّه لكنها قليله جداً، وذلك نشاهده فى قصيده «منشورات فدائيه» – إسوارةً من زَهر – فى خبزها المرقوق: فى زيتونها – باقون فى شَيْطَنَه الأولاد، فى خربشه الأقلام.(۱)

وكذلك فى قصيدته «حوار مع عربى» – ويردَّ طوابير الأعداء(۲) – وأيضاً فى قصيدته «الخطاب» قد استعمل بعض الألفاظ والمفردات العاميه أمثال – يلبس الطرطور بالرأس.. – وأراجُوزَ الذى كان له ألفُ لسانٍ.. ولسان – يا أمير البحر، والبَرّ، ويا عالى الجناب.(۳) إلاّ أن هذا لا يقلل من قيمه شعر نزار قبانى(۴) حيث نراه يدوّى فى سماء كل مدينه وبلد.

۱– (۱) نزار قبانى، الأعمال السياسيه الكامله: ۱۸۲/۳.

۲– (۲) المصدر: ص ۲۱۸.

۳– (۳) المصدر: ۲۵۹.

۴– (۴) ميرفت دهان، نزار قبانى والقضيه الفلسطينيه: ص ۲۰۰۲ م.

وقريب من هذا لغه الشاعر هارون هاشم رشيد، فهى خاليه من الزخارف اللفظيه والصنعه المتكلفه، ولعل هذه الظاهره ناجمه عن نظرته الثوريه والجهاديه حيث يعتقد بأن الكل لا بد وأن يشارك فى قضيه القدس ويعيها بتمام وكامل وجوده.

ويمكن أن نقول إنّ أغلب الشعراء - شده وضعفاً - سار على هذا النهج فحينما ندقق النظر فى شعر القدس ما بين عام (١٩٤٨-٢٠٠٠ م) نجده قريباً من هذا من حيث الألفاظ والمفردات والتراكيب، فمعظم شعراء القدس قد استخدم الألفاظ الجزله والفخمه فى المواضع التى ينبغى أن تستعمل فيها، ويأتى الشاعر بالألفاظ السهله والرقيقه والمباشره تاره والرمزيه الواضحه نسبيّاً تاره أخرى.

٢. التراكيب وأساليبها

أ) التكرار

التكرار فى شعر القدس ظاهره واضحه وشائعه وكثيره، ولها أهميتها الخاصه والرفيعه، إذ لم تكن مجرد ظاهره تقليد للأقدمين من الشعراء فقط، ولا لمجرد التوسع بالمفردات والجمل، بل إنها تحمل فى طيّاتها المعانى والمفاهيم والدوافع الفنيه الكثيره، ترجع إلى مهمه التكرار وأهميتها فى تفجير المعانى الجديده التى لها دلالتها وإيحاءاتها الشعوريه والنفسيّه لدى المتلقى.

ففى أسلوب التكرار يستطيع شاعر القدس أن يكرّس مضامين ومفاهيم معينه من توكيد وتحذير وإغراء وغيرها. ولا يمكن هذا إلّا من خلال التكرار حيث نجد القصيده التى تحتوى على التكرار مطبوعه فى الأذهان أكثر من غيرها.

ولذا استخدم شعراء القدس ظاهره التكرار بكلّ أنوعها - تكرار الحرف - الكلمه - الجمله وحتى الشطر والبيت - وقد أصبحت من السمات البارزه فى هذا النمط من الشعر، وبشكل عام نشاهد تكرار كلمات، أمثال: المسجد

الأقصی – القدس – إسرائيل – الإرهاب – اليهود – القتل – الموت – الدفن – الضياع – المشرد – اللاجئ – العوده – الثائر – الثأر – الشهاده – الشهيد – السجن – الطفل – الجهاد – الثوره – النضال – و...

ولکن تکرار بعض المفردات له معناه الخاص ونغمته الخاصه، کما نلمس هذا فی قصيده «القدس» لنزار قبانی.

– يا قدسُ.. يا مدينةً تفوح أنبياء.

– يا قدسُ.. يا منارةَ الشرائع.

– يا قدسُ.. يا مدينةً تلتفُّ بالسواد.

– يا قدسُ.. يا مدينه الأحزان.

– يا قدسُ.. يا مدينتی.

– يا قدسُ.. يا حبيبتی.(۱)

فالشاعر بهذا الأسلوب ومن خلال تکرار «يا قدس» رسم صوره القدس المأساويه ومکانتها السماويه ومنزلتها التراثيه والدينيه فی قلوب الجميع فأصبحت راسخه لا تزول.

وهذا الأسلوب استعمله الشاعر فی أکثر من قصيده کما نشاهده أيضاً فی قصيدته «طريق واحد».(۲)

حيث کرر لفظ «بندقيه» أکثر من ثمان مرّات لما توحی من دلالات نضاليه وثوريّه – أُريدُ بُنُدقيّه.. – من أجل بُنـدُقيّه – أمام بُنْدقيّه.. – أصبح عندی الآن بندقيّه – فبهذا التکرار قدم الشاعر صوره لتحرير القدس وحسب رأيه إنها الطريقه الوحيده التی من خلالها يمکن أن تعود القدس إلی أهلها.

ص:۲۳۶

۱– (۱) الأعمال السياسيه: ۱۶۱/۳.

۲– (۲) المصدر: ص ۳۲۷.

وأمّـا أسـلوب التكرار عنـد الشاعر محمود درويش فهى متفشّـيه وفنيّه كما نرى ما فيها من التوكيـد فى قصيـدته (مزامير – الزمور الحادى والخمسون):

ونغنى القدس:

يا أطفال بابلْ

يا مواليد السلاسلْ

ستعودون إلى القدس قريباً

وقريباً تكبرون

وقريباً تحصدون القمح من ذاكره الماضى

قريباً يصبح الدمع سنابل

آه، يا أطفال بابل

ستعودون إلى القدس قريباً.

وقريباً تكبرون

وقريباً

وقريباً..

هلّلويا

هلّلويا!(١)

بهذا التكرار يرسم الشاعر صوره الأمل والعوده القريبه للقدس ليحل الفرح والبهجه مكان الحزن والعذاب.

ونرى محمود درويش فى قصيده «الأرض» يستعمل أسلوب التكرار ليتحدّى المغتصِب، إذ يقول:

أنا الأرض

يا أيّها الذاهبون إلى حبه القمح فى مهدها

۱- (۱) الديوان: ۴۰۰/۱.

احرثوا جسدى!

أيها الذاهبون إلى جبل النّار

مرّوا على جسدى

أيها الذاهبون إلى صخره القدس

مرّوا على جسدى

أيها العابرون على جسدى

لن تمروا

أنا الأرض فى جَسَدٍ

لن تمروا

أنا الأرض فى صحوِها

لن تمروا

أنا الأرض أيها العابرون على الأرض فى صحوها

لن تمروا

لن تمروا

لن تمروا!(١)

ففى القصيده من التكرار ما لا يخفى، فتاره يكرر الاسم – جسدى، وتاره يكرر الفعل – تمرّوا، وتاره أخرى يكرر الأداه – لن – ليجعل الشاعر لكل لفظه منها دوراً وذلك ليكسب الشعر جمالاً ويلفت الانتباه إلى أهميه اللفظه المكرره.

كما نشاهد هذا أيضاً عند نزار قبانى فى قصيدته (فتح) قائلًا:

كالسيّد المسيح.. بعد موتنا نَهَضْنَا..

مهما هُمْ تأخَّروا، فإنَّهُمْ يأتُونْ

١- (١) المصدر: ص ٦٥١.

في حَبَّه الحنطه..

أو في حبَّه الزيتون..

يأتون في الأشجار، والرياح، والغصونْ

يأتونَ في كلامنا..

يأتون في أصواتنا..

يأتون في دموع أمَّهاتنا..

في أعينُ الغالينَ من أمواتنا

مهما هُم تأخروا.. فإنهم يأتون(١)

نرى الشاعر في هـذه السـطور يصرّ على شـيءٍ ما، وهو التحرير، تحرير القدس والأرض، أوصل لنا هذه الفكره وهذه الصوره من خلالـ تكرار الفعـل المضـارع «يـأتون» لمـا فيه من معنى ثبوتى فإنه – أى نزار – قـد كرّرها بشـكل حتى أيقن المتلقى أنّ رجال التحرير لا محاله قادمون ولو تأخروا نسـلاً أو نسلين، ففى هذه السطور نلاحظ الوضوح والسلاسه لكنها عميقه جداً فى معانيها، إذ اسـتخدم الشـاعر أسـلوب الإيحـاء والرمز وتـداعى المعـانى. فهو اسـتعمل مفرده «الحنطه» وفيهـا من الـدلاله ما لا يخفى – الفلاح الكادح – لقمه خبز الحلال – الحيويه والخضـره – النشأه والطفوله... وكذلك المفردات الأخرى فلها رموزها وإيحاءاتها الخاصـه – دموع أمهاتنـا – فـإنّ دموع الأمهـات يحمـل فى طيـاته البراءات والمظلوميه فى الوقت نفسه، والقـانون الإلـهى القاضـى بانتصار المظلوم على الظالم يوماً ما – جمله أمواتنا – فيها دلاله على أنّ دم الشـهداء سوف يورق الزيتون وينبت الحنطه وهذا لا شك ولا ريب فيه عندما نرى القدس قد عادت للمسلمين.

١- (١) نزار قبانى، الأعمال الكامله: ٣/١٤٠-١٤٢.

أمّا هارون هاشم رشيد فهو فى قصيدته «سرحان» يفتح لنا صفحات وصفحات من كتب وسجلّ القدس - المظلوميه، الاضطهاد، الإرهاب، القتل، هتك الحرمات، الاغتيال، الغصب، الدمار، الجوع، العراء، المأساه، فهو حاول تكريس هذه المعانى بأسلوب التكرار والاستفهام قائلًا:

لو يسأل..

لارتعشت أوتارُ القلب

وشبَّتْ فى الأعماق

النارْ..

لو يسألُ..

لأجاب بصوتِ

العزّه

صوت الأحرار!

قتلُوا أهلى،

سرقوا وطنى

ألقوا فوق القدس

العار..

هَدموا

كل أمانىَّ الخضراء،

وداسوا أنفاسَ

الأزهار،

قتلوا مُدُناً

وقرى، ومزارعْ،

واغتالوا أنهار

ص:٢٤٠

ومشوا فوق

صليبى بكعو بهم

هَدَمُوا

فى القدس

الأسوار

سرحان

وطن

لا يعرف إلّا الحب

سرقوه..

داسوه..

أهانوه بلا ذنب..

زرعوا الأشواك

بعينه،

ودقّوا الرعب..

وتنادوا..

نحن مسيحيون

فيا للكذب..

أبا سم الروح

باسم الابن

باسم الأب

تداس القدس

ويذبح فيها

ويهانُ الشعب..

ص:٢٤١

وتشبُّ النار

بصدر الحقد..

تشب تشب..

فليقتُل كل القتلةَ

يرعد

صوتُ الشعب.(۱)

استخدم الشاعر أغلب أساليب بناء الصوره – الوصف المباشر – التجسيد – التجريد – التشخيص – ليصوغ صوره مركّبه ومترابطه تحكى لنا هذه المعانى العميقه وترسم صوره القدس المأساويه.

فالشاعر استخدم أسلوب التكرار لما فيه من أغراض شتّى، وكرر – لو يسألوا – أكثر من تسع مرّات، ولو قرأنا كل القصيده لوجدنا الشاعر قد استخدم الأدوات – أين – أيّ – هل – ماذا – كم – لو – فيم – لماذا – وكرّرها أكثر من ثمان وعشرين مرّه ولكنّ الشاعر وضع يده على «لو» بالذات وكررها أكثر من غيرها لما فيها من معنى عرْض أو تمنٍّ أو... فالمعنى الذى أفادته القصيده مع استعمال هذه الأدوات والتكرار هو الذى أعطى القصيده الجمال الغنىّ والمضمون القوى والراسخ.

هذا وكما نشاهد الشاعر على عقله عرسان فى قصيدته «أورسالم صباح الخير» فى مقتطفٍ منها يؤكد أصاله القدس الإسلاميه قائلًا:

أورسالم مدينتنا

تل كنعان المُعْشِب عبر التاريخ،

إرثه الباقى لأبنائنا وأحفادنا من بعدنا،

لا يحميه إلا السيف والدم،

۱- (۱) هارون هاشم رشيد، الديوان: ص ۴۸۱-۴۸۵.

مهما امتد الزمان واتسع المكان،

القدس مدينتُنا.. /القدس مدينتُنا..

القدس مدينتُنا...(١)

ففى سطور القصيده هذه ما لا يخفى من تكرار الكلمات – الزمان – المكان – الجمله الاسميه – القدس – مدينتنا.

من خلال التكرار رسم الشاعر صوره القدس المقاومه وأبنائها وانتمائها لأهلها وأصحابها وهكذا حال أكثر الشعراء الذين أنشدوا القدس شعراً.

والجدير بالذكر أن هناك قواعد للتكرار أهمها أن يكون اللفظ المكرر وثيق الارتباط بالمعنى العام وأن يخضع لكل ما يخضع له الشعر عموماً من قواعد ذوقيه وجماليه وبيانيه.(٢)

ب) الاستفهام

من المظاهر الأخرى التى نجدها فى أسلوب شعر القدس، الأسلوب الاستفهامى حيث سَخّر بعض شعراء القدس هذا الأسلوب لغرض التركيز على فكره إثاره مشاعر المتلقى، كما فى الاستفهامات المتكرره فى قصيده «الحب والبترول» لنزار قبانى:

متى تَفهَمْ؟

تغوصُ القدسُ فى دمها.

وأنت صريعُ شهواتك

تنامُ.. كأنّما المأساه ليست بعض مأساتك

متى تفهم؟

١– (١) الأعمال الشعريه: ص ٣٠٧–٣٠٨.

٢– (٢) نازك الملائكه، قضايا الشعر المعاصر: ص ٢٩٢.

متی یستیقظ الإنسان فی ذاتک؟(١)

فالشاعر استعمل الأداه «متی» الاستفهامیه لیضع حدّاً لزمان الغفله والسبات العمیق الذی اتصف به البعض، وفی هذه القصیده أیضاً استعمل الأداه الاستفهامیه «أین» مرّتین للتهکم والسخریه بشجاعه المخاطب.

وأین الوَشْمُ فوق یدیک؟

أین ثقُوبُ خیماتک؟(٢)

والأسلوب نفسه - أی: الاستفهام - استعمله نزار قبانی لغرض استنهاض همم أبناء الأمه العربیه والأمه الإسلامیه فی قصیدته «القدس».(٣)

مَنْ یُنْقِذُ الإنجیل؟ مَنْ یُنْقِذُ القرآن

مَنْ یُنْقِذُ المسیح ممَّنْ قتلوا المسیح؟

مَنْ یُنْقِذُ الإنسان؟

وقریب من هذا استفهامات الشاعر نجیب جمال الدین فی قصیدته «عُنوانی علَی بردی»، حیث حاول عن طریق أسلوب الاستفهام أن یرسم صوره لمکانه القدس والمسجد الأقصی:

وَ سألتُ أُولی القبلتین:

لِما غدت أُولی؟

وفیمَ اختارها الرحمن

وسَألتُ: کیفَ؟ متَی؟

وَمَنْ مِنْهُمْ؟

وَهَلْ وجهٌ لأُولی القبلتین یُصانُ.(۴)

١- (١) نزار قبانی، الأعمال السیاسیه: ۶٨/٣.

٢- (٢) المصدر: ۶۴/٣.

٣- (٣) . المصدر: ١۶٣/٣.

۴- (۴) نجيب جمال الدين، قصائد إلى عاصمه المدن الشرقيه: ص ۷۱.

ج) النفی

ومن تلک المظاهر التی یلمسها متتبع شعر القدس، أسلوب النفی وذلک لغرض أداء مفاهیم ومعانٍ جدیده تکمن فی ذهن الشاعر؛ لأنه یستقی لغته وإیقاعاتها من قاموسه اللغوی وموروثه العربی والإسلامی، مما یجعل المتلقی یتذوق ویطلب المزید «لأن الإحساس الصادق بقیمه النص الأدبی، وجمال اللغه الأدبیه کائن فی کل إنسان، وإن اختلفت درجاته، وأیقنت أن تجلیه هذا الإحساس وتنمیته ترفعان إنسانیه الإنسان، وإنّ افتقادهما خساره لا یمکن أن یعوضها شیء، کما یقول شکری محمد عیاد.(۱)

ومن القصائد التی اعتمد شاعر القدس فیها علی أسلوب النفی قصیده نزار قبانی «منشورات فدائیه علی جدران إسرائیل»(۲) وکذلک قصیدته «جریمه شرف أمام المحاکم العربیه»(۳) وقصیده «أورسلام صباح الخیر»(۴) لعلی عقله عرسان وغیرهما.

فنلاحظ الشاعر نزار قبانی حین یقول:

لَنْ تجعَلوُا من شَعبِنَا

شَعب هنود حمر

فنحن باقون هنا..

باقون فی آذارها..

باقون فی نیسانها..

باقون کالحفر علی صُلبانها

ص:۲۴۵

۱- (۱) شکری محمد عیاد، مدخل إلی علم الأسلوب: ص ۸.

۲- (۲) نزار قبانی، الأعمال السیاسیه: ص ۱۹۵.

۳- (۳) المصدر: ص ۲۲۷.

۴- (۴) الأعمال الشعریه: ص ۲۹۹.

باقون فی نبیها الکریم، فی قرآنها

وفی الوصایا العشر

لا تسکروا بالنصر

لنْ تُفلِتوا من یدنا..

لن تستریحوا معنا..

کل قتیل عندنا

یموت آلافاً من المرات.

تذکروا..

تذکروا دائماً..

بأن أمریکا علی شأنها

لیست هی الله العزیز القدیر

وأنّ أمریکا – علی بأسها –

لن تمنع الطیور من أن تطیر

قد تقتل الکبیر، بارودہ

صغیرہ، فی ید طفل صغیر.(۱)

وهکذا نجد شاعرنا نزار قد استغل أسلوب النفی والتکرار معاً وقد أجاد إذ عبّر تعبیراً مؤثراً، بلغه ناریه وعلاجیه فی الوقت نفسه وبعاطفه صادقه، ولذا من هنا صدم الوعی الشعری الحدیث بما کان له من مواقف شموخیه مع ماله من مستوی شعری یتصف بالجمال الفنی والتعبیری وما لقصائده من قیمه أدبیه، فهو کرر «باقون» أکثر من ست وعشرین مرّه وکرر الأداه «لن» النافیه نفیاً تأبیدیاً أکثر من أربع مرات ووحّد بین الدیانات السماویه الثلاث لینفی

۱- (۱) الأعمال السیاسیه: ۱۶۷/۳.

الاحتلال عن ساحته، وبهذا الأسلوب استطاع الشاعر أن يعطى القدس وأهلها صفه الصمود حاضراً ومستقبلاً.

لعلّ الشاعر نزار قبانى له ميزه تبرز شعره عن غيره، وهى أنك تجده يقدم الحل المناسب فى طيّات كلماته النابضه من إحساسه الصادق فنلاحظ كيف يستغل أسلوب النفى ليحكى ما فى ضميره ويقدم الحلول المناسبه للقدس قائلاً:

لا يمين يجيرنا أو يسارٌ تحت حدِّ السكين نحن سَواء(۱)

لو قرأنا التاريخ ما ضاعت القدس وضاعت من قبلها «الحمراء»

زعموا أننى طعنت بلادى وأنا الحبُّ كلُّه والوفاء

ما احترفتُ النفاق يوماً وشعرى ما اشتراه الملوك والأمراء

لا تعاقب يا ربِّ من رجمونى واعف عنهم، لأنهم جهلاء

افهمونى.. فما أنا غير طفلٍ فوق عينيه يستحمُّ المساء

أنا لا أعرفُ ازدواجيّه الفكر فنفسى بحيره زرقاء..(۲)

فالشاعر ينفى الاتكاليه والتعويل على الآخرين، فيؤكد على معرفه الذات من خلال التاريخ وأخذ العبر والدروس ويضرب مثلاً على ذلك قضيه الأندلس، فهو يؤمن بقدره الإنسان العربى ويؤمن بقدره الإنسان المسلم ويرى النصر لا بد وأن يمر عبر هذا الطريق لا غير.

وأمّا الشاعر على عقله عرسان فهو يستخدم أسلوب النفى ليقدّم صوره المقاومه والصمود لمدينه القدس وأهلها قائلاً:

لا سلم بهذى الأرض وأنا مقهورٌ يا أور،

لا سلم بهذى الأرضِ وسيفُ القرصان يحزُّ وريدَ القلبِ،

۱- (۱) إشاره إلى المعسكر الغربى والشرقى آنذاك.

۲- (۲) نزار قبانى، الأعمال الكامله: ۳/۴۰۴-۴۱۳.

ويفرى كلَّ جذورِ الحب،

ويمسخُ كلَّ نداءِ الربِّ،

ويقتلُ.. يقتلُ.. يقتل،

لا سلم بغير القدس،

وكلُّ الأرض القدس.

القدس أمان..

القدس حنان..

القدس أمان.(۱)

فالشاعر يكرر الأداه «لا» النافيه لينفى كل شىء دون القدس.

د) النداء

وأما أسلوب النداء والاستغاثه فعمد إليه أكثر شعراء القدس لا ـ سيما هارون هاشم رشيد وحسن البحيرى وسليمان العيسى ومحمود درويش، فهم تاره ينادون الزعماء والحكام وتاره الشعوب وأصحاب الضمائر الحيّه، وتاره أخرى يوجهون النداء للتاريخ وأبطاله، فنلاحظ الشاعر هارون هاشم رشيد فى قصيدته (الحريق) كيف ينادى ويستغيث برسول الله محمد صلى الله عليه و آله قائلًا:

محمداه..

وا محمداه

حناجر الأقصى تصيح

وا محمداه

مناره الأقصى تصيح

وا محمداه

١- (١) على عقله عرسان، الأعمال الكامله: ص ٣٢٠-٣٢٤.

الصحن والمحراب

والأعتاب والأبواب

جميعها تقول

وا محمداه..

وا أمّه الكماه والأباه

وا أمّه الصلاه والزكاه

المسجد الأقصى احترق

المسجد الأقصى احترق(۱)

فكما ذُكر في كتب النحو بأنّ «وا» حرف نداء مختص بالندبه وهى نداء المتفجّع أو المتوجّع لهذا عمد إليها الشاعر لما فى القضيه - القدس - من وجعٍ وتفجّع، فأخذ يندب ويستغيث بأعلى صوته وعلى لسان «الأقصى» وكل ما اتصل به، فندبه الرسول محمد صلى الله عليه و آله تعنى ندبه الإسلام، تعنى ندبه المسلمين، تعنى ندبه الأمه العربيه، تعنى ندبه الأمه الإسلاميه، تعنى ندبه الإنسان الشريف. فهذه المعانى الراقيه وهذا الجرس الموسيقى وهذا الإيقاع ما هو إلّا نتيجه أسلوب النداء والتكرار، ولا ريب أنّه يشعل فى صدر المتلقى النار ويجعله يلتهب مع المسجد الأقصى.

نرى الشاعر نفسه يستخدم أداه النداء «يا» لدلالتها على المنادى قريباً ومتوسطاً وبعيداً، ينادى بها وطنه وقدسه حين كان فيه، ويناديه حين أُبعد عنه قائلًا:

يا وطنى..

يا وطن الطهر الممزوق الوجه

المنكسر الأهداب

يا وطنى..

۱- (۱) هارون هاشم رشيد، مفكره عاشق: ص ۵۴.

يا وطن الصخره والمحراب

يا أول من أطلق كلمات النور

وأول من أعطى وأصاب

يا خطو محمد

فوق سماء الله..

ويا درب الأخيار الأحباب

يا مهد يسوع

الفارش فوق دروب الخير

كلام الرحاب

وطنى..

يا وطن الزيتون الخير

يا وطن الأعناب

يا وطن الأمواج المغلوله

فى قيد الأسر...(۱)

فالشاعر بهـذا النداء رسم حبّه الخالص لوطنه، ولكنّه فى الوقت نفسه استعان بأسلوب النداء ليجسّد لنا عدّه صور، الصوره الأولى هى صوره الوطن، القدس و.. الممزّق بيد العدو، الكئيب والمكبّل بالأغلال. الصوره الثانيه هى أن هـذا البلـد هو بلد غير عادى لاتصاله بالنبى مُحمّد صلى الله عليه و آله وبالنبى عيسى عليه السلام واتصاله بالسماء. الصوره الثالثه هى براءات هذا الوطن إذ هو وطن السلام، وطن الزيتون.

وهكـذا نجد لغه شعر القدس سلسه وسهله التناول لأنه كما يقول نزار قبانى، فإن الشعراء هم الذين «يحركون اللغه ويطورونها ويعطونها هويه

١- (١) هارون هاشم رشيد، الديوان: ص ٤٥٣.

العصر»[(١)] على خلاف نهج الشعراء فی بلاد الشام فی عصر الحروب الصليبيه حتى عدّ ذلک داء العصر.[(٢)]

الأساليب

١. الأسلوب الخطابی

الشعر ليس مجرد طبع وإنّما هو معرفه لمجموعه من القوانين الأساسيه تشكل ما يسمى العلم بالشعر وكأنّ للعلم بالشعر جانبين متداخلين: جانب فطرى مرتبط بالحساسيه التلقائيه التى يتميز بها الشاعر، والتى تمكّنه من إدراک ما لا يدركه الآخرون، وجانب آخر مرتبط بالتعليم واتّباع الأصول المتعارف عليها.[(٣)] من تلک الأصول والأساليب: الأسلوب الخطابی حيث عُرفت الخطابه عند العرب منذ أقدم عصورهم وحتى الآن، وتطور الأسلوب الخطابی كبقيه الفنون والأساليب الأدبيه، وأخذ يبرز على صعيدين اثنين، الصعيد الإرشادى والصعيد السياسى، اللَّذين باشرا الأحداث السياسيه والظروف الاجتماعيه خطوه بعد خطوه، ومن هذه الحوادث حادثه احتلال القدس وفلسطين على يد الصهيونيه العالميه المتمثله بإسرائيل، فظهر هذا الأسلوب الشعرى منذ وعد بلفور عام «١٩١٧ م» ونكسه حزيران عام «١٩٦٧» وذلک لأن معاناه الشعب بعد هذه الكوارث هى التى استدعت هذا الأسلوب الخطابی لأنه هو الأسلوب المناسب لعلاج ما وقع على أرض فلسطين.

ففى بدايه هذه الأحداث أخذ شعراء القدس أمثال: نزار قبانى، بدوى الجبل، محيى الدين الحاج عيسى، محمد العدنانى، برهان الدين العبّوشى، محمود الحوت، عبد الكريم الكرمى، يعبّرون عن الحدث مستخدمين هذا

١- (١) نزار قبانى، مع الشعر: ص ٥١.

٢- (٢) عمر موسى باشا، الآداب فى بلاد الشام، عصر الزنكيين والأيوبيين والمماليک: ص ٥١٣.

٣- (٣) جابر عصفور، النقد الأدبی: ص ١٦٣.

الأسلوب برنّاته ونغماته المهيجه، واتخاذ المناسبه فرصه للعمل الأدبى والشعرى ليفجر الطاقات الكامنه فى قلب الفلسطينى ومشاعر وأحاسيس الإنسان العربى والمسلم لما فيه من سحر العباره وقوّه المعنى.

فترى الحدث نفسه يدخل فى ذات الشاعر الملتهبه ليخرج كلمه محرقه. فهذا الشاعر نزار قبانى قد ألهب المشاعر فى عدّه قصائد خطابيه «الحب والبترول» و «الخطاب» إذ يقول فيها:

خَدَّرونى..

بملايين الشعارات.. فَنِمْت

وأرَوْنى القُدسَ فى الحُلْمِ.. ولَمْ

أجِد القدسَ، ولا أحجارها، حين اسْتَفَقْتُ

فاعذرونى

أيُّها السادهُ، إن كنتُ ضحكت..

كان فى وُدِّى أن أبكى

ولكنّى ضحِكتُ...(١)

وهكذا أصبح شاعر القدس بعد نكسه حزيران مذعوراً يعيش حاله ما بين الموت والحياه، فتراه يخاطب المسجد الأقصى ومنبره فيراه غريباً بين يدى العدو ينتشل أشلاءه، وتاره أخرى يخاطب بعض الساسه آنذاك مهاجماً مواقفهم الخاطئه، فنلاحظه يرسم لنا صوره القدس وأقصاها والذل والهوان الذى لحق بها، وهذا ما نجده فى قصيده «المسجد الأقصى» للشاعر حسن البحيرى قائلاً فيها:

مُنعَّمينَ بعيشٍ رائِقٍ رَغِدٍ ما شابَ صَفْوَ أمانِيهِمْ بِهِ كَدَرُ

أعِنْدكم أنّنى فى ليلِ غاشِيَهٍ ريعَ القضاءُ لها واستشعر القَدَرُ

١- (١) الأعمال السياسيه: ٢٧١/٣.

وأن قُدسی ومعراجی وأرضَهما باتتْ بدُهْمِ الرَّزايا السُّودِ تَأتزِرُ

فكادتِ القِبلهُ الأولی وصخرتُها عن الحَطِيمِ ورُكْنِ البيتِ تَنْبَتِرُ

أَلَمْ يروا أن مَحرابی ومِنْبَرهُ وآيتی بِدِثَارِ الغَمِّ تَدَّثِرُ(۱)

وأمّا عبد الله يوركی حلاق فقد أخذ - وعلی لسان الطفل الفلسطينی - يخاطب جماهير أمته العربيه والإسلاميه، محذّراً من الفُرقه العرقيه والطائفيه فی قصيدته «طفل فلسطينی ثائر» قائلاً:

عربیٌّ عربیٌّ عربی ولی الفخرُ بهذا النسبِ

مذهبُ الفُرقهِ لا أعرفُهُ فاخشوا إنْ تسألوا عن مذهبی

أنا صبٌ تيّمتْنی لُغهٌ صانها القرآنُ أسنی الكُتب

وجهه المحرابِ عندی هيكلٌ فيه عيسی والنبیُّ العربی

بيتُ لحْمٍ، وُلِدَ الفادی بها وجبالُ القدسِ معراجُ النبی

أوَ نرضی أن نراها مسرحاً للبغايا وعبيد الذَّهبِ(۲)

كما نعلم إنّ طابع الأسلوب الخطابی، طابع روح الحماسه والتحريض والثوره، فالشاعر يوركی الحلاق كغيره من شعراء القدس، خاطب الجمهور بهذا الإحساس مستخدماً أساليب الخطابه أمثال أدوات النداء والمباشره والتنبيه ليصوغ أحاسيسه ومشاعره ويجعلها متصله بروح المتلقی وليباشر مسؤوليته تجاه القدس. وأری أن الشاعر لو استنجد بالمسلمين ولم يخص العرب كان أقرب إلی الصواب إذ القدس للمسلمين جميعاً.

وهكذا استمر الأسلوب الخطابی إلی ما بعد نكسه حزيران وحتی بدايه السبعينيات - حرب ۷۳ - ولكن هذه النبره الخطابيه أخذت تهدأ شيئاً ما، حتی

۱- (۱) حسن البحيری: لفلسطين أغنی: ص ۸۶-۸۷.

۲- (۲) عبد الله يوركی حلاق، حصاد الذكريات: ص ۱۹۱-۱۹۲.

أشعلتها انتفاضه عام «۱۹۸۷ م» مرّه ثانيه تلازمها الحماسه والحدّه والاستبشار بطلوع الفجر الصادق وزوال الاحتلال الإسرائيلی كما نشاهد هذا عند نزار قبانی، سليمان العيسی، حسن البحيری، علی عقله عرسان، محمود درويش، خالد محيی الدين البرداعی، سلمی خضراء الجيوسی، ولا سيما عند هارون هاشم رشيد، إذ أن أكثر قصائده علی هذا الأسلوب الخطابی والوعظی والذی يتمتع بالمباشره والحدّه الثوريه. وهذا ملموس فی ديوانه، مفكره عاشق، قصائد فلسطينيه، ورود علی جبين القدس، ثوره الحجر، وها هی رنه خطابه فی قصيده «يا طفلنا» تبث الأمل والحزن معاً إذ يقول:

يا طِفلنا تترقبُ المددا يا طفلنا.. لا تنتظر أحدا

ترمی الحجارهَ.. لا تكفُ يدٌ سَلِمَتْ.. ومَا مَدُّوا إليك يدا

ويَظلُّ قومك فی تحاورهم وتظلُّ وحدُك صامِداً جلِدا

يتحدثون يجیء شَجْبُهمو نهراً من الكلمات محتشدا

والقُدُس داميهٌ، مهدَدَّهً والمَسْجدُ الأقصی.. وَمنْ سجدا(۱)

لعلّ الشاعر هارون هاشم رشيد جمع فی هذه القصيده ما بين الأسلوب الخطابی والأسلوب التعبيری ليرسم صوره الانتفاضه وأطفال الحجاره، وصوره القدس الصارخه وغربتها المستنجده، وكما نلاحظ أن الأسلوب الخطابی له ربط مباشر بالأحداث الفلسطينيه المتواصله.

۲. الأسلوب التعبيری

لا شك أن لشعراء القدس باعاً طويلاً فی استخدام الأسلوب التعبيری، فعبّروا من خلاله عن عواطفهم الجياشه وأحاسيسهم المتفجّره تجاه القدس بل أرض فلسطين كلها من حبّ وبغض، وحزن وفرح، وبيان حقائق، ورسم أهداف، وأيضاً التعبير

۱- (۱) هارون هاشم رشيد، قصائد فلسطينيه: ص ۵۲-۵۳.

عن ذات الإنسان الفلسطينی المشرّد والضياع والغربه و.. وذلک لأن الأسلوب التعبیری أوقع فی النفوس ولعلّه الأکثر تأثیراً من الأسلوب الخطابی، ولهذا قد نهج هذا الأسلوب أغلب شعراء القدس لا سیما فی بدایه الاحتلال الصهیونی وحادثتی النکبه «۱۹۴۸» والنکسه عام «۱۹۶۷» والحوادث الدامیه الأخری، ومن ذلک قول الشاعر هارون هاشم رشید فی قصیدته (قصیده إلی القدس):

أجَل إنی من القدسِ

وفیها قد نما غَرْسی

جذوری فی عروق الصخر

فی الصلّد، وفی الملس

ومن کنعان بی نبضٌ

ومن عدنان، من قیس

من الماضی، من الحاضر

من یومیَ، من أمسی

عریق المجد والأنساب، مشدود إلی الشمس

بها أختالُ فی الدنیا.

وأمشی رافع الرأس.(۱)

فعبّر الشاعر عن انتمائه للقدس وأصله العریق الممتد فی جذور التاریخ، وحقّه الواضح کالشمس فی ربوع النهار، ولو عاش الغربه وتجرع آلامها.

ومن خلال تتبعی لشعر القدس لاحظت أن أکثر هذا الأسلوب استخداماً فی شعر المقاومه، حیث أصبحت اللغه التعبیریه فی هذا النمط من الشعر، هی وسیله الأداء، کما نلاحظ فی قصیده الشاعره فدوی طوقان «أردنیه فلسطینیه فی إنکلترا».

۱- (۱) هارون هاشم رشید، مفکره عاشق: ص ۱۴-۱۶.

عبّرت فيها عن ضياعها وفقدان الهويه الفلسطينيه – حسب المزاعم الغربيه – فإنّها شاعره بلا وطن:

طقس كئيب

وسماؤنا أبداً ضبابيه

من أين؟ إسبانيه؟

كلا

أنا من.. من الأردن

عفواً من الأدرن؟ لا أفهم

أنا من روابى القدس

وطن السّنى والشمس

يا، يا، عرفت، إذن يهوديه

يا طعنه أهوت على كبدى

صمّاء وحشيه

ثم تابعت قائله تحاور جارها الإنكليزى:

وأنت يا جار الرضى من فتّح الجراح

ذكرتنى أنى من الأرض التى تمزّقت

أنّى من القوم الذين من الجذور اقتُلِعوا

من الجذور..

وأصبحوا على مدارج الرياح

وأصبحوا مبعثرين ها هنا وها هنا

لا ينتمون إلى وطن...(١)

۱- (۱) فدوى طوقان، الديوان: ص ۳۱۲ و ۳۱۳.

فالشاعره عبّرت عن صوره المواطن المغترب بأنه بلا وطن وأنّ مُواطن القدس ليس هو ذلك الصـهيونى المغتصب. وأيضاً عبّرت عن صوره الشـعب كيف اقتُلع من أرضه فلسطين وتبعثر مع الرياح بعد ما أصبحت أرضه يطمسها الضباب منع نور الرؤيه الحقيقيه لهـا. وقريب من هـذا قصـيده الشـاعر هـارون هاشم رشـيد «غرباء» وغيرها ولا سـيما فى الشـعر المهجرى وغيره من شـعر القـدس الغنائى.

۳. الأسلوب الرمزى والأسطورى

اعتنى شـعر القـدس فى «سوريه ولبنان وفلسـطين» بالرمز الشـعرى إلى حد كبير، وقد كان الدافع إلى اسـتخدامه، طبيعته الإيمائيه، والغنيّه والمثيره، وسـماته الفنيّه والجماليه ومهامه الاجتماعيه أيضاً، «فالرمز الشعرى لا ينفصل عن التجربه الشعوريه، إنّه مرتبط بها أشـد الارتباط. بين الرمز الشـعرى والمرموز إليه علاقه تـداخل وامتزاج. فالتجربه الشـعوريه إمّا أن تفرغ شـحنتها فى رموز قـديمه فتسـتدعيها وتستحضـرها، وإمّـا أن تركز الشـحنه العاطفيه أو الفكريه فى ألفاظ تضـفى عليها طابعاً رمزياً فيكون الرمز المسـتخدم جديداً».(۱) وفى هـذه الحـاله «الرمز هو اللغه التى تبـدأ حين تنتهى لغه القصـيده التى تتكون فى وعيـك بعـد قراءه القصـيده أنّه البرق الـذى يتيـح للوعى أن يسـتشف عالماً لا حـدود له، لذلك هو إضاءه للوجود المعتم واندفاع صوب الجوهر.(۲) وقد يكون الرمز مشـيراً إلى حادثٍ أو تاريـخٍ أو أسـطوره أو قصه. لأن الرمز لغه هو: «الإشاره بالشـفتين، أو العينين، أو الحاجبين، أو الفم، أو اليد، أو اللسان، وأكثر ما يكون ذلك على سبيل الخفيه»(۳) والإشاره تختلف درجات وضوحها

۱- (۱) أدونيس، زمن الشعر: ص ۲۳۹.

۲- (۲) المصدر: ص ۲۳۹.

۳- (۳) القاموس المحيط، ماده رمز.

وخفائهـا وذلـک حسب قـدره الشـاعر وإرادته، فـالصوره الرمزيه مره تکون نـاظره إلی شخصـيه تاريخيه کما فی قصـيده «قرطبه» للشاعر الفلسطينی «خالد أبو خالد» قائلاً:

وينهض تشرين بوابتين إلی القدس واحده

وإليکِ.. إليک

فلسطين

تنصب فی داخلی

أمطرت

والرذاذ المورد يغرق ناصيتی

وعيونی

ومتعبه رئتی

فالحصار شديد

هنا زمنی.. قرطبه(۱)

لا تلومی الرياح التی حملت جسدی

لکننی إذ تلوح علی الأفق عيناکِ

أربح معرکه بالمسير

ولو خطوتين

بدون الجيوش التی ذبحتنی

وراحت تطارد رأسی بأعلامها السود(۲)

فالشاعر استـدعی شخصـيه عبـد الرحمن الداخل وشـبّه رحلته إلی قرطبه برحله الفلسـطينی عندما فرض عليه الحصار، فقرطبه رمز استعان به الشاعر

١- (١) العاصمه الأسلاميه (٩٧-٢٢٢ ه) فى الأندلس.

٢- (٢) خالد أبو خالد، شاهراً سلاسلى أجى ء: ص ٣٧-٣٩.

لتصوير واقعه المأساوى، ولكن عبد الرحمن وصل إلى قرطبه والشاعر خالد أبو خالد ما زال فى الطريق ولم يصل إلى القدس، ولكنه يواصل المسيره بما لديه من آمال.

وقد يرتكز الرمز على حادثه تجعل المتلقى يرجع إلى الوراء ويقارن الحاضر بالماضى «مدريد - غرناطه» ليرسم صوره ما يجول فى نفسه، كما فعل الشاعر ذاته - خالد أبو خالد - حين أخذ يشكك فى السلام الصهيونى ويصب حنينه نحو القدس، إذ يقول:

لغرناطه الآن خيمتها.. وامتداد الطريق..

وغرناطه الآن مطروده فى المماليك..

ذاكره فى السنابك..

تعيش المسافه بن الخيام وبين السلام..

ترى القدس مكسوره فى المداد.. ومكسوره فى الحطام.

تعيش المسافه للأهل..

يبتعدون..

ويبقى النخيل..

يجر حقائبه فى الحنين الطويل..

يقول لها.. لا تخافى..

تخاف.. ويفترقان على موعد فى الجليل..(۱)

وأمّا سميح القاسم فبعدما لمس النكبات والنكسات فى وطنه وأرضه، استعان بماضى العرب ليجعل صقر قريش فى قصيدته «دمى على كفى» رمزاً لعمق المأساه وبحثاً عن المجد فى جوّ من الحنين

ص:۲۵۹

۱- (۱) المصدر: ص ۱۳-۱۷.

والعويل، وإصراراً على العوده للقدس السليبه:

ونفسى يا ذوى القُربى

ينازعها.. وإن شيدتُ ملكك الله فى الغربه

ينازعها حنينُ السفر للأوبه

ونفسى رغم دهر البين/ رغم الريح والمنفى

ورغم مراره التشريد،

تدرك.. تدرك الدربا!!..

فالشاعر يلجأ إلى الرمزيه التى من سماتها أنّها تشرك المتلقى فى العمل الأدبى فتصبح الفكره الشعريه وليده لفكر الشاعر وفكر المتلقى وخيال الشاعر وخيال المتلقى فى اندماج والتحام جميل، فالرمز يستدعى الحركه فى المتلقى ويدفع إلى التجاوب مع العمل الأدبى تجاوباً فعلياً حيّاً يعطى العمل الأدبى قيمه أكبر.(١)

وأكثر الشعراء الذين عمدوا إلى هذا الأسلوب فى موضوعنا: خالد أبو خالد، نجيب جمال الدين، سميح القاسم، محمود درويش، فدوى طوقان، نزار قبانى وغيرهم.

ويمكن أن نقول فى هؤلاء كما قال الدكتور أسعد على «بأن الكلمه بل اللغه هى إيحاء وتكمن قيمتها بما توحى وبما يشيع فيها من إحساسات ومشاعر وعواطف، تختلف من شخص إلى شخص ومن موقف إلى آخر، ولا يخفى ما تمنحه الكلمه من بُعد إيحائى إذا ما استعان الإنسان بها لتفصح عن ذات نفسه، وتظهرها وتظهر لها حقائق الناس والأشياء».(٢) فالشاعر من خلال الرمز يوحى للآخرين ما لا يمكن دونه.

١- (١) هيام رمزى، فدوى طوقان شاعره أم بركان: ص ٣٢.

٢- (٢) صناعه الكتابه، الكتاب الثانى، ص ٩٣.

۴. شعر التفعيله

شهد الشعر فی العصر الحديث مراحل متعدده أثّرت فيه المتغيرات الزمانيه والمكانيه انتهت فی بدايه القرن العشرين إلی ما يسمی بالشعر الحر أو الأحری شعر التفعيله، وسواء كانت الدواعی التی تمخض منها هی رواسب الحركه الرومانسيه أو آثار الأدب والثقافه الغربيه أو هما معاً، وسواء كانت النواه الأولی هی قصيده «هل كان حباً» عام «۱۹۴۶ م» للشاعر العراقی بدر شاكر السياب، أو قصيده «الكوليرا» عام (۱۹۴۷ م) للشاعره العراقيه نازك الملائكه كما رجحه الكثير من النقاد «لأنه يدل علی وعی وتصميم لدی نازك أكثر مما كان لدی السياب»(۱) وهجومها العنيف علی الشعر العمودی يمكن أن يكون دليلاً ـ أيضاً إذ تقول: «ألم تصدأ لطول ملامستها الأقلام والشفاه منذ سنين وسنين؟ ألم تألفها أسماعنا وترددها شفاهنا، وتعلكها أقلامنا حتی مجتها، منذ قرون ونحن نصف انفعالاتنا بهذا الأسلوب حتی لم يعد له طعم ولا ـ لون، لقد سارت الحياه وتقلبت عليه الصور والألوان والأحاسيس ومع ذلك ما زال شعرنا صوره لقفا نبك، وبانت سعاد، والأوزان هی هی والقوافی هی هی، وتكاد المعانی تكون هی هی ومهما يكن له من أنصار وخصوم،(۲) تعتبر التفعيله الركيزه والركن الأساس فی هذا النوع من الشعر، ومن هذه الزاويه لا يختلف شعر التفعيله عن الشعر العمودی إذ يشترك معه فی التفعيلات الثمان - فعولن، فاعلن، فاعلاتن، مستفعلن، متفاعلن، مفاعيلن، مفاعلتن، مفعولات - إلا أنه يمتاز عنه من ناحيه الشكل والمضمون، ويری

۱- (۱) شلتاغ عبود شراد، تطور الشعر العربی الحديث: ص ۲۲۸.

۲- (۲) أبرز أنصاره هم: بدر شاكر السياب، نازك الملائكه، عبد الوهاب البياتی، بلند الحيدری، عبد الصبور، أحمد عبد المعطی حجازی، نزار قبانی، خليل حاوی وأمّا نقاده فأبرزهم:توفيق الحكيم، أنور الجندی، عمر فروخ والعقاد وقد ذكر الدكتور شلتاغ عبود شراد بعض دلائل الفريقين فی كتابه تطور الشعر العربی الحديث: ص ۲۳۲-۲۳۳.

الدکتور شلتاغ عبود شراد بأن هذه التجربه الشعریه «صبت دماً جدیداً فی شرایین الشعر العربی من ناحیه القیم الفنیه التی استطاعت أن تحمل هموم إنسان المنطقه وآماله».(۱)

ومن المعلوم أن حدیثنا لیس فی هذا الصدد، إذ نرید أن نعرف صدی القدس فی شعر التفعیله، وأثر شعر التفعیله علی قضیه القدس، ومن هم روّاده من الشعراء فی محور البحث.

لا ریب أن موضوع القدس من الموضوعات المهمه فی الشعر الفلسطینی والجدیده فی الوقت نفسه، حیث التهبت صدور الذین کتبوا شعر التفعیله أمثال: محمود درویش، توفیق الصائغ، فدوی طوقان، توفیق زیاد، خالد أبو خالد، نزار قبانی، علی عقله عرسان، سلیمان العیسی، سمیح القاسم، معین بسیسو، سلمی خضراء الجیوسی ونجیب جمال الدین بهذا الموضوع، وقد انتصر هذا الفن للقدس المغتصبه وبعد نکسه حزیران إذ کان لها الوقع الشدید فی نفسیه الشاعر فلجأ لشعر التفعیله لما فیه من حریه التعبیر ووحده نغم وموسیقی کما نراه عند نزار قبانی وغیره من الشعراء، ولعل هذا النوع من الشعر یمثل ۸۰ إلی ۹۰ من شعر القدس بعد عقد الستینیات علی هذا الأسلوب والفن الشعری.

فللشاعر نزار أکثر من سبع قصائد، سجّلت القدس فی قلب الأیام والتاریخ وکلّها علی نظام التفعیله(۲) حیث یتحرر الشاعر فی شعر التفعیله من قیود الأوزان والقافیه، ولعل هذا التحرر یناسب إحساس وعواطف الشاعر والمتلقی أکثر فی العصر الحدیث. نلمس هذا فی شعر نزار قبانی أکثر من غیره إذ تحرر من القیود الظاهره والباطنه، ألیس هو القائل فی قصیده «الخطاب»:

۱- (۱) المصدر: ص ۲۳۹.

۲- (۲) نزار قبانی، الأعمال السیاسیه: ۵۹/۳، ۱۳۷، ۴، ۱۵۹، ۱۹۷، ۲۵۹ و ۲۳۰.

خَدّرونی..

بملایین الشعارات.. فَنمت

وأرَوْنی القُدسَ فی الحُلْمِ.. ولَمْ

أجِد القدسَ، ولا أحجارها، حین اسْتَفَقْتُ

فاعذرونی

أیُّها السادهُ، إن کنتُ ضحکت..

کان فی وُدِّی أن أبکی

ولکنّی ضحکت..

کنت فی المغفر مکسُوراً کبلّور کنیسه

نافخاً (سوره یاسین) بوجه القاتلین..

لم أکن أملک إلا الصبر..

(والله یحب الصابرین)

وجراحی کبساتین أریحا

یُمطرُ الیاقوتُ منها..

ویضوع الیاسمین..

و فلسطین علی الأرض حمامه..

سقطت تحت نعال المخبرین(۱)

فکما تری نازک الملائکه «بأن الشاعر غیر ملزم باتباع طول معین لشطره وهو کذلک غیر ملزم بأن یحافظ علی خطه ثابته فی القافیه، فما یکاد یبدأ قصیدته حتی تخلب لبه السهوله التی یقوم بها، والموسیقیه التی تمتلکها الأوزان الحره».(۲)

١- (١) نزار قباني، الأعمال السياسيه: ٣/٢٧١-٢٧٣.

٢- (٢) قضايا الشعر المعاصر: ص ٢٨-٢٩.

أمّا الشاعر الفلسطينى «محمود الحامد» الذى غلب شعر التفعيله عنده، فوردت القدس فى شعره وهو يعبّر عن مكانتها بزفرات وحنين قلّ نظيره، من أجلها يقدّم الغالى والرخيص ففى قصيده «لحفنه من بُرتقال الجليل» يقول:

أقول: أكتبينى

إذا متُّ عبر نهوض الخمائل

هناك ببياره البرتقال

قتيلاً من العشق ماتَ

وقاتل

إنّ الذينَ

يُحارون هذا الجنون قلائل

فكم كنتُ أو غل فى الورد عشقاً

وأقرأ فى القمح سرّ التفاؤل

وإمّا تخاصم من أجل ليمونهٍ عاشقوها

همستُ: كفى..

لا أحب المشاكل

ولكن..

لأجلك يا زعترَ القدس

نمشى على النار،

نعبرُ فى المستحيلِ ونمضى

إلى الصُبح.. لا هَمَّ

أن نَغْدُوَ البرقَ عند الصَّهيلِ،

وأن تستحيلَ دمانا مشاعل

وهذا بريدُ الحبيبةِ يأتى

ص:۲۶۴

سريعاً وعاجل:

تعالَوا..

كفى غربه فى المنافى

فما زال فى الصَّدرِ عشقٌ فتيٌّ،

وما زال فى الجُرحِ نبضٌ يُقاتل!!!(١)

فالشاعر يحن للقدس ويطرب لها إذ تجرى فى شرايينه مجرى الدم حتى أصبحت ذات دلالات وإيحاءات رمزيه بين العاشق والمعشوق، والإيقاع الصوتى للقصيده جعل الصوت منسجماً مع المعنى ليزيده عمقاً وحلاوه وطلاوه، ورنّات الموسيقى جعلت القصيده لها موجات ونغمات متسقه ومترابطه.

وإذا أردنا أن نلخّص أهم العلل والأسباب التى سوّغت شعر التفعيله فهى:

١. الذاتيه وحريّه التعبير فى هذا الفن الشعرى.

٢. اتّساعه للبيان وبثّ الأفكار والمعتقدات لا سيما الاجتماعيه والسياسيه منها.

٣. عدم وجود القوانين والقيود كما هو فى الشعر التقليدى.

۴. البساطه والسهوله والوضوح فى التعبير والألفاظ.

۵. اقتصار المسافه بين الشاعر والمتلقى.

لذا شاع هذا الأسلوب الشعرى خصوصاً فى أرض الشام بعد الستينيات وساعد شعراء القدس لإحياء القضيه وحفظ المدينه، وهى أيضاً ساعدت شعراءها لتفجير هذا الفن والأسلوب ورونقه على أحسن وجه.

۵. القدس والشعر المنثور

أجمع الأدباء على أن أركان الشعر هى الأوزان والقوافى، وحتى شعر التفعيله لم يلغ هذه الأركان بشكل تام، ولكن ظهرت فى العالم العربى منذ

١- (١) محمود الحامد، شهقه الأرجوان: ص ۴۴-۴۶.

الخمسينيات وتحديداً فی لبنان، حركه شعريه تسمی النثر شعراً وتدعو إلی إلغاء «التفعيله» أيضاً، ومن هنا تحولت قصيده النثر إلی «ثوره علی الإنجازات التی حققتها المرحله الأولی من شعر التفعيله علی يد روّادها من مثل نازك الملائكه والسياب وصلاح عبد الصبور حيث أتت علی كل قاعده تتصل بفن الشعر فجعلتها كالرميم، فلا وزن ولا قافيه ولا قيم فكريّه ولا أهداف إنسانيه وإنما سيل من المفردات وركام من الأوهام لا يعرف لها رأس ولا رجل».(١)

ويعتقد روّاد هذا الفن الشعری أمثال: جبران خليل جبران، محمد الماغوط، أنيس الحاج، توفيق صايغ، جبرا إبراهيم جبرا وأدونيس أحمد «علی سعيد» (أن الوزن والقافيه قيود عارضه علی الواقع الشعری تشل قدره الشاعر، يقول أدونيس «إنّ علی الشاعر المعاصر لكی يكون حديثاً حقاً أن يتخلّص من كل شیء مسبق، ومن الآراء المشتركه، إنّ هدف القصيده الحديثه هو القصيده نفسها».(٢)

فهم يعتقدون أن النثر المتحرر من القيود هو المطلوب لدی الشاعر المعاصر، وأما نزار قبانی فيری «بأن القصيده الحره هی اجتهاد، وقصيده التفعيله هی اجتهاد، وقصيده النثر هی اجتهاد ولا يجوز أن يطلق الرصاص عليها، بحجه أنها تقول كلاماً ليس له سند».(٣)

علی أيه حال فإنَّ شعر النثر من الأفضل أن لا يسمی شعراً لأنه أقرب إلی النثر الفنّی من الشعر، إذ لا نجد فيه الإيقاع القوی ولا الوزن ولا القافيه ولا يحرك الأحاسيس والعواطف، ولو كانت له قيمته الفنيه الخاصه به.

وأمّا القدس فلم يكن لها نصيب يعتنی به فی قصيده النثر حيث تتبعنا دواوين شعراء محور البحث إلا إن هناك محاولات قام بها بعض الشعراء،

١- (١) شلتاغ عبود شراد، تطور الشعر العربی الحديث: ص ٢٣٧.

٢- (٢) أدونيس، زمن الشعر: ص ٤٢.

٣- (٣) محيی الدين صبحی، الكون الشعری عند نزار قبانی: ص ٢٠.

وكنموذج على ذلك نأخذ قصيده «كوابيس الليل والنهار» للشاعره فدوى طوقان حيث حاولت مزج شعر التفعيله بالشعر النثرى، قائله:

فى صحف القدس اليوميه أرمى عينىّ

أقرأ خبراً كالأخبار:

بيت لحم - فوجئ المزارعون فى خربه بيت سكاريا

بمجموعه من الجرافات خرجت من مستعمره كفارعصيون

وشرعت فى قلع المزروعات فى أرض تلك البلده

أقرأ شكوى مرفوعه

لوزير الحرب:

«إبراهيم عطا الله من بيت سكاريا شمال كفار عصيون - قضاء

بيت لحم.

الموضوع: مصادره أرض زراعيه تخصنى.

أحيطكم علماً بأن الأرض التى أملكها والتى تقع فى بيت

سكاريا، وهى مصدر رزقى ورزق ٢١ شخصاً أعيلهم من

فلاحتها، قد تم الاستيلاء عليها، ليله أمس الأول حيث قامت

الجرافات بإزاله المحصول الذى عرقت من أجله طيله عام

كامل أناشدكم باسم أطفالى الذين سيموتون جوعاً أن تتخذوا

اللازم لإعاده الأرض التى لن أقبل عنها بديلاً أو تعويضاً»

ذات الأخبار..

لا شيء جديد

لا شيء جديد فى الأخبار

لاشيء مثير

يغشانى الغثيان المرّ

ص:٢٦٧

يا دودةَ علقٍ فی قلبی تغزو قلبی

وتظلُّ تمصُّ دماءَ القلب!

ما هذا ما هذا یا رب؟

ویردُّ الصمت.(۱)

موسیقی شعر القدس

اشاره

منـذ وجد الشـعر وجدت معه الأوزان، فالشاعر لا ینطق کلامه فی لغه عادیّه وإنما ینطقه موزوناً، وکأنّه یلبّی فینا غریزتنا أو فطرتنا الأولی قبـل أن تنشأ اللغات، إذ کنا نتصایـح بأصواتنا، وکأنما کل صیـحه کانت کلمه أو قل کانت قصـیده، نعبّر بها عن مشاعرنا وإحساساتنا، تلک الإحساسات والمشاعر التی کانت تشبه محیطاً منجمداً.(۲) ویتألف الشعر کما یری الدکتور جابر عصفور «من کلمات تنتظم فیما بینها انتظاماً مخصوصاً، تبعاً لتعاقب الحرکه والسـکون، مما یصـنع الشعر ویعد من جمله جوهره»(۳) ولهذا فإن موسیقی الشعر تعد من أبرز سماته کما کان یعتقد السلف من علماء العربیه حیث لا یرون میزه بین الشعر والنثر إلاّ الوزن والقافیه. «وللشعر نواح عدّه جمالیه، أسرعها إلی نفوسنا، ما فیه من جرس الألفاظ، وانسجام فی توالی المقاطع وتردّد بعضها بعد قدر معین منها، وکلّ هذا هو ما نسـمیه بموسیقی الشعر»(۴) وهکذا اهتم النّقاد بقضـیه موسیقی الشعر التی تفجّرت بها قریحه الشعراء قدیماً وحـدیثاً. حیث ترنمت بها نفوسـهم لتظهر ما یختلـج فی صدورهم من شـعور وأحاسـیس، وقد التزم الشـعر العربی بموسـیقاه وزناً وإیقاعاً رغم محاوله الانفلات التی تعرض لها علی مر

۱- (۱) فدوی طوقان، الأعمال الکامله: ص ۴۵۴-۴۵۵.

۲- (۲) شوقی ضیف، فی النقد الأدبی: ص ۹۹.

۳- (۳) جابر عصفور، النقد الأدبی: ص ۲۹۳.

۴- (۴) إبراهیم أنیس، موسیقی الشعر: ص ۸-۹.

العصور الشعريه لا سيما بعد النصف من القرن العشرين الميلادى.

ويمكن أن تقسّم مراحل تطور الشعر العربى إلى ثلاث مراحل هى:

١. مرحله القصيده العموديه أو بما يسمى الشعر الخليلى ببحوره السته عشر.

٢. مرحله شعر التفعيله حيث تتكرر التفعيله فيه فى السطر الواحد أو تتكرر بعد عدد من السطور الشعريه.

٣. مرحله القصيده النثريه وهى أشبه ما يكون بالنثر لا الشعر. ومهما اختلفت التسميات فإن الإيقاع والوزن احتفظ بمكانته شده وضعفاً.

وحسب ما يرى عبد الحميد جيده أنه لا بُدَّ من التمييز بين نوعين من الموسيقى فى الشعر:

١. الموسيقى الخارجيه: وهى التى تتألف من الأوزان الشعريه المعروفه ومن القافيه.

٢. الموسيقى الداخليه: وهى التى تتألف من النغم الذى تجمع بين الألفاظ والصوره، أو بين وقع الكلام والحاله النفسيه للشاعر، وهذه مزاوجه تامّه بين المعنى والشكل، بين الشاعر والمتلقى(١) وكثيراً ما يستخدم فى الموسيقى الداخليه أنواع المحسنات البديعيه كالجناس، والتكرار والطباق ولزوم ما لا يلزم والتصريع وغيرها.

١. الموسيقى الخارجيه

أ) الوزن

تتشكل الموسيقى الخارجيه من الوزن والقافيه و «الوزن أعظم أركان حد الشعر» كما يقول ابن رشيق.(٢)

ص:٢٦٩

١- (١) عبد الحميد جيده، الاتجاهات الجديده فى الشعر العربى المعاصر: ص ٣٥٢.

٢- (٢) ابن رشيق، العمده فى محاسن الشعر وآدابه: ١ / ص ٢٦٨.

والملاحظ أنّ شعراء القدس اعتمدوا وحده الوزن والقافيه غالباً إلى النصف الأول من القرن العشرين أمثال محيى الدين الحاج عيسى، برهان الدين العبّوشى، عبد الكريم الكرمى، بدوى الجبل، سليمان العيسى، إلياس قنصل وغيرهم، ثم استمر بعضهم فى شعره العمودى إلى يومنا هذا، وهناك من نوّع فى قصائده بين القديم وشعر التفعيله أمثال نزار قباني، محمود درويش، فدوى طوقان، هارون هاشم رشيد، سميح القاسم، توفيق زياد، حسن البحيرى.

ونشاهد الميل إلى شعر التفعيله عند بعض هؤلاء أكثر – قباني، درويش على عقله عرسان، خالد أبو خالد، محمود حامد، نجيب جمال الدين، سلمى خضراء الجيوسى فرجحوا شعر التفعيله على غيره غالباً.

فمن الفئه الأولى التى سلكت الشعر العمودى، قصيده الشهيد عبد الرحيم محمود «الشهيد».

سأحمل روحى على راحتى وألقى بها فى مهاوى الردى(١)

وهى على البحر المتقارب التام.

ففى شعر هذه الفئه قد بدت ملامح التغير والتجدد فى الشكل والمضمون والأغراض. واللغه الشعريه تبرز فى شعر القدس فى الأقطار الثلاثه «سوريه – لبنان – فلسطين» إلا أن الوزن الخليلى كان هو المتبع.

وبعد ما شهد شعر القدس ظهور شعراء أمثال نزار قباني، محمود درويش، سميح القاسم، توفيق زياد، أخذ شعر التفعيله مأخذه فى هذه الأقطار فنظم الشاعر نزار قبانى ما يقارب ٨٠ من شعره على نظام التفعيله مقابل ٢٠ من الشعر التقليدى، فأنشد قصيده القدس على وزن تفعيله الرجز «مستفعلن»:

١– (١) الديوان: ص ١٣٠.

بَكَيْتُ.. حتّى انتهت الدُموعْ

صلّيتُ.. حتى ذابتِ الشُمُوعْ

ركعتُ.. حتّى مَلّنى الرُكوعْ

يا قُدْسُ.. يا مدينتى

يا قُدْس.. يا حبيبتى(١)

وهكذا نظم نزار قبانى قصيده «طريق واحد» على وزن تفعيله الرجز «مستفعلن»:

يا أيُّها الثُوارْ

فى القدسِ، فى الخليل، فى بيسانَ، فى الأنوارْ

فى بيت لَحْم..

حيثُ كنتمْ أيُّها الأحرار...(٢)

وكذلك نظم قصائده «فتح»(٣) و «منشورات فدائيه»(۴) «حوار مع عربى»(۵) على وزن تفعيله «المتدارك» فعلن:

لو أنَّ بحيره طبريّا تعطينا بعضَ رسائلها..

لاحترقَ القارىءُ والصَفَحاتْ..

لو أن القدسَ لها شفهٌ، لا ختنقَتْ فى فمها الصلواتْ..

لو أنَّ..

وهكذا قصيدته «شعراء الأرض المحتله» على التفعيله نفسها.

١- (١) نزار قبانى، الأعمال السياسيه: ١٥٩/٣.

٢- (٢) المصدر: ص ٣٣۵.

٣- (٣) المصدر: ص ١٣٧.

۴- (۴) المصدر: ص ١۶۵.

٥- (٥) المصدر: ص ٢١٥.

وأمّا قصيده «الحب والبترول»(۱) فهی علی تفعیله الهزج «مفاعیلن» وقصیده «الخطاب»(۲) فهی علی تفعیله الرمل «فاعلا-تن». وهکذا أکثرَ الشاعر نزار قبانی من شعر التفعیله، لما فیها من حریه التعبیر والحماسه والعذوبه والرقه، لتساعد شاعر القدس لإظهار ما فی صدره المتفجّر ونفسه المتأججه.

ب) القافیه

یری ابن رشیق أن القافیه لا تقل عن الوزن لأن الشعر مرکب من عنصرین اثنین هما الوزن والقافیه ولا یکون الشعر شعراً حتی یکون له وزن وقافیه.(۳)

«وسمیت القافیه قافیه لأنها تقفو أثر کل بیت»(۴) وللقافیه أنواع أهمها:

أ) القافیه المتمکنه وهی التی یبنی البیت کله علیها.

ب) القافیه القلقه وهی یأتی بها الشاعرلتمام الوزن فقط.

ج) القافیه المقیده وهی التی یکون رویّها ساکناً فیتخلص الشاعر من الإعراب فی آخر البیت.

د) القافیه المطلقه وهی التی یکون رویّها متحرکاً.

لذا تنوّعت القوافی فی شعر القدس لتکون موسیقی الشعر متنوعه ولتظهرقوه شاعر القدس وعدم ضعفه، فعمد نزار قبانی فی شعره العمودی إلی استخدام الحروف القوّیه لتکون قافیه شعره، أمثال الهمزه والباء والنون، فنلاحظ الهمزه فی قصیدته «إفاده فی محکمه الشعر» وهی من البحر الخفیف إذ یقول:

۱- (۱) المصدر: ص ۵۹.

۲- (۲) المصدر: ص ۱۵۹.

۳- (۳) ابن رشیق، العمده: ص ۱۳۹.

۴- (۴) المصدر: ص ۱۵۹.

لا يمينٌ يجيرُنا أو يسارٌ تحتَ حدِّ السِكّين نحنُ سَواءُ

لو قرأنا التاريخَ.. ما ضاعتِ القدسُ وضاعتْ من قبلها (الحمراءُ)..

يا فلسطين.. لا تزالينَ عَطْشى وعلى النفْطِ نامتِ الصحراءُ(١)

وقافيه حرف الباء فی قصیدته «من مفکره عاشق دمشقی» من البحرالبسیط:

وخلَّفُوا القُدْسَ فوق الوحل، عاريةً تُبيحُ عزَّةَ نهديها لمن رَغِبَا

أيا فلسطينُ.. مَنْ يُهديكِ زَنْبقةً ومَنْ يُعيدُ لكِ البيتَ الذی خَرِبَا(٢)

لها وقعها الموسیقی فی النفوس وجمالها الشعری الفرید.

وعلی القافیه نفسها جاءت قصائد هارون هاشم رشید «دعوه إلی الکتابه»(٣) وزیتونه(۴) وفدائیون لا إرهابیون(۵) وکذلک قصیده «نشید الجهاد»(۶) و «طفل فلسطینی ثائر»(٧) للشاعر عبد الله یورکی حلاق.

وأمّا قافیه الهمزه فجاءت علیها قصائد الشاعر یوسف الخطیب «عرش الفداء»(٨) وقصیده الشاعر هارون هاشم رشید «من قلبی»(٩) وقصیده «یا شاعری لا تقبل العزاء»(١٠) وأمّا قافیه النون فنظم علیها الشاعر حسن البحیری قصیدته

١- (١) نزار قبانی، الأعمال السیاسیه: ۴٠۵/٣.

٢- (٢) المصدر: ص ۴٢٢.

٣- (٣) هارون هاشم رشید، ورده علی جبین القدس: ص ٩١.

۴- (۴) هارون هاشم رشید، مفکره عاشق: ص ٩٨.

۵- (۵) هارون هاشم رشید، طیور الجنه: ص ١٣۵.

۶- (۶) عبد الله یورکی حلاق، حصاد الذکریات: ص ۵۵.

٧- (٧) عبد الله یورکی حلاق، المصدر: ص ١٩١.

٨- (٨) یوسف الخطیب، العیون الظماء للنور: ص ٧٩.

٩- (٩) هارون هاشم رشید، طیور الجنه: ص ١۵١.

١٠- (١٠) المصدر: ص ١٢۵.

«عرس الشهيد»(۱) ثم يأتی استخدام قافيه حرف الدال بنسبه كبيره وذلک لدلالتها على الوطنيه غالبا «حدود، أمجاد، نشيد» والقيم الإسلاميه «شهيد، صمود» ثم قافيه حرف الحاء لتدل على النضال القومى والإسلامى «سلاح، كفاح» وهكذا، فشعراء القدس، ربّما استخدموا هذه الحروف فی قوافی شعرهم لما فيها من نبره قويّه وحجّه وعمق وقد أشار إلى خصائص بعض الحروف «العلايلى» فی المقدمه اللغويه.(۲)

إشعاراً منهم بإعاده الأرض بما فيها القدس ولو عن طريق القوّه.

۲. الموسيقى الداخليه

أ) الإيقاع

يرى ابن سينا «إنّ الشعر هو كلام مخيّل مؤلف من أقوال موزونه متساويه، وعند العرب مقفاه، ومعنى كونها موزونه أن يكون لها عدد إيقاعى، ومعنى كونها متساويه هو أن يكون كل قول منها مؤلفاً من أقوال إيقاعيه، فإنّ عدد زمانه مساو لعدد زمان الأخرى»(۳) والإيقاع عنده هو كل نقره ينتقل عليها إلى نقره أخرى فإمّا أن تنتقل فى مده لا تمحى فى مثلها عن الخيال صوره الأولى وإمّا ألا يكون، فهو يؤلّف من نقرات بينها مدد(۴) وقريب من هذا قول الفارابى «إنّ الإيقاع هو النقله على النغم فى أزمنه محدوده المقادير والنسب».(۵)

حيث بسط الكلام هناک فی أکثر من سبع وخمسين صفحه، ويمكن أن

۱- (۱) حسن البحيرى، لفلسطين أغنى: ص ۱۴۷.

۲- (۲) عبد الله العلايلى، المقدمه اللغويه: ص ۹۳-۹۲.

۳- (۳) ابن سينا، الشفاء، الفن التاسع: ص ۳۳ أيضاً أنظر: أرسطو، فن الشعر: ص ۱۶۱.

۴- (۴) ابن سينا، الشفاء: ص ۲۳-۲۵.

۵- (۵) محمد بن محمد الفارابى، الموسيقى الكبير: ص ۴۳۶.

تعبّر عنه بأنّه روح الشعر النابضه ونَفَس الشاعر وشاعريته التى تتكون من ذبذبات ونغمات موسيقيه تطرب لها أذن المتلقى ويرقص لها القارئ فرحاً أو عكس ذلك، كما نشاهد هذا فى قصيده «القدس» لنزار قبانى:

يا قُدْسُ

يا مدينهَ الأحزانْ

يا دمعهً كبيرهً تحولُ فى الأجفانْ

مَنْ يوقفُ العْدوان؟

عليكِ، يا لؤلؤهَ الأديانْ

مَنْ يغسل الدماءَ من حجاره الجُدرانْ؟

مَنْ يُنْقِذُ القرآنْ؟

مَنْ يُنْقِذُ الإنسانْ؟(۱)

تكرار «مَنْ» السؤاليه، تفعيله بحر الرجز «مستفعلن» ثم الارتفاع بالألف - العدوانْ، الأديانْ، القرآنْ، الإنسانْ، - تسكين نون القافيه و.. جعل لها موسيقى وإيقاعاً خاصاً ممّا تركها تتردد عبر الإذاعات صباحاً ومساءً وهكذا قصيده سميح القاسم «سقوط الأقنعه»:

يا مجلس الأمن القديم

صوتى يجيئك زهره حمراء

من حقل الجريمه

فإلى اللقاء.. إلى اللقاء..

يا مجلس الأمن القديم

أراك فى القدس القديمه

۱- (۱) نزار قبانى، الأعمال الكامله: ۱۶۲/۳.

فوحده النغمه تكررت، وتعالت الحركات والسكنات على نحو منتظم فى القصيده:

– حمراء، اللقاء – الجريمه، القديمه –.(١)

ب) التصريع

وهو أنْ يكون رويّ شطرى البيت متماثلاً، وعاده يستخدم فى مستهل القصيده ليعطى المتلقى شعوراً خاصاً لما فيها من حلاوه وأثر جميل. ومثال ذلك قصيده نزار قبانى «من مفكره عاشق دمشقى».

سَقَوا فلسطينَ أحلاماً ملوَّنهً وأطْعَموُها سخيفَ القوْل، والخُطَبَا

عاشوا على هامشِ الأحْدَاثِ، ما انتفضُوا للأرض منْهُوبَهً، والعِرْضِ مُغْتَصَبَا

وخلّفوا القُدْسَ فوق الوحل، عاريهً تُبيحُ عزَّهَ نهديها لمن رَغِبا(٢)

فكلمات «والخطبا، مغتصبا، رغبا» منحت القصيده موسيقاً داخليه تشعر نفس المتلقى بها وتبوح معها. ومن هذا النمط قصيده الشاعر سليمان العيسى «الجرح الصارخ»:

أنت بالمَأْساهِ أَدرى، فاروها وأزح عن «مجرميها» الحُجُبا

فى فُوادِ القُدسِ جُرْحٌ صارخٌ لم يزلْ يشكو العَدُوَّ الأقربا(٣)

ج) التكرار

وهو إظهار جهه مهمه فى البيت أو الشطر العربى لغرضٍ، وقد فشى استخدامه فى الشعر الحديث، وقد مرّ الكلام عنه فى بدايه هذا الفصل – وأنوّه إلى أقسامه هنا لارتباطها بالموسيقى الداخليه، وأقسامه هى:

ص:٢٧۶

١– (١) سميح القاسم، الأعمال الكامله: ٣٩٣/١.

٢– (٢) نزار قبانى، الأعمال السياسيه: ۴٢١/٣.

٣– (٣) سليمان العيسى، فلسطينيات: ص ٣٢.

۱. التکرار البیانی

وهو التأکید علی کلمه أو عباره معینه کما فی قصیده «الرّحْلَتان» للشاعر نجیب جمال الدین:

بالقُدس صلّی وقد صَلَّی بها عُمَرٌ

هَلْ کُلُّ لامِعَةٍ صفراء

من ذَهَبِ؟

بالقُدْسِ صلَّی صَلاهَ العید

مُبْتَهجاً بالسَّلْمِ.. بالنَّصْر..

بالمرْحَی!.. بَلا تَعَبِ...(۱)

فبهذا التکرار بیّن الشاعر وضع القدس فی الحاضر والماضی وفرق الصلوات فیها.

۲. تکرار التقسیم

وهو تکرار عباره أو کلمه فی آخر کل مقطوعه شعریه. ونری هذا النوع من التکرار عند الشاعر هارون هاشم رشید فی قصیدته «هذا العالم»:

وترکت مدینه القدس

تغوص فی الأظلام

تغرق فی القتام

وقیل عام القدس

هذا العام(۲)

۳. التکرار اللا شعوری

وهو أن یأتی فی حاله شعور عمیق یصل إلی درجه المأساه واللا شعور،

١– (١) نجيب جمال الدين، قصائد إلى عاصمه المدن: ص ٩٧.

٢– (٢) هارون هاشم رشيد، مفكره عاشق: ص ١٨–١٩.

فيرفع مستوى الشعور لدى المتلقى، فمن الممكن أن تتكرر لفظه أو عده ألفاظ أو حتى بيت شعر بكامله.

ومثال ذلک قصيده نزار قبانی «شعراء الأرض المحتله» إذ تکرر هذا البيت مرّات.

شعراء الأرض المُحتلَّهْ

ما عاد لأعصابی أعصابْ

حُرُماتُ القُدْس قد انتهکتْ

وصلاحُ الدين من الأسلاب

ونُسمِّی أنْفُسَنَا کُتَّابْ؟؟(۱)

وهکذا قصيده الشاعر علی عقله عرسان «يا راغب قم»(۲) حيث کرّر فيها «للقدس طريق من أرنون» عدّه مرات وقصيده الشاعر سميح القاسم «من القدس العتيقه»(۳) وهذه الظاهره لا تکاد تُحصی فی شعر القدس.

د) الجناس والطباق

من الموسيقی الداخليه ذات الدور المهم «الجناس» وهو تشابه کلمتين مع اختلاف المعنی ونجد هذا فی قصيده نزار قبانی «مفکره عاشق دمشقی» إذيقول:

هل من فلسطينَ مکتوبٌ يطمئُننی عمَّنْ کتبتُ إليه، وهو ما کَتَبَا(۴)

وأمّا الطباق:

ص:۲۷۸

۱- (۱) الأعمال السياسيه: ۱۵۷/۳.

۲- (۲) الأعمال الشعريه: ص ۳۷۱.

۳- (۳) الأعمال الکامله: ص ۲۸۴.

۴- (۴) نزار قبانی، الأعمال السياسيه: ۴۲۲/۳.

فهو الجمع بين لفظتين متقابلتين فى المعنى، والمثال على هذا قصيده الشاعر نفسه «منشورات فدائيه»(۱) وأيضاً قصيده الشاعر بدوى الجبل «من وحى الهزيمه»:

هل دَرَتْ عَدْنُ أن مَسْجدَها الأقصى مكانٌ من أهله مهجورٌ

أين مسرى البُراقِ، والقُدْسُ والمَهْدُ وبيتٌ مَقدّسٌ معمورٌ؟(۲)

رغم النظريات المتنوعه حول الشعر بشكل عام، إلّا إنّ شعر القدس امتزج باللغه والمضمون وجعل القدس متحركه موّاجه تعيش الضمائر الإنسانيه والقلوب النقيّه، والملاحظ أن موسيقى شعر القدس اختلفت عن غيرها لأنها موسيقى ألم وحزن، وجع وبكاء تاره وحماسه وثوره، نضال وكفاح، موت من أجل الحياه وحياه من أجل العزه والشموخ تاره أخرى.

بعض نتائج ما توصل إليه البحث فى هذا الفصل

- استخدم الشعراء اسلوب الرمزأكثر من الأسلوب القصصى لا سيما فى الأراضى الفلسطينيه المحتله، فعمد إليه الشاعر هرباً وخوفاً من العدو ولما فيه من جمال فنى وغناء مضمونى.

- يظهر أن نصيب القدس من الشعر المسرحى قليل جدا.

- بروز ظاهره التكرار فى شعر القدس أعطته موسيقى خاصه علاوه على معانيها المتنوعه والمقصوده.

- استخدم الشعراء الذين قالوا شعراً فى القدس «الاستفهام» بشكل واسع جداً لإظهار مظلوميه القدس وفلسطين تاره، ولبيان همجيه

۱- (۱) المصدر: ص ۱۹۵.

۲- (۲) الديوان: ص ۱۹۵.

وقساوه الاحتلال تاره أخرى، أو للإيقاظ أو التقريع.

- امتاز شعر القدس بالموسيقى والإيقاع المُبكى والحزين جداً.

- اتسمت قوافى شعر القدس بالقوّه (قافيه الهمزه) وبدلالتها على القوميه والقيم الإسلاميه (قافيه الدال - أمجاد - صمود - مهاد) وبدلالتها على النضال والمقاومه (قافيه الحاء - كفاح - سلاح).

ص:٢٨٠

٣. فنون وخصائص شعر القدس

القدس والفنون الشعريه

١. الشعر الغنائى

الشعر الغنائى هو أغنيه الإنسانيه ورسالته التى يتغنّى بها، وفنّ يعبّر به عن أحاسيسه وعواطفه، فرحه وحزنه، حنينه وآلامه، سعادته ومأساته، فالقصيده الغنائيه هى «تجربه معينه عاشها شاعر معين، وهى تجسيد لموقف إنسانى واحد، وتعبير عن الحاله النفسيه والشعوريه لشاعر واحد، فهى تجربه يخضع فيها الشاعر لأجواء خلقها لنفسه، بمحض إرادته، فهى خلاصه من عناصر الفكر، والشعور والوجدان الذاتى، المتصله بنفسيه الشاعر»(١) فهو يتحدث عن الأشياء ليخلق منها صوره متآلفه، متصله، مترابطه، تنفجر من أعماق وجدانه وأحاسيسه وعواطفه، فيجسد أمام المتلقى تلك الأشياء فيعيشها هو كذلك ولقد اتجه جل شعراء القدس إلى هذه الحاله الشعوريه، فغنوا للقدس وتغنوا بها لا سيما فى العقود الأولى من الاحتلال الصهيونى،

ص:٢٨١

١- (١) على جابر المنصورى، معجم: ص ٢٨.

كما نرى فى قصيده «عرس المجد»(١) للشاعر عمر أبو ريشه:

يا روابى القدس يا مجلى السنا يا رؤى عيسى على جفن النبى

وهكذا قصيده «المدينه الحزينه» للشاعر هارون هاشم رشيد إذ يقول:

وقفت فى أبوابها

بكيت فى أعتابها

سجدت فى محرابها

مدينه القدس التى

تضىء من عذابها

عشقتها، أحببتها

سكنت فى أهدابها

فديت كل رملهٍ

تضىء من ترابها

مدينتى مشدوههً

تهفوا إلى أحبابها(٢)

فـالجرس اللفظى والرنـه الشـعريه ذات الإيقـاع القـوى المنبثـق مـن أعمـاق نفسه الحزينه واضـح فى القصـيده، فالشـاعر أكـثرَ من استخدام الفعل الماضى ليدل على ارتباطه بالقدس وحنينه لها، فهو العاشق والمدينه معشوقته، يتغنى بها، يشعر بآلامها وأنينها، فلا يمكن لمرور الأيام والبعد أن يكونا حائلاً ومانعاً.

وأكثر شـعر القدس قبل السـبعينيات شـعرغنائى لا سـيما شـعر الحنين والشـعر الاجتماعى والقومى بشكل عام، والملاحظ أن شعر القدس الغنائى يتسم بالصدق العاطفى والجمال والانسجام والتعبير عن مشاعر الشاعر الجريحه،

١- (١) عمر أبو ريشه، الديوان: ٣٣٥/١.

۲- (۲) هارون هاشم رشید، مفکره عاشق: ص ۵۸-۶۱.

وقد تطور هذا الشعر ابتداءً من قصيده «الشهيد» للشاعر عبد الرحيم محمود.

وهو يستعمل البحر المتقارب الذى يقرب كثيراً من الروح الغنائيه الحماسيه:

سأحمل روحى على راحتى وألقى بها فى مهاوى الردّى

فإمّا حياه تسرُ الصديق وإما ممات يغيظ العدى

ونفسُ الشريف لها غايتان ورودُ المنايا ونيل المنى

وما العيشُ؟ لا عشتُ إن لم أكُنْ مخوفَ الجناب حرَام الحمى

إذا قلتُ أصغى لى العالمون ودوَّى مقالىَ بين الورى

لَعمرُكَ إنى أرى مصرعى ولكن أغُذُّ إليه الخُطى

أرى مصرعى دون حقّى السليب ودون بلادى هو المبتغى

يلذُ لأذنى سماعُ الصليل ويبهج نفسى مسيل الدما

لعمرُك هذا ممات الرجالِ ومن رام موتاً شريفاً فذا

فكيف اصطبارى لكيد الحقود وكيف احتمالى لسوْم الأذى

أخوفاً وعندى تهون الحياه وذلاًّ وإنّى لربُّ الإبا

بقلبى سأرمى وجوه العداه فقلبى حديدٌ ونارى لظى(١)

فى بدايه الاحتلال عام (١٩٤٨ م) توجّب على الشعراء تبنّى قضايا أُمّتهم وقبول المسؤوليه تجاه الوطن والوقوف بوجه العدو، فمن هنا برز الشاعر الملتزم الشهيد عبد الرحيم محمود ليحمل هموم أمته ليجاهد بالكلمه والبندقيه معاً، فتغنى لمجابهه العدو الصهيونى حاملاً ـ روحه على كفه يرى فى الموت حياه، حياه الوطن، حياه الحريّه.. وفعلاً ـ كتب حروف هذه القصيده بدمائه الزكيه فى معركه الشجره والتى تحولت إلى نشيد تردده الأجيال إلى

١- (١) عبد الرحيم محمود، الأعمال الكامله: ص ٣١.

یومنا هذا فکلما تعمّق الوعی الفردی ازداد الشعر الغنائی ازدهاراً وقیمه لیجعل قضیه القدس حیه علی طول التاریخ.

۲. القدس فی الشعر القصصی والدرامی

ما من شک أنّ الشعر القصصی والدرامی ترک أثره فی القدس وقضیتها، وفی المقابل کان للقدس الأثر البلیغ فیه أیضاً، وإذا راجعنا السیر التاریخی والتطوری لهذا الفن من الشعر نری نواته فی قصه امرئ القیس مع حبیبته:

سموتُ إلیها بَعْدَ ما نامَ أهْلُها سُمُوَّ حُبابِ الماءِ حالاً علی حالِ

فَقَالَتْ سَباکَ اللهُ إنک فاضِحِی ألستَ تَرَی السُّمَّارَ والناسَ أَحْوالِی

فقلتُ یمینَ الله أَبْرَحُ قاعداً ولو قَطَّعُوا رَأسی لَدیْکِ وأَوْصَالی(۱)

وکذلک حواره مع صاحبته عنیزه:

وَیَوْمَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خدْر عُنَیزَهٍ فَقَالَتْ: لَکَ الوَیْلاتُ إنَّک مُرجلی

تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الغبیطُ بنامَعاً عَقَرْت بَعیری یَا امْرَأَ القَیْسِ فَانْزِلِ(۲)

وأیضاً نری شعر عمر بن أبی ربیعه قائماً علی الحوار والقصه والدراما:

قال لی صاحبی لیَعْلَمَ ما بی أتُحبُّ القَتُولَ أُخْتَ الرَّبابِ

قُلتُ: وَجدْی بها کوج دک بالعذب إذا مامنعت طعم الشراب(۳)

ومن الحوار الذاتی قول أبی العتاهیه مخاطباً نفسه:

یا نفسُ إنَّ الحقَّ دینی فَتَذَلَّلی ثُمَّ استکینی

فإلی مَتی، أنّا غافلٌ یا نَفْسُ! وَیْحَکِ خَبِّرینی(۴)

ص:۲۸۴

۱- (۱) الدیوان: ص ۱۶۱.

۲- (۲) المصدر: ص ۱۱.

۳- (۳) الدیوان: ص ۱۰۶.

۴- (۴) أبو العتاهیه، دیوانه: ص ۲۸۳.

ولعل أوّل من طرق هذا الباب فی قضیه القدس وفلسطین هو برهان الدین العبوشی فی محاوله مسرح قصصی سماه «شبح الأندلس» فی مجموعه قصائد عمودیه سجل فیها جانباً من نکبه عام ۱۹۴۸ م. وکذلک الشاعر محیی الدین الحاج عیسی أطلق علی محاولته القصصیه اسم «أسره شهید» صور فیها مأساه النکبه أیضاً. هاتان المحاولتان کانتا البوادر الأولیه لاعتناق هذا الفن کما یقول عبد الرحمن الکیالی.(۱)

وقد نضج الفن القصصی والدرامی لشعر القدس من عقد لآخر، کما سلکه الکثیر من الشعراء أبرزهم: فدوی طوقان، محمود درویش، سمیح القاسم، نزار قبانی، توفیق زیاد. فهاهی الشاعره فدوی طوقان فی قصیده «إلی الوجه الذی ضاع فی التیه» إذ تحکی لنا قصه تصرّف المحتلین لمدینه القدس العذراء ولیلها الداجی ومآسی سکانها الأبریاء:

الأسی یهطل، لیل والقدس صمت

وقتام

حظروا التجوال، لا تطرق فی

قلب المدینه

غیر دقات النعال الدمویّه

تحتها تنکمش القدس کعذراء سبیه

وعلی الساحه طائر – خرق السهم جبینه

وعلی الارض دخان وحطام(۲)

ونری الشاعره نفسها فی قصیده ثانیه «إلی السید المسیح فی عیده»(۳) – بعد

۱- (۱) عبد الرحمن الکیالی، الشعر الفلسطینی فی نکبه فلسطین: ص ۳۳۸.
۲- (۲) فدوی طوقان، دیوانها اللیل والفرسان: ص ۸۲-۸۳.
۳- (۳) المصدر: ص ۳۴-۳۵.

ما حاول المتآمرون على القدس تبرير الاحتلال وإعطائه الشرعيه، كيف تفضح نوايا المحتل وتزيل التمويه عنه إذ تلجأ إلى الكتاب المقدس تستعير منه «قصه الكرّامين»(۱) الذين قتلوا الكريم وادعوا الكرم:

قتل الكرّامون الوارث ياسيد

واغتصبوا الكرم!

وخطاه العالم ريّش فيهم طيرُ الإثم

وانطلق يدنِّس طهر القدس

شيطاناً ملعوناً، يمقته حتى الشيطان!

يا سيد يا مجد القدس

من بئر الأحزان، من الهوه، من قاع الليل

من قلب الويل

يرتفع إليك أنين القدس

رحماک أجز يا سيد عنها هذى الكأس

فالصوره التى رسمتها الشاعره فى هذه القصه هى النموذج الحى للاحتلال الصهيونى.

وهكذا قد استخدم شعراء القدس الفن الدرامى من حوار مع الغير، وحوار داخلى ومسرحى فيصفون الحدث حتى يراه المتلقى واقعاً ملموساً، فهناک قصائد كثيره يتوفر فيها هذا النمط من الشعر.

كما هو الحال فى قصيده «سرحان يشرب القهوه فى الكافتيريا».(۲)

فهى قصيده حواريه على الأسلوب السينمائى المونتاج، وكذلک القصيده الدراميه للشاعر سميح القاسم «زنابق لمزهريه فيروز» ولأن الصوره لا تتم إلا

ص:۲۸۶

۱- (۱) الكتاب المقدس - العهد الجديد، إنجيل رقس: ص ۱۶۳.

۲- (۲) محمود درويش، ديوانه: ص ۲۲۹.

بنقلها كامله فها هو نصّها:

من أين يا صديقه

حملت المزهريه

والنظره الشقيه؟

من القدس العتيقه

ومن ترى رأيت

فى عتمه القناطر

من شعبنا المهاجر.؟؟

رأيت بنت عمك!

فى طاقه حزينه

تبوح للمدينه

بهمِّها وهمّك

رأيت فى الشوارع

ليلًا من العيون

وإخوه يبكون

وألف طفل ضائع

رأيت سائحين

وبائعاً يصيح

من يشترى المسيح

بحفنتى طحين؟

رأيت فى المداخن

عصفورةً جريحه

وطفلةً كسيحه

ص:٢٨٧

تبكى على المآذن!

ومرةً.. سمعتُ

مغنّياً مهاجر

يصيحُ.. يا ضمائر

أضعت يومَ ضعتُ؟

هناك يا ابن عمى

حملت المزهريه

والنظره الشقيه

وقصهً عن أمى

عن أمى الضحيَّه

لدى يا صديقه

زنابقٌ حمراء

ألوانها دماء

من القدس العتيقه!

زنبقهٌ حزينه

من دمٍّ بنت عمٍّ

وجدتُها مذبوحه

فى طاقه مفتوحه

تصيح بالمدينه:

قولى لابن عمى!

زنبقه بريئه

من مقله مفقوءَه

لكنها تنادى: أراك يا بلادى!

ص:٢٨٨

زنبقةٌ ريّانه

من طفله محروقه

تصيحُ: يا خليفه

مهلا ! أنا عطشانه!

زنبقه شريتها

من بائع مُجَندل

على سياجِ منزلِ

لكننى.. ما بعتُها!

إليك يا صديقه

زنابقى الحمراء

زنابقى الدِّماء

كى تكمُلَ الهديّه

وردٌ.. ومِزهَريَّه

من القدس العتيقه!(١)

القصيده حوار، مسرحىّ، له نغماته الخاصه، فالشاعر حشد فيه مجموعه من الصور غير مترابطه يمكن تفكيكها لولا الإطار العام والكلى للقصيده وذلك بهدف تقديم انطباع عام عن أحوال القدس وقضيتها، فالتصوير مباشر، والمشهد أليم ومأساوى.

لأن الدراما والأقاصيص فى شعر القدس يختلفان عن غيرهما، فالقصه: قصه شعب يذبح، تقطّع أوصاله، تسبى شيوخه ونساءه، قصه الدّم المسفوح والطفل المذبوح، هذا ما تقوله فدوى طوقان(٢):

١- (١) سميح القاسم، الأعمال الكامله: ص ٢٨٤-٢٨٧.

٢- (٢) فدوى طوقان، الليل والفرسان: ص ٢٨-٢٩.

أحبّتى الصغار، خلف الأنهار يا أحبتى

عندى أقاصيص لكم كثيره

غير حكايا السندباد، البحر،

غير قصه الجنّى والصياد،

وقمر الزمان والأميره!

عندى أقاصيص هنا جديده

أخاف لو أروى لكم أحداثها

أطفئ فى عالمكم ضياءه

أخاف أن أروّع الطفوله

أهزُّ فى جزيره البراءه

رواسى الأمان والسكينه

أخشى على دنياكم الصغيره

من قصص السجين والسجّان

من قصص النازىّ والنازيّه

فى أرضنا، فإنّها رهيبه

يشيب يا أجبتى لهولها الولدان

فشعر القدس القصصى هو شعر اعتبار وعبره، ممزوج بالواقع والحدث، من أجل مستقبل يحلم به الإنسان الفلسطينى المغلوب على أمره.

٣. القدس والشعر الملحمى

ويراد منه كما عرّفه «أميل يعقوب»(١) بأنه فن أدبى يقوم على الشعر البطولى، ويهدف إلى تعظيم شعور جماعى، دينى، أو وطنى، أو إنسانى، فى سرد

١- (١) أميل يعقوب، قاموس المصطلحات اللغويه والأدبيه: ص ٣٧٤.

قصصی رمزی، فقلّما نجد لهذا الفن الشعری أثراً فی شعر القدس، وذلك لأسباب غامضه نأمل أن يقدم الشعراء ملحمه لبطوله القدس وبطوله الشعب الفلسطينی فی القريب العاجل، إلاّ أنّ «السوافيری»(١) قد أشار إلی بعض الملاحم منها: ملحمه «النازحه» للشاعر اللبنانی محمد شمس الدّين وتشتمل علی ثمانيه وثلاثين نشيداً وعدد أبياتها ١٩٠ بيتاً وهی تحکی قصه نازحه أجلاها العدو عن وطنها برفقه أمها وابنها ولسوء الحظ فقدتهما نتيجه الجوع والتعب المفرط وبقيت هی تتجرع كأس الأسی والحزن لتموت تدريجاً، يقول الشاعر:

وسرتُ وفی مُهجتی غصَّهٌ تئنّ علی دمعه النازحه

وباتت فلسطين فی خاطری وأبصرتُ غادتها النائحه

ودنيا القيامه لاحت ظلالها حزانی وصخرتها الصادحه

وعادت إلی القلب غرناطه ومأساهُ أندلس الذابحه

فأطبقتُ جفنی علی دمعهٍ وما أشبه اليوم بالبارحه(٢)

الملحمه مطبوعه عام «١٩٥٠ م» يبكی بها الشاعرُ القدسَ ويقارنها مع الأندلس ويرسم صوره الاحتلال فيها ولکنه يركّز علی مأساه اللاجئين لا سيما الأمهات والأطفال فيها، هكذا تبدأ:

هذی بقايا أدمع قانيه ومهجه، مكلومه، داميه

لملمتها، والليل، فی صمته يرمقنی، والنجمه الساريه

.. ترسلها ليلی.. إلی ربها بقيه، من روحها، باقيه

باكيه القلب، ويا لهفتا علی أنينِ الغاده الباكيه!!

ص:٢٩١

١- (١) كامل السوافيری، الشعر العربی فی مأساه فلسطين: ص ٦٠٢-٦١٠.

٢- (٢) محمد شمس الدين، النازحه من صور نكبه فلسطين: ص ١٤.

أنشوده كئيبه فی فمی لكنها فی أضلعی داويه

أبكی بها القدس ومسری العلی وأندب الأندلس الثانيه..(١)

ثم الشاعر يستنجد بالتاريخ ويورّق صفحاته المجيده، فيری من المستحيل أن تدنّس قدس محمد صلی الله عليه و آله ومهد المسيح عليه السلام ويدوم الاحتلال قائلًا:

أيطلب صهيون مهد المسيح، ومسری محمد، قدس العُلی؟!

ونحن لنا المجدُ والخالدات من الدهر، نحن أسود الفلا

سنسحقه، أو يخوض البحار، ليلقی بها ليله الأليلا

تركنا، علی الدهر دنيا الحضاره تزهو، ومجداً غدا أولا

وذا ركبنا يتخطّی الحدود ليبطش بالغادرين الأُلی(٢)

ولهذا فالشاعر يشيد بالأمجاد ثم يذكر أن النازحه تقدّم زوجها قرباناً للوطن وللقدس والإسلام، لكنّها لن تنثنی مهما كلّف الأمر:

وكفّنته بالدموع السواكب، والهفتا للدموع السكيبه!

وخلفی أمٌ تشق الجيوب، وطفلٌ يذوِّب حزناً نحيبه

يقول له: «بابا»، إن اللئيم سيرجع فانهض ومزّق دروبه!(٣)

ثم يتخيل الشاعر الزحف العربی – والإسلامی – نحو فلسطين والقدس قائلًا:

فلسطين.. يا قدس الأنبياء ويا كعبه الظامئين الحجيجْ

أفيقی علی جلجل الانتصار، وصبّی العذاب. تميتی العُلوج..

سلامٌ علی قدسك المستظل، بنور السماء، وسرِ الثلوج...(٤)

فالشاعر قد أجاد فی تقديم الصور الجماليه حيث استاق صوره من

١- (١) المصدر: ص ٢٣.

٢- (٢) المصدر: ص ٢٩.

٣- (٣) المصدر: ص ٢٩.

٤- (٤) المصدر: ص ٣٩.

التاريخ، والمأساه، ومزج ما بين الخيال والواقع واستخدم التشبيه والاستعاره بشكل واسع ولكن الملحمه تبقى إلى حد ما غير ناضجه وفيها من الغموض فى المعنى مالا يخفى إضافه إلى استعمال الألفاظ العاميه أحياناً.

وذكر السوافيرى أيضاً ملحمه باسم النخيل للشاعر اللبنانى محمد على الحومانى ولكن الشاعر لم يتعرض للقدس فيها، ورأيت من المناسب أن يتوقف البحث عند ملحمه الشاعر الفلسطينى محمود الحوت وذلك لما فيها من دروس ومعان راقيه.

الملحمه تحتوى على سته وعشرين نشيداً، ويتألف كل نشيد من ثمانيه أبيات على وحده الوزن واختلاف القافيه، تحكى الملحمه حوادث نكبه عام «۱۹۴۸ م» بنقد لاذع وسخريه قاتله، يقول الشاعر:

سبعٌ من الدول الكبرى تناصرها شهراً، فكان الذى قد كان من خطب

أما الثلاثون عاماً وهى راويهٌ عن كبحنا أُمّتى قهرٍ ومستلب

فلم تنل من شباب راح يُضرمها فى وجه ملتجئ، منهم ومغتصب

ليت العروبهَ فى أبّان وثبتها لم تشهر السيف بتاراً ولم تثب

إذن لكان لها فى قلبهم هلعٌ وكان بعض الذى نبغيه من أرب(۱)

نلاحظ فى هذا النشيد الثانى من الملحمه كيف سخر الشاعر من المشاركين فى حرب فلسطين عام (۱۹۴۸ م) فنجده يحكى القصه والحماسه والفخر بأسلوب ملحمى، ولكنه بلغهٍ كمديّه مليئه بالسخريه ثم يعجب من الذى جرى وحدث فى القدس وفى فلسطين إذ لم يكن له شبه فى التاريخ، لذا يتساءل قائلاً:

فهل سمعتَ بحرب كالتى نكبوا بها فلسطين، واجتاحوا أهاليها

۱- (۱) محمود الحوت، المهزله العربيه: ص ۶.

وشتّتوهم ضحايا هائمين على وجوههم بعد تركين العدى فيها

وعاد كلٌّ إلى الأوطان تُرهقه رسالهٌ كان فى الأقصى يؤدّيها(١)

نشاهد بوضوح أن الشاعر سَلَكَ مسلك اللّوم واليأس ولكنه سرعان ما عاد ودعا إلى الوحده والتضامن ثم يأخذ بتحليل الفاجعه فيرى قضيه الاحتلال والنكبه هى نتيجه لمؤامره كان منذ الابتداء هدفها الأقصى والقدس وفلسطين فيقول فى النشيد الرابع عشر:

ما كنت إلّا على الأقصى مؤامره حقيره حاكها تفكير رعديد

وسار فيها صنيعها غايه لَؤُمت موحى إليه وموح بعد تمهيد

فسيّرا من شباب العرب خيرتهم إلى وغى واعتراكٍ غير محمود

وكلما اقتحم الميدان باسهم وأوغلوا، أقفاهم فى المواعيد!!(٢)

الملحمه محاوله جاده تناسب العواطف والأحاسيس وقد اختار الشاعر الألفاظ الواضحه والسهله، ولكن يظهر أنّها لا تتسم بالجزاله ويمكن أن يقال إنّ الشاعر كان فى بدايه محاولته الشعريه، وفيها من القوه مالا يخفى إذ استاق الشاعر صوره من الجرح النزيف وواقع الحدث وقد استعان بالماضى ليستدرك المأساه ويقدم بعض العلاج.

وقد ذكر الدكتور عبد الرحمن الكيالى ملحمه للشاعر الفلسطينى عصام حماد تحت عنوان «ديان بيان فو» وهى مخطوطه يخلّد فيها بطوله الشعب «الفيتنامى» حين أسقط قلعه «ديان بيان فو» ويتمنى «عصام» أن يسمع أصداء البطوله فى القدس، إذ يقول:

وانّ عليهم هنا واجباً يؤدّونه فى ثرى الفيتنام

١- (١) المصدر: ص ٧.

٢- (٢) المصدر: ص ١٨.

يمجده الغفر الحرفى الخافقين

فتسمع فى القدس أصداؤه

وتلمح آثاره فى العراق

وفى مكه وضفاف الخليج

ومصر وتونس والمغرب(۱)

خصائص وسمات شعر القدس

۱. الخطابيه المفرطه والمباشره

«الشعر الفلسطينى هو الذى أيقظ الغافلين ونبّه النيام، واستنهض الهمم، وقاوم الاستعمار وفضح أساليب ختله وخداعه، وكشف القناع عن دسائس الصهيونيه، وهو الذى نشر الوعى، وبصّر بالحقائق وتنبّأ بالكارثه وتوقّع المأساه واستلهم العبره من الأندلس، وهو الذى حضّ على الثوره وألهبَ المشاعر، وهو الذى مجّد البذل، وقدّس التضحيه وترنّم بالفداء وخلّد الشهداء»(۲) بالأحاسيس الساخطه وبصوت من التشنجات العاطفيه المتفجره، فمنذ وعد بلفور «۱۹۱۷» - الذى أحسّ فيه الشاعر بضياع الوطن والقدس إلى يومنا هذا - تماشياً مع التطورات والأحداث، لذا تفجرت نبره صوته عندما رأى الممارسات الصهيونيه وقسوه العدو، فاتّسم الشعر بالخطابيه المفرطه والنغمه الإرشاديه الوعظيه الشديده فى بدايه المؤامره واشتدت هذه اللهجه الخطابيه بعد نكبه عام «۱۹۴۸ م» لأنها الأكثر تناسباً مع الحدث، يبدو ذلك جلياً فى كثير من قصائد حسن البحيرى، محمود درويش، يوسف الخطيب، هارون هاشم رشيد، سليمان العيسى، نزار قبانى وغيرهم كما نلاحظ فى

۱- (۱) عبد الرحمن الكيالى، الشعر الفلسطينى فى نكبه فلسطين: ص ۳۳۹.

۲- (۲) كامل السوافيرى، الشعر العربى الحديث فى مأساه فلسطينى: ص ۳۰۱.

قصيده «الحب والبترول» للشاعر نزار قبانی قائلًا:

فبِعتَ القدسَ..

بعتَ الله..

بعتَ رمادَ أمواتِک..

کأنَّ حِرَابَ إسرائيلَ لم تُجهِض شقيقاتِک..

ولم تهدُم منازلَنا..

ولم تُحرِقْ مصاحفَنَا..

ولا راياتُها ارتفعت..

على أشلاء راياتک..

کأنَّ جميعَ مَنْ صُلبُوا..

على الأشجار فی يافا.. وفی حيفا..

وبئر السبَع.. ليسوا من سُلالاتک..

تغوصُ القدسُ فی دمها،

وأنتَ صريعُ شهواتِک(۱)

لا تخفى النبره الحاده والخطابيه المفرطه فی جمل وألفاظ هذه الأشطر من القصيده فهی أقرب شیء إلى الجَلد والضرب العنيف، فصوّر الشاعر أولئک المتهاونين بقضيه القدس، بأنّهم باعه القيم والمعتقدات والتراث، فهم بلا دين ولا تراث لهم ولا غيره ولا حميه، وذلک لأن القدس تغوص بالدم وهم يغوصون فی لذاتهم وشهواتهم، لهذا استخدم الشاعر الألفاظ العنيفه والمباشره فهی معرکه لفظيه استخدمت فيها کل وسائل التنديد والتجريح من أجل کرامه القدس، وقد استمرت إلى يومنا هذا وتستمر إلى تحريرها من الاحتلال الإسرائيلی.

ويأتی الشاعر المغترب هارون هاشم رشيد فی الدرجه الثانيه بعد نزار

١- (١) الأعمال السياسيه: ٣/٦٧-٦٨.

قبانی حیث اتَّصف شعره وامتاز بهذه الصفات کما نلاحظ فی قصیدته «الحریق»:

لیحترق کلامنا

لتحترق أقلامنا

لتحترق کل معانی

الکبر فی بلادنا

لتحترق أعلامنا

فالمسجد الأقصی احترق

المسجد الأقصی احترق

لیحترق کل الذی شراعه کلام

وعمره کلام

وعیشه کلام

فرایه الإسلام

احترقت..

والمسجد الحرام

منکّس الآیات والأعلام(۱)

فنلاحظ الألفاظ - لیحترق - لتحترق - ساحنه، ساخطه، تلتهب مع الأقصی بروح متوتره وصوت صارخ ومتفجّر حاملٍ للغضب والتندید والرفض، فصیغ الأمر مع لام التأکید لها وقعها وشدتها الخاصه مما جعلتها تناسب ما حل بالحرم والمسجد الأقصی والقدس الشریف.

هذا النمط سواء أکان عمودیاً أو شعر تفعیله فهو کثیر فی شعر القدس

١- (١) هارون هاشم رشيد، مفكره عاشق: ص ٥٢-٥٣.

ولا شک أنه خدم القضیه إذ جعلها دائماً تغلی فی الصدور.

لکنّ هذه الخطابیه قلّت من حدتها واتجهت للاستقلال والتعقل بعد الانتفاضه الأولی.

۲. البساطه والوضوح

استطاع الشاعر الذی کتب فی القدس شعراً، أن یستخدم لغه الشارع، اللغه العامه عند الناس وذلک لأن القدس قدسهم، والقضیه قضیتهم واللغه السهله والواضحه هی السبیل إلی القلوب وهذا ما جاء علی لسان محمود درویش إذ یقول:

قصائدنا بلا لون، بلا طعم بلا صوت إذا لم تحمل المصباح من بیت إلی بیت

وإنْ لم یفهم البسطا معانیها فأولی أن نذرّیها ونخلد نحن للصمت(۱)

ویؤکد هذا المضمون الشاعر نفسه فی موضع آخر:

أجمل الأشعار ما یحفظه عن ظهر قلب کل قارئ..

فإذا لم یشرب الناس أنا شیدک شرب

قل، أنا وحدی خاطئ(۲)

التأکید علی دور الشعر الجماهیری فی وطننا العربی – والإسلامی – تنقصه واقعه مؤلمه، تلک هی نسبه الأمیه المتفشیه بین أبناء الأمه العربیه – والإسلامیه – إذ تزید علی ثلاثه أرباع مجموع السکان.(۳) أقول: یظهر أن هذه الاحصائیه قدیمه جداً.

أشهر شعراء هذا المسلک – أی الشعر البسیط والسلس وذو المعانی والأفکار الواضحه – هم: هارون هاشم رشید، محمود درویش، نزار قبانی،

۱– (۱) الدیوان: ص ۵۵.

۲– (۲) المصدر: ص ۶۵.

۳– (۳) صالح أبو أصبح، الحرکه الشعریه فی فلسطین المحتله: ص ۳۷۸.

سليمان العيسى، عبد الله يوركى حلاق، حسن البحيرى، ابتعدوا عن التكلّف والتعقيد والابتذال اللفظى لينتقل الشعر إلى المتلقّى بأحاسيس الشاعر وعواطفه وبأسلوب ملائم ويتناسب مع الموضوع كما نشاهده فى قصيده «المسجد الأقصى» للشاعر حسن البحيرى، إذ يقول:

وقفتُ فى «المسجد الأقصى» أسائلُهُ والنّارُ فى جَنَبَاتِ الصّدرِ تَستعِرُ

ما بالُ محرابِكَ الطُّهريُّ تغمُرُهُ ظلالُ غمٍ دُجاها ليس ينحَسِرُ

وما لِمنبرِكَ القدسيِّ مكتئباً فما عليه لصوتِ الحقِّ مُنتَبِرُ

ولِلمآذنِ قد غابتْ أهِلَّتُها فما عليها لإشراقِ الُهدى أَثَرُ

فقال مُستعبراً والرَّوعُ يُنطِقُهُ والأرضُ من تحته البُركانُ ينفجرُ:

رَمَى البغاةُ رِحابى رَمْىَ منتقِمٍ وليس لى من مَرامى حِقدِهم وَزَرُ

وليس لى من ذَوى القُربى أخو شَمَمٍ وليس لى من طُغاةِ الَجورِ مُنْتَصِرُ(١)

نلاحظ سهوله وبساطه الصياغه والمفردات فى هذه القصيده فإنها قد تصل إلى الكلام المنثور لولا نظامها وموسيقاها الشعريه. ومن البديهى فإن تكرار المفردات والمصطلحات ساعد على وضوح شعر القدس وبساطته إذ يكاد ينحصر معجم الشعر فى محور البحث فى ألفاظ محدوده ومفردات معدوده أقرب شىء للمعجم اليومى المستعمل عند عامه الناس فى هذه البلاد، وكما يرى الدكتور محمد غنيمى هلال، بأن الكلام إذا كان لفظه حلواً عذباً، سلسلًا سهلًا، ومعناه وسطاً دخل فى جمله الجيد وجرى مع الريح.(٢)

ص:٢٩٩

١- (١) لفلسطين أغنى: ص ٨٣ و ٨٤.

٢- (٢) النقد الأدبى الحديث: ص ٦٠٧.

۳. روح العقیده والالتزام والمقاومه

روح العقیـده والالـتزام والمقـاومه الـذی حمله لنـا شـعر القـدس فی محـاور البحث، هو الشـعر الـذی لم یحمل لنا البکاء والنواح والیأس وروح التراجع والتقهقر بل حمل للـدنیا وللأجیال القادمه روح العقیـده والمقاومه وذلک لأنه لم ینکب وینطوِ علی نفسـه تحت ظـاهره الانتکاسـات الـذاتیه بـل جعلهـا جسـراً یمر علیه ومنطلقـاً نحـو أهـدافه السـامیه وتحریر أرضه، لیس هـو کمـا یقـول أدونیس.. بـأن شـعر المقـاومه شـعر احتجاج لیس إلا، حیث لا یری فی الأرض المحتله شـعر مقاومه حمل روح العقیـده والجهاد وکل ما هناک أنه شعر وصفی وثناء لحرکه المقاومه.(۱)

إذ أننا نری منذ وعد بلفور (۱۹۱۷) وإعلان دویله إسرائیل ونتیجه تخاذل وتقاعس بعض الحکام انطلق شعر المقاومه قویاً مجاهداً صامـداً یـذب ویدافع عن الأرض فی الکلمه کما یدافع المجاهد فی رفضه وسـلاحه فتغنّی للمقاومه وحمل الحجاره وحمل روح التضحیه والعقیده.

ولقد کان من ثماره صـمود مدینه القدس وانتفاضـتها المتکرره، ولأنه ذکرنا الکثره من الشـعر الذی یدل علی هذا المضـمون فی محله - الثوره والجهاد - الانتفاضه المقدسه - فهذه الظاهره یمکن ملاحظتها جلیّه فی شعر القدس.

ویمکن أن أنوّه إلی أن شعراء المقاومه هم:

محمود درویش، سـمیح القاسم، توفیق زیاد، راشد حسـین، محمود عبد الرحیم، هارون هاشم رشید، علی عقله عرسان، خالد أبو خالد، سـلیمان العیسـی، عبد الله یورکی حلاق، فدوی طوقان، سـلمی خضـراء الجیوسـی، نزار قبانی، ونجیب جمال الدین، وعبد الکریم الکرمی «أبو سلمان» وکمال رشید والخ..

ص:۳۰۰

۱- (۱) أدونیس، زمن الشعر: ص ۱۷۲.

بعض نتائج ما توصل إليه هذا الفصل

- الخطابيه والمباشره فى بدايه الاحتلال عام (١٩٤٨ م) واستمرت هذه الصفه الشعريه إلى أواخر السبعينيات إذ المأساه أخرجت الشعر من الغنائيه والرومانسيّه إلى الخطابيه والمباشره نتيجه الحدث الفادح والحاجه الماسه إلى التحريض والنضال، وعاد شعر القدس إلى هذه الصفه مرّه أخرى نوعاً ما بعد الانتفاضه الأولى.

- شعر القدس الملحمى والمسرحى لم يأخذ مكانته المناسبه وإلى الآن رغم بعض المحاولات التى قام بها البعض أمثال الشاعر محمد شمس الدين ومحمود الحوت. ومن المناسب أن يقدّم الشعراء ملحمه شعريه شامله لمدينه القدس وفلسطين.

- الشعر القصصى والدرامى لعب دوراً كبيراً فى قضيه القدس مما جعل الحدث وما تمر به القدس حيّاً لا يغيب عن الأذهان، وكان الدور الفاعل للشاعره فدوى طوقان وسميح القاسم ومحمود درويش. وغالباً رُكّزَ على مأساه اللاجئين والأطفال وما عانته وتعانيه القدس من قساوه الاحتلال.

- اتسم شعر القدس بالرقّه والوضوح وبساطه القاموس اللغوى كما نشاهد شعر أكثر الشعراء أمثال نزار قبانى، هارون هاشم رشيد، حسن البحيرى، محمود درويش، ولعل السبب فى ذلك أنّ القدس ليس قضيه فنيه يعرض الشعراء عضلاتهم فيها، بل هى قضيه الإنسان المظلوم، قضيه الشعب المنكوب، قضيه الاحتلال والدمار والويلات و.. لذا أراد الشاعر أن يفهم الجميع حتى أبسط إنسان يدبُّ على وجه الأرض.

- اتسم شعر القدس غالباً بالالتزام وروح العقيده الإسلاميه والمسيحيه وذلك لمكانه القدس السماويه لدى الأديان الثلاثه، نلمس هذا فى شعر نزار قبانى، هارون هاشم رشيد، حسن البحيرى، على عقله عرسان، عبد الكريم الكرمى، محمود درويش و.. غيرهم.

شعراء محور البحث

أبو خالد، خالد محمد صالح أحمد

ولد فی قریه سیله الظهر بفلسطین عام (١٩٣٧ م)

أعماله الشعریه:

وسام علی صدر المیلیشیا، بیروت، دار الآداب، ١٩٧١.

قصائد منقوشه علی سله الأشرفیه، جریده فتح، ١٩٧١.

تغریبه خالد أبو خالد، بیروت، دار الطلیعه، ١٩٧٢.

أغنیه حب عربیه إلی هانوی، بغداد وزاره الإعلام العراقیه، ١٩٧٣.

شاهراً سلاسلی (سلاحی) أجیء، بیروت، الاتحاد العام للکتاب والصحفیین الفلسطینیین، ١٩٧٤.

الجندل فی منتصف اللیل، دمشق، اتحاد الکتاب العرب، ١٩٧٤.

بیسان فی الرماد، بیروت، دار العوده، ١٩٧٨.

أسمیک بحراً، أسمی یدی الرمل، المغرب، المجلس القومی للثقافه، ١٩٩٠.

فرسان کنعان الفتی، ١٩٩٥.

أبو ریشه، عمر

ولد فی منبج سوریا عام (١٩١٠-١٩٩٠ م).

أعماله الشعريه:

ديوان عمر أبو ريشه، بيروت، دار العوده، ١٩٧١.

الأعمال الشعريه الكامله، مجلدان، بيروت، دار العوده، ٢٠٠٥.

أمرك يارب، نشرت فى الأعمال الشعريه عام ٢٠٠٥.

من وحى المرأه.

فيصل.

الجواب بالانجليزيه، ١٩٥٩.

أبو سلمى، عبد الكريم

ولد فى طولكرم عام (١٩٠٧-١٩٨٠ م)

آثاره الشعريه:

المشرد، ١٩٥١.

أغنيات بلادى.

من فلسطين ريشتى.

ديوان أبى سلمى، ١٩٧٨ و ١٩٨١.

أدونيس، على محمد سعيد

ولد فى قريه قصابين باللاذقيه عام (١٩٣٠ م).

أعماله الشعريه:

دليله، دمشق ١٩٥٠.

أوراق فى الريح، بيروت، فى الخمسينيات.

التحولات والهجره، بيروت، ١٩٦٥ و ١٩٨٨.

أغاني مهيار الدمشقي، بيروت، ١٩٦٧ و ١٩٨٨.

المسرح والمرايا، بيروت، ١٩٦٧ و ١٩٨٨.

وقت بيت الرماد والورد، بيروت ١٩٧٠ و ١٩٨٠.

ص:٣٠٤

مفرد بصيغه الجمع، بيروت، ١٩٧٧ و ١٩٨٨.

القصائد الخمس، بيروت، ١٩٧٩.

هذا هو اسمى، بيروت، ١٩٨٨.

احتفاء بالأشياء الواضحه الغامضه، بيروت، ١٩٨٨.

الأعمال الشعريه الكامله، مجلدان، بيروت، ١٩٨٨.

الكتاب (أمس – المكان – الآن) ثلاثه مجلدات، ١٩٩٥، ١٩٩٦.

أسر، حنا

ولد فى الطيبه بفلسطين عام (١٩٢٥ م)

أعماله الشعريه:

أمه وجراح، بوينس أيرس، دار ميسلون ومؤسسه البلاد القدس، ١٩٨٠.

ديوان باللغه الإسبانيه، بوينس آيرس، ١٩٨٦.

أمين زياد، توفيق

ولد فى الناصره بفلسطين عام (١٩٢٩-١٩٩٤)

آثاره الشعريه:

أشد على أيديكم، بيروت، دار العوده، وحيفا، مطبعه الاتحاد، ١٩٦٦.

أغنيات الثوره والغضب، بيروت، ١٩٦٩.

كلمات مقاتله، عكا، دار الجيل، ١٩٧٠.

الأعمال الشعريه الكامله، مجلد واحد، بيروت، دار العوده، ١٩٧١.

تهليله الموت والشهاده، بيروت، دار العوده، ١٩٧٢.

سجناء الحريه وقصائد ممنوعه أخرى، الناصره، مطبعه الناصره، ١٩٧٣.

ادفنوا موتاكم وانهضوا، بيروت، دار العوده، ١٩٨٥.

البحيرى، حسن

ولد فى حيفا بفلسطين عام (١٩١٨ أو ١٩٢١–١٩٩٨ م)

ص:٣٠٥

أعماله الشعريه:

حيفا فی سواد العيون، دمشق، مطابع العلم، ۱۹۷۳.

لفلسطين أغنی، دمشق مطبعه دار الحياه، ۱۹۷۹.

ظلال الجمال، دمشق، مطبعه الحياه، ۱۹۸۱.

الأنهر الظمأی، دمشق، مطبعه دار الحياه، ۱۹۸۲.

تبارك الرحمن، دمشق، دار الفكر، ۱۹۸۳.

جنه الورد، دمشق، دار المعارف، ۱۹۸۹.

رجاء، دمشق، مطبعه الصباح، ۱۹۹۰.

الأصائل والأسحار، دمشق، مطبعه الصباح، ۱۹۹۰.

أفراح الربيع، دمشق، مطبعه الصباح، ۱۹۹۰.

رساله فی عيد، دمشق، ۱۹۹۰.

ابتسام الضحی، دمشق، مطبعه الصباح، ۱۹۹۰.

لعينی بلادی، دمشق، مطبعه الصباح، ۱۹۹۱.

سأرجع، دمشق، مطبعه الصباح، ۱۹۹۴.

ألوان، دمشق، مطبعه الصباح، ۱۹۹۵.

دعابه بين الجد والهزل، دمشق، مطبعه الصباح، ۱۹۹۶.

حبيبتی حيفا، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ۲۰۰۱.

البرادعی، خالد محيی الدين

ولد فی يبرود سوريا عام (۱۹۴۳ م).

أعماله الشعريه:

بدءاً من حزيران، دمشق، ١٩٦٩.

أناشيد للأنصار، الكويت، ١٩٦٩.

صور على حائط المنفى، بيروت، ١٩٧٢.

قصائد فی النضال والحب، دمشق، ۱۹۷۳.

الرحیل نحو المستقبل، دمشق، ۱۹۷۴.

الغناء بین السفن التائهه، بغداد، ۱۹۷۴.

القبله من شفه السیف، دمشق، ۱۹۷۴.

رسائل إلی سیده غریبه، تونس، ۱۹۷۵.

حکایات إلی أسره من یبرود، الکویت، ۱۹۷۶.

تداعیات المتنبی بین یدی سیف الدوله، دمشق، ۱۹۷۶.

الحب الفتی، دمشق، ۱۹۸۱.

عبد الله والعالم، ۱۹۹۳.

یوم غابت فاطمه، دمشق، اتحاد الکتاب العرب، ۲۰۰۳ م.

البستانی، ودیع

ولد فی الدبیّه بلبنان عام (۱۹۸۸-۱۹۵۴ م)

آثاره الشعریه:

السعاده والسلام، شعر ونثر، معرب، ۱۹۱۰.

معنی الحیاه، شعر ونثر، معرب، ۱۹۱۰.

رباعیات الخیام، ۱۹۱۶.

الفلسطینیات، مصر دار المعارف، ۱۹۴۶ وبیروت، دار البشائر، ۱۹۸۱.

مجانی الشعر، مخطوط.

ذکر الفراق، مخطوط.

إلی ذی عبقر، مخطوط.

كلمه ورد شعر ونثر معرّب، مخطوط.

رباعيات أبى العلاء مخطوط، بالانجليزيه.

ص:٣٠٧

بسيسو، معين توفيق

ولد فى غزه بفلسطين عام (١٩٣٠-١٩٨٣).

أعماله الشعريه:

المعركه، ١٩٥٢.

المسافر، ١٩٥٢.

الأردن على الصليب، القاهره، دار الفكر، ١٩٥٧

فلسطين فى القلب، بيروت، دار الآداب، ١٩٦٥.

الأشجار تموت واقفه، بيروت، دار الآداب، ١٩٦٦.

كراسه فلسطين، بيروت، دار العوده، ١٩٦٦.

مارد من السنابل، القاهره، المؤسسه المصريه العامه للتأليف، ١٩٦٧.

قصائد مصريه (مشتركه) القاهره، دار الكتاب العربى، ١٩٦٧.

القتلى والمقاتلون السكارى، بيروت، دار العوده، ١٩٧٠.

جئتك لأدعوك باسمك، بغداد، وزاره الإعلام، ١٩٧١.

دفاتر فلسطينيه، بيروت، دار الفارابى، ١٩٧٨.

الأعمال الشعريه الكامله، بيروت، دار العوده، ١٩٨١.

القصيده، بيروت، دار ابن رشد، ١٩٨٥.

الآن خذى جسدى كيساً من الرمل.

حينما تمطر الأشجار شعراً.

الجبل، بدوى (محمد سليمان الأحمد)

ولد فى ديفه بسوريه عام (١٩٠٣-١٩٨١ م)

آثاره الشعريه:

ديوان بدوى الجبل، بيروت، دار العوده، ۱۹۷۸؟

الأعمال الشعريه الكامله، بيروت، دار العوده.

ص:۳۰۸

جمال الدين، نجيب مصطفى

ولد فی مقنه بلبنان عام (۱۹۲۳ م).

أعماله الشعریه:

الکتابه علی أعمده الشمس، دمشق، وزاره الثقافه، ۱۹۷۶.

قصائد إلی عاصمه المدن الشرقیه، دمشق، المساحه العسکریه، ۱۹۸۲.

المعلقات السود والذئب، دمشق، دار طلاس، ۱۹۸۴.

الجندی والجنرال، تسجیل صوتی، مکتبه الأسد، ۱۹۹۰.

علی هامش العاشر من شباط، دمشق، ۱۹۹۵.

المراثی، حمص، دار المعارف، ۱۹۹۹.

سنابل الغضب

حرائق علی الثلوج.

علی ملحمه الإنسان الکبری.

النهر.

الریاح.

الآلهه

النهر والمرایا.

الکتابه بالمثلثات والألف الکوفی.

حامد، محمود

ولد فی صفد بفلسطین عام (۱۹۴۱ م)

أعماله الشعریه:

موت على ضفاف المطر، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٣.

أغان على شفاه الصنوبر، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٥.

افتتاحيات الدم الفلسطيني، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٠.

ص:٣٠٩

شهقه الأرجوان، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ۲۰۰۰.

مسافه ورده تكفى، دمشق اتحاد الكتاب العرب، ۲۰۰۱.

بيسان، دمشق، وزاره الثقافه، ۲۰۰۲.

الحاج عيسى، محى الدين

ولد فى صفد فلسطين عام (۱۹۶۰-۱۹۷۴ م)

آثاره الشعريه:

من فلسطين وإليها، حلب، المطبعه السوريه، ۱۹۷۵.

مصرع كليب، مسرحيه شعريه، القاهره، الباب الحلبى، ۱۹۴۷.

أسره شهيد، مسرحيه شعريه، دمشق، ۱۹۶۶.

الحامد، بدر الدين

ولد فى حماه عام (۱۸۹۹-۱۹۶۱ م)

آثاره الشعريه:

ديوان بدر الدين الحامد، دمشق، وزاره الثقافه، ۱۹۷۵.

مسرحيه ميسلون، مسرحيه شعريه، حماه، مطبعه أبى الفداء، ۱۹۴۶.

الحصنى، عفيفه

ولدت فى دمشق عام (۱۹۱۸ م)

أعمالها الشعريه:

وفاء، القاهره، الدار القوميه، ۱۹۶۶.

شهيد التضحيات، القاهره، مطابع الناشر العربى، ۱۹۷۰.

ولاء، القاهره، مطبعه العاصمه، ۱۹۷۱.

عازفه القيثار، دمشق، المطبعه القوميه، ١٩٧٨.

سراب البحر، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٩.

مرايا ونساء، دمشق، دار مجله الثقافه، ١٩٨٢.

ص:٣١٠

وطنى، دمشق، دار المسبار، ۲۰۰۰.

حلاق يوركى، عبد الله

ولد فى حلب بسوريه عام (۱۹۱۱-۱۹۹۶)

أعماله الشعريه:

خيوط الغمام، حلب، مطبعه كامل السبع، ۱۹۴۲.

حصاد الذكريات، حلب، مطبعه الضاد، ۱۹۶۶.

عصير الحرمان، دمشق، وزاره الثقافه، ۱۹۹۰.

أسديات، دمشق، ۱۹۹۳.

الحمصى، عبد الكريم خلف

ولد فى درعا بسوريه عام (۱۹۵۰ م)

أعماله الشعريه:

ألحان من اليرموك، دمشق، مطبعه الاتحاد، ۱۹۹۲.

أسراب الشذى وهديل الغمام، دمشق، ۱۹۹۶.

صور من صور، ۱۹۹۷.

بطوله من نوع آخر.

حمصى، خضر

ولد فى سوريا عام (۱۹۳۱)

أعماله الشعريه:

رساله قلب، حماه، المطبعه الأهليه، ۱۹۵۵.

دمشق يا حبيبتى، دمشق، ۱۹۹۲.

قطار العمر، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٣.

العزف على قيثاره الحب والوطن، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٧.

حنين المسافر، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٩.

ولو عشت فى الفردوس، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠.

ص:٣١١

الليل والطريق، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ۲۰۰۱.

الحب الكبير.

عرس لعينك يا أمتى

الخطيب، يوسف محمود

ولد فى دور الخليل بفلسطين عام (۱۹۳۱).

آثاره الشعريه:

العيون الظمأى للنور، دمشق، المطبعه العموميه، ١٩٥٥.

عائدون، بيروت، دار الآداب، ١٩٥٩.

واحه الجحيم، بيروت، دار الطليعه، ١٩٦٤.

أكاد أؤمن، قصيدتان فى كراس صغير، دمشق، ١٩٦٥.

الوطن المحتل، دمشق، دار الحياه، ١٩٨٨.

مجنون فلسطين، تسجيل صوتى، المكتبه الإلكترونيه، دمشق، ١٩٨٠.

رأيت الله فى غزه، دمشق، دار فلسطين، ١٩٦٨.

بالشام أهلى والهوى بغداد، دمشق، دار فلسطين، ١٩٨٨.

بلا عنوان، بيروت، الذاكره، ٢٠٠٣.

الخورى، ناصر

ولد فى السويداء بسوريا عام (١٩٣٩ م)

أعماله الشعريه:

سنابل، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٧٩ م.

هل يورق الحزن حباً؟ دمشق اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٤.

لمجدك يحلو الوفاء، دمشق، ١٩٦٦.

ص:٣١٢

خير بك، جابر

ولد فی اللاذقیه عام (۱۹۳۳ م)

أعماله الشعریه:

بیادر عطر، دمشق، دار مجله الثقافه، ۱۹۹۲.

الریاحین، قصائد للأطفال، دمشق، دار المجد، ۱۹۹۲.

ضحی، دمشق، مطابع دار مجله الثقافه، ۱۹۹۶.

عبیر القوافی، دمشق، اتحاد الکتاب العرب، ۲۰۰۰.

شوارد النغم، دمشق، اتحاد الکتاب العرب، ۲۰۰۲.

درویش، محمود سلیم حسین

ولد فی البرده بفلسطین، عام (۱۹۴۱ م)

أعماله الشعریه:

عصافیر بلا أجنحه، بیروت، دار العوده، ۱۹۶۰.

آخر اللیل نهار، دمشق، مؤسسه الوحده للطباعه والنشر، ۱۹۶۸.

یومیات جرح فلسطینی، بیروت، دار العوده، ۱۹۶۹.

کتابه فی ضوء بندقیه، بیروت، دار العوده، ۱۹۷۰.

حبیبتی تنهض من نومها، بیروت، دار العوده، ۱۹۷۰.

دیوان محمود درویش، بیروت، دار العوده، ۱۹۷۱.

مطر ناعم فی خریف بعید، بیروت، ۱۹۷۱.

الأعمال الشعریه الکامله، بیروت، المؤسسه العربیه للدراسات، ۱۹۷۳.

جندی یحلم بالزبانق البیضاء، بیروت، دار العوده، ۱۹۷۳.

أحبك أو لا أحبك، بيروت، دار العوده، ١٩٨٠.

محاوله رقم ٧، بيروت، دار العوده، ١٩٨٤.

تلك صورتها وهذا انتحار العاشق، بيروت، دار العوده، ١٩٨٤.

ص:٣١٣

مديح الظل العالى، بيروت، دار العوده، ۱۹۸۴.

أوراق الزيتون، بيروت، دار العوده، ۱۹۸۴.

عاشق من فلسطين، بيروت، دار العوده، ۱۹۸۴.

آخر الليل، بيروت، دار العوده، ۱۹۸۴.

العصافير تموت فى الجليل، بيروت، دار العوده، ۱۹۸۴.

أعراس، بيروت، دار العوده، ۱۹۸۴.

حصار لمدائح البحر، بيروت، دار العوده، ۱۹۸۵.

هى أغنيه هى أغنيه، بيروت، دار الكلمه، ۱۹۸۶.

ورد أقل، بيروت، المؤسسه العربيه للدراسات، ۱۹۸۵.

الرسائل، بيروت، دار العوده، ۱۹۹۰.

أرى ما أريد، الدار البيضاء، دار توبقال، ۱۹۹۰.

أحد عشر كوكباً، بيروت، دار العوده، ۱۹۹۳.

فى رحاب الإسلام، دمشق، دار الرشيد، ۱۹۹۴.

لماذا تركت الحصان وحيداً، لندن، رياض الريس للكتب والنشر، ۱۹۹۵.

مأساه النرجس ملهاه الفضه، بيروت، دار العوده.

أحد الزعتر، بيروت، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين.

على آخر المشهد الأندلسى، بيروت، دار الجديد، المغرب، دار توبقال.

الرفاعى، عبد المنعم

ولد فى صور لبنان من أسره فلسطينيه عام (۱۹۱۷–۱۹۸۵ م)

آثاره الشعريه:

المسافر، بيروت، الدار المتحده للنشر، ١٩٧٩.

رشيد، كمال عبد الرحيم

ولد فى الخيريه يافا بفلسطين عام (١٩٤١ م)

ص:٣١٤

أعماله الشعريه:

شدو الغرباء، عمان، مطابع مؤسسه الجمعيه العلميه للطباعه والنشر، ١٩٨٣.

أناشيدى للأطفال، جزءان، ١٩٨٩.

القس فى العيون، ١٩٩٠.

عيون فى الظلام، ١٩٩٠.

نسائم الوطن، ١٩٩٧.

رشيد، هارون هاشم

ولد فى غزه فلسطين عام (١٩٢٧ م)

أعماله الشعريه:

مع الغرباء، القاهره، رابطه الأدب الحديث، ١٩٥٤.

عوده الغرباء، بيروت، المكتب التجارى، ١٩٥٦.

غزه فى خط النار، بيروت، المكتب التجارى، ١٩٥٧.

أرض الثورات، ملحمه شعريه، بيروت، المكتب التجارى، ١٩٥٨.

حتى يعود شعبنا، بيروت، دار الآداب، ١٩٦٦.

سفينه الغضب، الكويت، مكتبه الأمل، ١٩٦٨.

رسالتان، القاهره، اتحاد طلاب فلسطين، ١٩٦٩.

رحله العاصفه، القاهره، اتحاد طلاب فلسطين، ١٩٦٩.

فدائيون، عمان، مكتبه عمان، ١٩٧٠.

مزامير الأرض والدم، بيروت، المكتبه العصريه، ١٩٧٠.

السؤال، مسرحيه شعريه، القاهره، مؤسسه روز اليوسف، ١٩٧٣.

الرجوع ودلال المغربى، منشورات فلسطين المحتله، ١٩٨٠.

مفكره عاشق، قصائد للقدس، المطابع الموحده، ١٩٨٠.

ديوان هارون هاشم رشيد، بيروت، دار العوده، ١٩٨١.

ص:٣١٥

يوميات الصمود والحزن، تونس، ١٩٨٣.

ثوره الحجاره، تونس، دار العهد الجديد، ١٩٨٨.

المزّه، غزّه، ١٩٨٨.

عصافير الشوك، مسرحيه شعريه، القاهره، ١٩٩٠.

طيور الجنه، قصائد للشهداء، القاهره، دار الشروق، ١٩٩٨.

ورده على جبين القدس، قصائد للسجناء والمبعدين، القاهره، دار الشروق، القاهره، ١٩٩٨.

قصائد فلسطينيه، عمان، دار مجدلاوى، ٢٠٠٣.

المبحرون إلى يافا، عمان، دار مجدلاوى، ٢٠٠٤.

الزركلى، خير الدين

ولد فى بيروت عام (١٨٩٣-١٩٧٦ م) ونشأ فى دمشق

أثاره الشعريه:

١. ما رأيت ما سمعت، القاهره، المكتبه العربيه، ١٩٢٣.

٢. ديوان خير الدين الزركلى، القاهره المطبعه العربيه، ١٩٢٥.

صايغ، توفيق عبد الله

ولد فى خربا بسوريه عام (١٩٢٣-١٩٧١ م)

آثاره الشعريه:

ثلاثون قصيده، ١٩٥٤.

القصيده ك، ١٩٦٠.

معلقه توفيق صايغ، ١٩٦٣.

الأعمال الكامله، لندن، ١٩٩٠

طوقان، فدوى عبد الفتاح

ولدت فی نابلس بفلسطین عام (۱۹۱۷ م)

ص:۳۱۶

آثارها الشعريه:

أخى إبراهيم، يافا، فلسطين المحتله، ١٩٤٦.

وحدى مع الأيام، بيروت، دار الداب، ١٩٦٢ ودار العوده، ١٩٧٤.

وجدتها، بيروت، دار الآداب، ١٩٦٢.

كابوس الليل والنهار، بيروت، دار الآداب، ١٩٧٣.

الفدائى والأرض، بيروت، دار الآداب، ١٩٧٣.

قصائد سياسيه، عكا، ١٩٨٠.

على قمه الدنيا وحيداً، بيروت، دار العوده، ١٩٨١.

أعطنى حباً، بيروت، دار العوده، ١٩٨٢.

الليل والفرسان، بيروت، دار العوده، ١٩٨٢.

أمام البيت المغلق، بيروت، دار العوده، ١٩٨٢.

ديوان فدوى طوقان، بيروت، دار العوده، ١٩٨٤.

تموز والشىء الآخر، عمان، دار الشروق، ١٩٨٧.

الأعمال الكامله، بيروت، المؤسسه العربيه للدراسات، ١٩٩٢.

اللحن الأخير، عمان، دار الشروق، ٢٠٠٠.

العبوشى، برهان الدين

ولد فى مدينه جنين بفلسطين عام (١٩١١-١٩٧٠ م)

آثاره الشعريه:

جبل النار، بغداد، مطبعه الشركه الإسلاميه، ١٩٥٦.

النيازك، بغداد، ١٩٦٧.

إلى متى، بغداد، مطبعه المعارف، ١٩٧٢.

جنود السماء، الكويت، ١٩٨٥.

وطن الشهيد، مسرحيه شعريه، القدس، المطبعه الاقتصاديه، ١٩٤٧.

ص:٣١٧

الفداء، مسرحيه شعريه، بغداد، مطبعه البصرى، ١٩٦٨.

العدنانى، محمد خورشيد

ولد فى جنين بفلسطين عام (١٩٠٣-١٩٨١ م)

آثاره الشعريه:

اللهيب، بيروت، المكتبه العصريه، ١٩٥۴ م.

الأمومه، بيروت، المكتبه العصريه، ١٩٥٧ م.

فجر العروبه، بيروت، المكتبه العصريه، ١٩٦٠.

الوثوب، بيروت، المكتبه العصريه، ١٩٦٥.

الروض، بيروت، المكتبه العصريه، ١٩٦٦.

فلسطين، بيروت، المكتبه العصريه، ١٩٧٣.

سلمى.

قلب.

وحى الفؤاد.

العبير.

زهر.

الغروب.

جميع دواوينه الشعريه فى ثلاثه مجلدات باسم العدنانيات.

عرسان، على عقله

ولد فى صيدا درعا بسوريه عام (١٩۴٠ م)

أعماله الشعريه:

الفلسطينيات، دمشق، وزاره الثقافه، ۱۹۷۱.

الغرباء، دمشق، وزاره الثقافه، ۱۹۷۴.

شاطئ الغربه، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ۱۹۸۶.

ص:۳۱۸

تراتيل الغربه، دمشق، دار الحصاد، ۱۹۹۳.

الأعمال الشعريه الكامله، دمشق، دار طلاس، ۱۹۸۹ و ۲۰۰۲.

العيسى، سليمان أحمد

ولد فى النعيريه - أنطاكيه - بسوريه عام (۱۹۲۱ م)

أعماله الشعريه:

مع الفجر، ۱۹۵۲.

أعاصير فى السلاسل، ۱۹۵۴.

شاعر بين الجدران، ۱۹۵۴.

ثائر من غفار، ۱۹۵۵.

رمال عطشى، ۱۹۵۷.

أغنيات صغيره، ۱۹۶۷.

كلمات مقاتله، ۱۹۶۸.

أغنيه فى جريده السندباد، ۱۹۷۱.

أغان بريشه البرق، ۱۹۷۴.

الأعمال الكامله، ۱۹۸۰.

شعر سليمان العيسى، بيروت، دار الشورى، ۱۹۸۰.

الكتابه أرق، ۱۹۸۲.

الديوان الضاحك، ۱۹۸۷.

وسافرت فى الغيبه، ۱۹۸۸.

ملحمه فى نضال أبى ذر.

قصائد عربيه.

أمواج بلا شاطئ.

صلاه لأرض الثوره.

حبات من الرمال الذهبيه.

ص:٣١٩

رسائل مؤرقه.

الفراشه وقصائد أخرى.

الدم والنجوم الخضر.

أزهار الضياع.

علّوش، جميل إبراهيم

ولد فى بير زيت بفلسطين عام (١٩٣٧ م)

أعماله الشعريه:

عرس الصحراء، بيروت، مطبعه عين الرمانه، ١٩٦٦.

خوابى الحزن، العراق، وزاره الثقافه، ١٩٧٩.

أشواق، عمان، رابطه الكتاب الأردنيين، ١٩٨٠.

جراح ودعاء، عمان، مطبعه الأماره، ١٩٨٥.

مواكب الربيع، عمان، وزاره الثقافه، ١٩٨٩.

صوت الشعر، عمان، دار الينابيع، ١٩٩١.

القاسم، سميح محمد

ولد فى بلده الزرقا بالأردن، من أسره فلسطينيه تعيش بالجليل عام (١٩٣٩ م)

أعماله الشعريه:

مواكب الشمس، الناصره، مطبعه الحكيم، ١٩٥٨

قرآن الموت والياسمين، بيرت، دار العوده، ١٩٦٠.

دخان البراكين، الناصره، مطبعه الحكيم، ١٩٦٨ وبيروت، دار العوده، ١٩٧٣.

فى انتظار طائر الرعد، عكا، دار الجليل، ١٩٦٩.

سقوط الأقنعه، بيروت، دار الآداب، ۱۹۶۹.

رحله السراديب الموحشه، بيروت، دار العوده، ۱۹۶۹.

طلب انتساب للحزب، بيروت، دار العوده، ۱۹۷۰.

ص: ۳۲۰

دمی علی کفی، بیروت، دار العوده، ۱۹۷۳.

قرقاس مسرحیه شعریه، بیروت، دار العوده، ۱۹۷۰.

اسکندرون فی رحله الداخل والخارج، بیروت، دار العوده، ۱۹۷۰.

الموت الکبیر، بیروت، دار الآداب، ۱۹۷۳.

مراثی سمیح القاسم، بیروت، دار الآداب، ۱۹۷۳.

دیوان سمیح القاسم، بیروت، دار العوده، ۱۹۷۳.

إرم سمیح القاسم – فی سبعه أناشید، بیروت، دار العوده، ۱۹۷۳.

أغانی الحروب، بیروت، دار العوده، ۱۹۷۳.

إلهی إلهی لماذا قتلتنی، حیفا، ۱۹۷۴.

وما قتلوه وما صلبوه ولکن شبه لهم، منشورات فلسطین الثوره، ۱۹۷۷.

دیوان الحماسه، المجلد الأول عکا، ۱۹۷۸، المجلد الثانی، عکا، ۱۹۷۹.

ثالث أکسید الکربون، بیروت، دار الطلیعه، ۱۹۷۹.

أحبک کما یشتهی الموت، بیروت، دار الفارابی، ۱۹۸۰.

الجانب المعتم من التفاحه، بیروت، دار الفارابی، ۱۹۸۱.

دیوان الحماسه الجزء الثالث، عکا، ۱۹۸۱.

قرابین کولاج، اللاذقیه، دار الحوار، ۱۹۸۴.

جهات الروح، بیروت، دار صامد للدراسات والنشر، ۱۹۸۴.

فی سربیه الصحراء، عمان، دار الجلیل، ۱۹۸۶.

لا أستأذن أحد، لندن، ریاض الریس للکتب والنشر، ۱۹۸۸.

آخذه الأمیره یبوس، ۱۹۹۰.

القصائد، كفر قرع، دار الهدى، ١٩٩١.

الأعمال الكامله، القاهره، دار سعاد الصباح، ١٩٩٣، (٦ مجلدات).

الكتب السبعه، بيروت، دار الجديد، ١٩٩٤.

ص:٣٢١

قبانی، نزار توفیق

ولد فی دمشق عام (۱۹۲۳–۱۹۹۸ م)

آثاره الشعریه:

قالت لی السمراء، دمشق، ۱۹۴۴.

طفوله نهد، دمشق، ۱۹۴۸.

سامبا، دمشق، ۱۹۴۹.

أنت لی، دمشق، ۱۹۵۰.

قصائد، دمشق، ۱۹۵۶.

حبیبتی، بیروت، ۱۹۶۱.

الرسم بالکلمات، بیروت، ۱۹۶۸.

یومیات امرأه لا مبالیه، بیروت، ۱۹۶۸.

قصائد منقوشه، بیروت، ۱۹۶۸.

لا، بیروت، ۱۹۷۱.

کتاب الحب، بیروت، ۱۹۷۰.

مائه رساله حب، بیروت، ۱۹۷۲.

أشعار خارجه علی القانون، بیروت، ۱۹۷۲.

کل عام وأنت بخیر حبیبتی، بیروت، ۱۹۷۸.

الأعمال السیاسیه.

الأعمال الکامله، ۸ مجلدات.

قنصل، الیاس

ولد في يبرود بسوريه.

أعماله الشعريه:

السهام، الأرجنتين، ١٩٣٥.

ص:٣٢٢

ألحان الغروب، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٧٨.

قنصل، زكى

ولد فى يبرود بدمشق عام (١٩١٦-١٩٩٤ م)

آثاره الشعريه:

شظايا، مجله المناهل، ١٩٣٩.

سعاد، ١٩٥٣.

سداسيه الوطن المحتل، دمشق، دار مجله الثقافه، ١٩٧٠ م.

نور ونار، دمشق، دار مجله الثقافه، ١٩٧٠، وكذلك بوينس آيرس، ١٩٧٢.

عطش وجوع، دمشق، وزاره الثقافه، ١٩٧٤.

ألوان وألحان، بوينس آيرس، دار ميسلون، ١٩٧٨.

فى متاهات الطريق، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٤.

ديوان زكى قنصل، دمشق، وزاره الثقافه، ١٩٨٦.

أشواك، الرياض، دار الرفاعى، ١٩٩٣.

الأعمال الكامله، جده، ١٩٩٥.

أمسيات شعريه مسجل صوتى.

محرز، عبد اللطيف محمد

ولد فى بيت ناعمه بسوريه عام (١٩٣٢ م)

أعماله الشعريه:

العصور الأخضر، دمشق، المطبعه الجديده، ١٩٩١.

أناشيد البحر، دمشق، ١٩٩٢.

أناشيد الحق فى رحاب على عليه السلام، ١٩٩٤.

أناشيد الحياه، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٧.

شجرات الدماء، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠.

ص:٣٢٣

حقائق وأوهام، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢.

محمود، عبد الرحيم

ولد في طولكرم بفلسطين عام (١٩١٦-١٩٤٨ م).

آثاره الشعريه:

ديوان عبد الرحيم محمود، بيروت، دار العوده، ١٩٧٤.

الأعمال الكامله، عمان، دار الكرمل، ١٩٩٣.

محمود، راشد حسين

ولد في قريه مصمص بفلسطين عام (١٩٣٦-١٩٧٧ م)

آثاره الشعريه:

مع الفخر، الناصره، مطبعه الحكيم، ١٩٥٧.

صواريخ، الناصره، مطبعه الحكيم، ١٩٥٨.

أنا الأرض لا تحرمنی المطر، بيروت، اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، ١٩٧٦.

قصائد فلسطينيه، القاهره، لجنه إحياء التراث، ١٩٨٠.

مفلح، محمود

ولد في سمخ بفلسطين عام (١٩٤٣).

أعماله الشعريه:

مذكرات شهيد فلسطيني، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٧٦.

المرايا، بيروت، مؤسسه الرساله، ١٩٧٩.

الرايه، الأردن، دار عمال، ١٩٨٣.

حكايه الشال الفلسطيني، الرياض، دار العلوم، ١٩٨٤.

شموخاً أيتها المآذن، عمان، دار الفرقان، ١٩٨٧.

فضاء الكلمات، الرباط، دار الأمان، ١٩٨٧.

إنها الصحوه.. إنها الصحوه، المنصوره، دار الوفاء، ١٩٩١.

ص:٣٢٤

نقوش إسلاميه على الحجر الفلسطينى، المنصوره، دار الوفاء، ١٩٩١.

غرد يا شبل الإسلام، عمان، دار البشير، ١٩٩١.

المناصره، عز الدين

ولد فى بلده بنى تميم الخليل بفلسطين عام (١٩٤٦ م).

أعماله الشعريه:

ديوان عز الدين المناصره، الكويت، منشورات كاظمه، ١٩٦٨.

ليت للبراق سيفا، ١٩٧٠.

قمر جرش كان حزيناً، ١٩٧٣.

بالأخضر كفناه، ١٩٧٦.

لنن يفهمنى أحد غير الزيتون، ١٩٧٦.

يا عنب الخليل، بيروت، المؤسسه العربيه للدراسات، ١٩٨٣.

الخروج من البحر الميت، بيروت، دار العوده، ١٩٨١.

حصار قرطاج، تونس، دار محمد على المحامى، ١٩٨٣.

جفرا، بيروت، المؤسسه العربيه للدراسات، ١٩٨٣.

الكنعانيات، بيروت، الدار العالميه، ١٩٨٣.

كنعانيا ذا، بيروت، الدار العالميه، ١٩٨٣.

حيزّيه، ١٩٩٠.

الأعمال الكامله الشعريه، بيروت، المؤسسه العربيه للدراسات، ١٩٩٤.

الموسى، خليل جريس

ولد فى قريه تبنه بدرعا سوريا عام (١٩٤٢ م)

أعماله الشعريه:

أعشاب، دمشق، ١٩٩٧.

مرايا الروح، دمشق، ٢٠٠١.

ثلاثيه الدم والنهار فی أسفار المتنبی، ٢٠٠٤.

ص:٣٢٥

العوده إلى أوروك، ٢٠٠٦.

أنثى القصيده، ٢٠٠٦

هارون، هند

ولدت في اللاذقيه عام (١٩٢٨-١٩٩٦ م)

آثارها الشعريه:

شمس الحب، دمشق، ١٩٨٣.

سارقه المعبد، دمشق، ١٩٧٨.

ديوان عمار، دمشق، ١٩٧٨.

بين المرسى والشراع، دمشق، وزاره الثقافه، ١٩٨٤.

عمار في ضمير الأمومه، دمشق، ١٩٨٨.

الهواري، صالح محمد

ولد في سمخ بفلسطين عام (١٩٣٨)

أعماله الشعريه:

الدم يورق زيتوناً، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٧٢.

المطر يبدأ العزف، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٧٧.

عصافير بلادي للأطفال، دمشق، وزاره الثقافه، ١٩٨١.

الموت على صدر البرتقال، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٣.

بطيّاً يمر الدخان، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٤.

هنادي تغني للأطفال، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٧.

أم أحمد لا تبيع مواويلها، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٠.

أغانى أيوب الكنعانى، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٤.

مرايا الياسمين، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨.

ومن فرح بكينا، دمشق، ٢٠٠٠

ما قال الغيم للشعر، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠.

ص:٣٢٦

خاتمه البحث

حاولت أن أعالج فی هذه الرحله الطویله والشاقه – نسبیاً – من هذا البحث الأسئله التالیه:

– هل کان نصیب للقدس ما بین عامی «۱۹۴۸–۲۰۰۰ م» فی الشعر العربی الحدیث فی سوریه ولبنان وفلسطین وما هو مقداره وما هی أبعاده؟

– ما هی اتجاهات شعر القدس وما هی أبرز دواعیه الشعریه؟

– هل استطاع شعر القدس أن یحرک المدینه ویجعلها قضیه الإنسان العربی والإنسان المسلم الأولی؟

– ما هو تأثیر القدس کمدینه أو قضیه علی الشعر العربی الحدیث فی سوریه ولبنان وفلسطین.

– وما هو موقف الشعراء من القدس ومن هُم أهمُّ روّاده؟

– هل هناک نتاج أدبی وفنی لشعر القدس؟

– ما هی أبرز ملامح شعر القدس شکلاً ومضموناً؟

– إلی أی حدّ یعکس الشعر علاقه الشاعر والمتلقی بتحریر القدس؟

ص:۳۲۷

- وهل قدم الشاعر للقدس الحلول المناسبه أم انطوى على الذات ولاذ بالبكاء والعويل؟

ومن هـذا المنطلق حاولنـا الإجـابه على هـذه الأسـئله مستندين بـالنصوص الشـعريه وبغضّ النظر عن انتماءات أصـحابها الفكريه والإيـديولوجيه، أى نظرنـا إلى شـعر القـدس بما هو شـعر وكما رسـمه الشاعر آخـذاً مادته من أحاسـيسه وعواطفه ومشاعره تجاه القدس.

مما لا شك فيه أن نكبه فلسطين عام «١٩٤٨» غيّرت حياه العالم الإسلامى بشكل عام والحياه الفلسطينيه والعربيه بشكل خاص بما فيها الحياه الأدبيه والشعريه.

وبما أن الشـعراء قلب الأمه النابض، وما للقدس من مكانه فى قلوب الناس، فمنذ الساعات الأولى للاحتلال الصـهيونى، لا بل قبل ذلك حمل الشاعر سلاح الكلمه للذّب عن الأرض والذّات والإنسان، ومن خلال تتبعى لشعر القدس (١٩٤٨-٢٠٠٠) وجدت أن الشعراء كانت لهم ثلاثه اتجاهات رئيسيه هى:

١. الدواعى والاتجاهات العربيه.

٢. الدواعى والاتجاهات الإسلاميه.

٣. الدواعى والاتجاهات السياسيه.

ثم لاحظنا كيف حاول شـعراء القدس ومن خلال هذه الاتجاهات معالجه قضيه الاحتلال كى تبقى القدس لأهلها ولجميع العرب والمسلمين وكيف واكبوا حدث الفاجعه.

من هنا فقد تضـمن كل من هذه الاتجاهات أبرز المحاور التى تناولها شـعراء القدس والتى عكست المأساه ووضـعت الحلول لها وما يجب أن يمارس من أجل تحريرها، وكان من الطبيعى أن لا يقتصر شعر القدس على

تسجيل الوقائع، وذلك لأن الأدب سلاح حاد يمكن استخدامه لهزيمه العدو وفى حد ذاته دواء شاف لعوامل الضعف وثغرات الهزائم، لذا دعا الشعراء للنضال حاثين الأمه على المقاومه والجهاد ومقارعه الاحتلال ومعرفه خيوط المؤامرات، ففى الاتجاه الأول ركّز الشعراء على العروبه والقضايا العربيه والقوميّه كعامل أساس لتوحيد الجبهه ضد العدو وإنقاذ فلسطين والقدس. وقد استمر هذا الاتجاه إلى يومنا هذا شده وضعفاً، فنادى رواده بإرجاع العرب إلى ماضيهم التليد وما كان لهم من مواقف مشرفه وشجاعه قد شهد لها التاريخ فأيقظوا الضمائر الخامده واستصرخوها لإنقاذ القدس، فكان لبعضهم قصائد تحمل فى طياتها النقد اللاذع أمثال نزار قبانى والياس قنصل وزكى قنصل وهارون هاشم رشيد وحسن البحيرى وغيرهم، والملاحظ أن الخطاب والتوجه الشعرى لهذا الاتجاه شمل جميع الأطياف، والجوانب تقريباً ولكن حظ المرأه والشباب كان ضئيلًا ويمكن القول بأنه عكس الاتجاه الإسلامى حيث هناك توجه الشعراء للدور الفعال الذى يمكن أن يلعبه الشباب والمرأه خاصه لإرجاع القدس وفلسطين. حظيت المدينه – القدس – فى هذه الاتجاهات العربيه والقوميه باهتمام أكثر بعد عام (١٩٦٧) فأصبحت محوراً أساسياً فى شعر القدس، واستمر هذا التوجه إلى يومنا هذا حيث لا تكاد تجد ديواناً خالياً من قصائد تخص القدس بالذات، ولكنّه بعد اندلاع الانتفاضه الأولى «١٩٨٧» انحدر بشكل ملحوظ.

أمّا من الناحيه الكميه فكان نصيب القدس فى هذا الاتجاه كما رتّب فى بدايه الفصل الأول، وأمّا من الناحيه الكيفيه فالقول يختلف إذ كان الشعر فى بدايه الاحتلال يختلف عما هو عليه الآن إذ سلك مسلك النضج والموضوعيه والعقلانيه أكثر، وهذا واضح.

وعلى أيّه حال استطاع شاعر هذا الاتجاه أن يجعل المدينه صامده

ص:٣٢٩

مقاومه وغير جامـده، والملاحظ أن القدس لفت نظر الشعراء أكثر بعد حادثه إحراق المسـجد الأقصـى (١٩٦٩/٩/٢١) فأصبحت القدس قضيه سلبت الكرى عن عيون الشاعر الملتزم فلهذا صبّ جام غضبه شعراً إذ لعله لا يستطيع فعل أكثر من هذا.

وأمّا ما توصل إليه البحث فى الفصل الثانى – الدواعى والاتجاهات الإسـلاميه – لقد كانت محاوره الخمسه هى أهم ما دار حول شعر القدس فى الفتره (١٩٤٨–٢٠٠٠) وقد تبيّن لنا:

أولاً: إن المحاور حسب كميه القصائد الوارده فيها هى كالترتيب التالى:

الشـهاده والشهيد، الصمود والمقاومه، اليقظه الإسلاميه، الثوره والجهاد، الوحده الإسلاميه ففى معظم تلك القصائد لاحظنا أيضاً، العلاقه القويه بين شاعر القـدس والواقع الـذى صوّره فى تلك المحاور التى كانت نابعه من أعماق النفس الإنسانيه والأحاسـيس الوجدانيه فى كلمات تشعر بالمشاعر الحماسيه المتأججه والمتفجره.

فقد انطلقوا بدورهم فى تعبئه الأمه العربيه والأمه الإسلاميه للوقوف فى وجه العدوان ومقاومه الاحتلال حتى الشهاده فى سبيل الله تعالى أو تحرير القـدس الشـريف، فكانت النتيجه واضـحه حيث انـدلعت الثورات والانتفاضات وهـذا بعض ثمارها، إلا أن قاطبه أولئك الشعراء غفلوا عن محور القدس والوحده الإسلاميه مع ماله من الأهميه الخطيره إذ أن القدس تتعلق بالمسلمين جميعاً.

ثانياً: قـد تفاوتت القصائد فى هذه المحاور فيما بينها شـكلاً واقتربت مضـموناً وهى تعرض لنا صوره القدس ولا يبدو المكان فى هذه القصائد ظل ساكناً وإنما كانت الحركه فيه سـريعه تبث الحياه فيه، إذ اسـتطاعت أن تجعل منه قضـيه للإنسان الفلسـطينى بل للإنسان العربى والمسلم.

ثالثاً: كانت الصفه الغالبه فى قصائد القدس فى هذه المحاور هى الخطابيه المباشره.

رابعاً: إن شعر القدس فى هذه المحاور لم يكن رد فعل للأحداث وحسب وإنما كان فعلاً مقاوماً محرضاً على الثوره والجهاد، فتعامل الشعراء مع الحدث منذ عام (١٩٤٨) حتى عام (٢٠٠٠) وكانوا حريصين على متابعه يوميات القدس، يرصدون أحداثها بدقه كالشاعر نزار قبانى، هارون هاشم رشيد، حسن البحيرى، سليمان العيسى، على عقله عرسان و.. فحملوا هموم أمّتهم وإسلامهم من أجل القدس الصامده.

من الواضح أن هذه المحاور هى قيم يشترك فيها المسلم وغيره فكان المناط فى اختيار القصيده هو ما قيل وليس القائل فحسب.

ويمكن أن نشير إلى بعض نتائج الفصل الثالث أى الدواعى والاتجاهات السياسيه – القدس الضمير السياسى – القدس الوحده العربيه الإسلاميه – قضيه السلام – الانتفاضه المقدسه – فكان أبرزها:

أولاً: استمد شعر القدس السياسى فى الفتره الزمنيه ما بين عامى (١٩٤٨–٢٠٠٠ م) مستقياً مادته الشعريه، من أبرز الأحداث السياسيه والوطنيه والعسكريه، ومن المستجدات أنها تشبه قصائد الفصل الأول لا سيما المحور الأول والثانى والثالث منه إذ أنها نجحت فى تحريك الحدث فى القصيده وتحريك المكان، فبدت القدس كرمز بارز للوطن المحتل ومقاومه الاحتلال.

ثانياً: صوره الالتزام تبرز واضحه المعالم فى كل هذه المحاور لا سيما المحور الأخير – الانتفاضه المقدسه. إذ ظل قلب الشاعر والمتلقى معلقاً بالقدس وفلسطين فهو يرى فى الانتفاضه سبيلاً من سبل التحرير والوصول إلى الحريه الضائعه.

ثالثاً: بادر الشعراء بالتحريض على الوحده العربيه، مؤكدين على تحرير

القدس من خلالها، قاذفين أعباء اللوم على معارضيها والمتهاونين بها، حيث كان السبب الرئيسى فى ضياع القدس.

رابعاً: قد هاجم جل شعراء القدس – فى محور البحث – دعاه السلام مؤكدين أن تحرير القدس والأرض المحتله لا يكون إلا عبر نيران المدافع وسواعد الرجال حيث أصبح – حسب معتقدهم – السلام أوهاماً ليس إلا، وذلك نتيجه إصرار العدو على الاحتلال، وتعنته فى العمليه السلميه لأكثر من مره. والمفهوم من النصوص الشعريه أنهم ليسوا ضد السلام العادل الذى يعيد الحق إلى أهله، بل ضد الاستسلام، إذ يأبى الله ورسوله والمؤمنون.. والأحرار ذلك.

خامساً: من أبرز الشعراء تحمساً وأكثرهم قصائداً فى هذا الفصل – الدواعى والاتجاهات السياسيه – هو نزار قبانى، إذ كرّس معظم شعره بعد نكسه حزيران عام ١٩٦٧ لقضيه القدس حتى اتُّهم حيناً ومُجّد حينا آخر، ثم يأتى بعده فى المرتبه الثانيه هارون هاشم رشيد، وكان كل منهما قد قدّم حلولاً لا بأس بها.

سادساً: منذ أن بدأ محمود درويش ونزار قبانى مسيرتهما فى الشعر السياسى فُتح الباب أمام الشعر السياسى فكان بدايه لا نهايه لها.

سابعاً: تأثر الشعر فى هذا الاتجاه وبشكل غير مباشر بالثوره الإسلاميه فى إيران وأفكار الإمام الخمينى، والجنوب اللبنانى حيث أعطى القدس حيويه وصموداً وتحركاً أكثر من السابق.

ثامناً: ترتيب قصائد القدس فى هذا الفصل من ناحيه الكم هى كالتالى:

محور القدس والضمير السياسى (أربع عشره قصيده)

محور القدس والسلام (خمس عشره قصيده).

محور القدس والانتفاضه المقدسه (ثمان قصائد)

محور القدس والوحده العربيه (ست قصائد)

وأمّا فى الباب الثانى من هذه الدراسه، فقد حاول البحث أن يبرز النتائج التاليه:

أولاً: بثّ الشعراء الحيويه فى القدس واستمرار الحياه فيها عبر استخدام الصور القرآنيه والدّينيه، وقدّموا الفكره من خلالها بشكل مباشر أحياناً وبشكل إيحائىّ أو رمزى حيناً آخر، كما شاهدنا فى قصيده «القدس» لنزار قبانى وأكثر الشعراء الآخرين.

ثانياً: توظيف الشخصيات التراثيه والتاريخيه وعلى رأسها شخصيه النبى محمد صلى الله عليه و آله والسيد المسيح عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام والشهداء وذلك لربط القدس بالتاريخ والتراث لإعطائه صوره مهمه لا يمكن تجاهلها والتهاون بها.

ثالثاً: واكب شعر القدس التطور الفنى على المستوى العربى والعالمى، لذا استخدم أساليب الدراما والمسرح والفنون السينمائيه أمثال المونتاج والقصيده النثريه والقصصيّه وذلك بشكل واسع.

أيضاً انتشرت ظاهره شعر التفعيله فى شعر القدس وقد أخذت مأخذها وإلى يومنا هذا.

رابعاً: مما يلفت النظر استخدام الأمور العاطفيه والأحداث والحياه اليوميه حيث أصبحت هذه ظاهره صارخه فى صياغه صوره القدس الشعريه، ولعلها الظاهره الأكبر أثراً على المكان والمتلقى أيضاً، إذ جعلت القدس لا تغيب عن الأذهان.

خامساً: استخدام القاموس اللغوى البسيط عند أكثر الشعراء الذين أنشدوا القدس شعراً، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى شموليه هذا النوع من الشعر ودائره اتساعه، ولكن الملاحظ إن بعض الشعراء سلك مسلكاً عكس هذا أمثال الشاعر خالد أبو خالد ونجيب مصطفى جمال الدين ولأسباب لا أعرفها.

سادساً: بعض الشعراء مرّ على قضيه القدس مرور الكرام أمثال الشاعر

ص:٣٣٣

أدونيس، محمد الماغوط، شوقى بغدادى، عصام ترشحانى، عبد الكريم الناعم، فايز خضور، فؤاد كحل، سعيد عقل، صالح هوارى، أنور العطار، شوقى أبى شقراء.

سابعاً: لاذ بعض الشعراء وانطوى على نفسه وغلب اليأس عليه إلى حد ما، ولكن جُلّ الشعراء عالج قضيه القدس بحكمه وحنكه شعريه وشعوريه، ولذا نجد الحلول المناسبه فى شعره أمثال نزار قبانى، هارون هاشم رشيد، نجيب مصطفى جمال الدين، سليمان العيسى، على عقله عرسان زكى قنصل..

ثامناً: اتضح لى أن التركيب الكمى – شعراً وشاعراً – فى محور البحث هو فى الدرجه الأولى فلسطين والأمر واضح والدرجه الثانيه سوريه وفى الدرجه الثالثه لبنان.

وفى نهايه المطاف أرجو أن أكون قد قدمت شيئاً ولو يسيراً لإحياء القدس والقضيه الفلسطينيه، ولو بقدر رأس أنمله.

ص:٣٣٤

شهاده

نشرت مجله الموقف العربی فی عددها ۴۶۴ السنه التاسعه والثلاثون کانون الأول ۲۰۰۹ مقالاً ـ للدکتور غسان غنیم – من أبرز أساتذه جامعه دمشق – أشاد الکاتب بمکانه القدس وفلسطین لدی الإیرانیین وببعض ما کتبوا عنها من بحوث وکتب ومنها هذا الکتاب قائلًا:

مکانه فلسطین – والقدس لدی الإیرانیین قدیماً وحدیثاً

یعود تاریخ مدینه القدس إلی حقبه بعیده فی التاریخ، حیث تشیر المصادر التاریخیه إلی أنها قد بُنیت علی ید ملک الیبو سیین >ملکیا صادق< والیبوسیون قبیله عربیه هاجرت من الجزیره العربیه فی بدایه الألف الثالث (ق. م) واستوطنت فی هذه البقعه من الأرض. وقد سمیتِ المدینه بدایه >یبوس< نسبه إلیهم، وهو من أقدم أسماء القدس التی اتخذت أسماء کثیره فیما بعد، حتی استقرت علی اسم >القدس< الذی عُرفت وما زالت تعرفُ به. وهی مدینه تتمتع بمکانه قدسیه دینیه، تزید من حساسیه وجودها، والسیطره علیها.

مرت القدس تاریخیاً بعهود کثیره أولها العصر الکنعانی.. وهو عصر التأسیس وبقیت السیاده فیه للکنعانیین علی القدس حتی حوالی (۱۰۰۰) ق. م ثم زحف

ص:۳۳۵

الملك البابلى >نبوخذنصّر< حوالى عام (597) ق. م. فاحتلها وأخذملكها وقاده جيشه أسرى إلى بابل فى العراق بعد ما غيّر نظام الحكم فى القدس.

وعاد إلى القدس إثر تمرّد بعض اليهود، فأوقع هزيمه كبرى بهم وسبى أكثر السكان إلى بابل >وهذا ما عُرف تاريخياً بالسبى البابلى...الهخامنشى< ملك الفرس آنذاك على البابليين عام ۱۵۳۹ ق. م. أخضع القدس، وأصبحت له السلطه عليها وألحقها بدولته طيله قرنين، وقد استمر العصر الفارسى فى القدس حتى نهايه حكم >داريوش< الثالث وبدايه الاحتلال الاسكندرى عام ۳۳۲ ق. م.

ثم توالت عليها العصور حتى الفتح الإسلامى، حيث سلم بطريارك القدس >سفرونيوس< مفاتيح القدس للخليفه الثانى >عمر< فبادر الخليفه إلى استلام المدينه ومفاتيحها بنفسه عام >۶۳۶ - م/ ۱۶ هالتكفير الإسلامى< وثمه أحاديث عند الرسول (أنه قال >من أراد أن ينظر إلى بقعه من بقاع الجنه، فلينظر إلى بيت المقدس< (۱).

هذه المكانه الدينيه جذبت الكثير من الإيرانيين فى العصور الإسلاميه المتتابعه لزياره القدس >بيت المقدس< والتحدث عن مزاياها وفضائلها ومنهم >أبو حامد الغزالى< (۴۵۰-۵۰۵ ه)، والشاعر >الخاقانى< (۵۱۰-۵۹۲ ه) و >فريد الدين العطار< (۵۳۷-۵۸۹ ه) و >جلال الدين الرومى< (۶۰۴-۶۷۲ ه) وسعدى >الشيرازى< (۶۰۶-۶۹۱ ه).

فالغزالى مثلا نزل فى دمشق مده سنتين ثم غادر ها إلى بيت المقدس

ص:۳۳۶

وأقام فيها مده من الزمن، وفى القدس شرع فى تأليف كتابه: >إحياء علوم الدين< الذى أتمه فى دمشق. ثم نُقل إلى اللغه الفارسيه مختصراً بعنوان >كيمساوى سعادت< أى >كيمياء السعاده..< ويقال إنه ألف فى القدس أيضاً >الرساله القدسيه فى قواعد العقاعد< (*).

أما الشاعر الخاقانى: فقد ذكر >بيت المقدس والمسجد الأقصى< كثيراً فى ديوانه وقد كتب الرحاله >ناصرخسرو (٣٩٤-٤٨١) عند القدس ووصفها فى كتابه >سفرنامه< وقد استفاض خسرو فى ذكر بيت المقدس التى مّربها قادماً من لبنان فى طريق سفره للحج، لأداء الفريضه، ثم عاد إليها مره أخرى واصفاً مشاهداته ومدوّناً مذكراته فيها يوماًبيوم، فقد جاءإلى >عكا< بدايه مع أخيه الأصغرو غلامه الهندى وهناك زار مشاهد الأنبياء - ثم على قرى >البروه< و >دامون< و >أعبلين< حيث قبر هود ثم الى حطين، حيث قبر شعيب وقبر ابنته زوج موسى - ثم إلى إربد ومنها إلى كفر كنه - ثم عاد إلى طبريه، ثم إلى حيفا، ومنها إلى قريه >كنيسه< ثم قيساريه - ثم إلى الرمله ومنها إلى اللطرون. وقريه العنب حتى وصل إلى بيت المقدس. ويذكر >ناصرخسرو< بشىء من العجب أن اهل الشام وتلك النواحى يطلقون على بيت المقدس >البيت المُقَدَّسبيت المقدس< (٢).

كتب خسرو أن طبيعه القدس، ومناخها وأبنيتها، آثارها التاريخيه والدينيه ومظاهر حياه أهلها، و عاداتهم وتقاليدهم، ووصف المساجد والأماكن الدينيه.

فقد وصف المسجد الأقصى، وقبّه الصخره وصفاً دقيقاً، يدلُّ على حبّه وتدلهه بهما، حيث دعم وصفه بالأرقام الدقيقه، مع ذكرأدق الأشياء وأصغرها، يقول فى وصف مدينه القدس: >[مدينه]. مشيّده على قمه الجبل، وليس بها غير ماء الأمطار، وليست ذات عيون والمدينه محاطه بسور حصين من الحجر والجص، وعليها أبواب حديديه. وليس بقربها أشجار قط، فإنها

على رأس صخرى..وهو وحده وزن تعادل ۶۰۰ مثقال< من زيت الزيتون يحفظونها فى الأبار والأحواض ويصدرونها إلى أطراف العالم< (۳).

ذكر عدد سكان المدينه القدس عام ۴۳۸ ه. فقال إنه كان >عشرون ألف رجل..< وربما قصد (بالرجل) >شخصاًوادى جهنم< ويصفه فيقول: هو >واد عظيم الانخفاض، كأنه خندق وبه أبنيه كثيره على نسق أبنيه الأقدمين ورايت فيه قبه من الحجر المنحوت مقامه على بيت لم أر أعجب منها. حتى إن الناظر ليسأل نفسه: كيف رُفعتْ فى مكانها؟

ويقول العامه: إنها بيت فرعون >(۴)< ويقول العوام إن من يذهب الى ناحيته، يسمع صياح اهل جهنم فإن الصدى يسمع هناك، وقد ذهبتُ فلم أسمع شيئاً< (۵).

ثم وصف الصخره بقوله: >إنهاحجر أرزق اللون لم يطأها أحد برجله قطوفى ناحيتها المواجهه للقبله انحفاض، كأن إنساناًسار عليها فبدتْ أثار قدمه فيها< (۶).

إما وصفه ل >مسجد الصخره< فذكر أنه مبنى على حافه المدينه من الناحيه الشرقيه ويطل أحد حيطانه على وادى جهنم وارتفاعه (۱۰۰) ذراع من الحجر الكبير الذى لا يفصله عن بعضه >ملاط< أو >جص

مغطاه بحجاره موثوقه إلى بعضـها بالرصاص وفيه رواق عظيم جميل ارتفاعه ثلاثون ذراعاً. وعرضه عشـرون، وله جنحان منقوشه واجهتـاه وإيوانه بالفسـيفساء. المثبته بـالجص، وهى من الـدقه بحيث تبهر النظر وله بابان مزخرفان؟؟ من النحاص الدمشـقى، وقد طعّما بالذهب وحليّا بالنقوش الكثيره. وطول كل منهما خمسه عشر ذراعاً. وعرضه ثمان (.. إلخ...).

وهو وصف يدل على الدقه والحب لأنه يتتبع أدق التفصيلات التى تستغرق صفحات طويله وطويله.

أما فى العصـر الحـديث فيمكن الحديث عن حضور القدس والقضـيه الفلسـطينيه منذ ما بعد الثوره الإسـلاميه التى فجّرها آيه الله الخمينى (۱۹۰۰-۱۹۸۹ A.R.Khomeini) الـذى شـكل مر جعاً أعظم، وقائـداً سياسـياً ودينياً للشـعب الإيرانى، فقد تنبه الإمام الخمينى مبكراً إلى أخطار الصـهيونيه العالميه، فذكر فى البيان الذى القاه فى أيلول عام ۱۹۶۱.. الخطر المحدق بالعالم الإسلامى قال: >إننى بحكم مسؤوليتى الشـرعيه أعلن عن الخطر المحدق بشـعب إيران والمسـلمين فى العالم. إن القران الكريم والإسـلام معرّضان للسقوط فى قبضه الصهيونيه التى ظهرتْ فى صوره طائفه البهائيه...< (۷).

و بعـد نجـاح الثوره الإسـلاميه فى إيران. عملت الثوره على قطع العلاقات مع إسـرائيل وإدانه سياسـتها التوسـعيه فى البلاد العربيه ودعمتْ النضـال الفلسـطينى لتحرير القـدس من الاحتلال الإسـرائيلى، وقامت بفتـح سـفاره لفلسـطين فى طهران، وكان مقرّها هو المقر السابق للسـفاره الإسـرائيليه فى العهد السابق >عهد الشاه< نكايه بالصـهيونيه وحباً بفلسـطين والقدس، إضافه إلى تشـكيل فرقه عسكريه بإسم جيش القدس

ص:۳۳۹

مناسبه سانحه إلا ويذكر هؤلاء فلسطين والقدس والمسجد الأقصى.. ففى نداء الإمام السيد >على الحسينى الخامنئى< إلى حجاج بيت الله الحرام فى عام ۱۴۲۰ ه ۲۰۰۰ م يقول: (وفى قلب العالم الإسلامى وفى قارات آسيا وإفريقيا وأوروبا تنزل سياط الإمبرياليه العالميه وغضبها على أجساد ملايين المسلمين، و تُحرقُ فلسطين والقدس، ولبنان بنيران قسْوه الصهاينه..< (۸).

أو يقول متبنياً قضيه فلسطين: >أمريكا لا يمكن أن تؤمّل استعاده إيران إلى دائره سيطرتها، وأن تقضى على صحوه الإسلام فى البلدان الإسلاميه وأن تقدّم فلسطين دونما معارضه للصهاينه العنصريين السفاكين...< (۹).

فهو يضع مصير الثوره الإسلاميه والصحوه الإسلاميه فى البلدان الإسلاميه، بموازاه عدم تقديم فلسطين للصهاينه العنصرين، مما يؤشر إلى مدى حضور قضيه القدس وفلسطين لدى الإيرانيين سأعرض أسماء بعض الكتب مما اهتم بالقدس وفلسطين... منها:

كتاب (هادى خسروشاهى) (تاريخ بيت المقدس ومسأله فلسطين) نشر فى قم ۱۹۷۵ م.

وكتاب (موحد خوئى) (المسجد الأقصى وبيت المقدس) نشر فى قم ۱۹۸۲ م.

كتاب السيد (محمد حسين الطباطبائى) (تفسير الميزان) الذى ذكر جمله كبيره من الأحاديث التى تتناول بيت المقدس، ومدى قدسيتها.

كتاب منوجهر أميرى >أيا سفر نامه ناصرخسرو تلخيص أز متن مفصّلتر؟).

هل الرحله تلخيص لنص أطول، فى كتاب (يادنامه ناصر خسرو - مطبوعات جامعه مشهد ۱۹۷۶ ولابد من التعريج على رساله دكتوراه تقدّم بها السيد >جهاد فيض الإسلام< بإشراف الأخ الدكتور خليل موسى فى جامعه دمشق بعنوان (القدس فى الشعر العربى الحديث) نوقشت فى ۲۰۰۷/۲/۲۹ تحدّث فيها الباحث الإيرانى الشاب بمنتهى الحب عن القدس تدفعه عاطفه

دينيه ووطنيه صادقه تجاه القدس وفلسطين ففى الإهداء يقول: >إلى الذين تضرجوا بدمائهم على أرض الإسراء والمعراج، فلسطين...< وفى المقدمه يظهر عاطفته الصادقه بكلمات تنضح من معين المحبه والتأثر... يقول: >ربما لا ـ تجد على وجه الأرض إنساناً يمتلك ضميراً حيّاً وهو لا يفكر بقضيه القدس وفلسطين، ولا يهتم بهما. إذ أصبحتْ القدس وفلسطين فى العقود الأخيره. حديث الساعه وهاجس القلب...< (١٠).

ويضع فى أهداف البحث ومسوّغاته: >المحاوله لتحريص ودفع الشعر إلى خدمه القدس الشريف..< (١١).

وهذا ما يثبت أن الإيرانيين، وعلى الأخص بعد الثوره الإسلاميه ١٩٧٩ قد اهتموا للقدس ولقضيه القدس... ولقضيه فلسطين بعامه، ووفقوا إلى جانب الحق العربى، وإلى جانب أبناء القدس وفلسطين... ومما لاشك فيه أن لاهتمام الإيرانيين بالقدس وبفلسطين دوافع دينيه صادقه، كما كانت الحال مع الإيرانيين القدماء من مثل، الغزالى، وفريد الدين العطار، وجلال الدين الرومى، وسعدى الشيرازى، وناصر خصرو... وسواهم.

كما أن لهم دوافع سياسيه ودينيه، صادقه تجاه القدس وقضيه فلسطين فى المرحله الراهنه، كما هى الحال مع الإمام الخمينى الزعيم الروحى والسياسى والشاعر وقائد الثوره، التى اتجهت بإيران بكليتها نحو فلسطين والحق الفلسطينى بعد أن كانت إيران فى عهد الشاه إلى جانب إسرائيل، و ضد الحق العربى والفلسطينى. وهذا ما رأيناه مع الإمام الخامنئى الذى وضع القضيه الفلسطينيه بموازاه المحافظه على استمراريه الثوره الإيرانيه بالتساوى.

إضافه إلى الدارسين والمؤلفين المعاصرين، كما هى الحال مع الباحث جهاد فيض الإسلام وسواه... من مثل هادى خسروشاهى – وموحد خوئى وغيرهم كثير.

إن تبنى الثوره الإسلاميه لقضيه فلسطين بعد نجاحها عام ١٩٧٩ لدليل

ص:٣٤١

على مدى حضور القدس وفلسطين فى قلوب الإيرانيين وعقولهم... ولعلى لا أكون مبالغاً إذا ما قلت بأن تحرير القدس وفلسطين سيكون لإيران والإيرانيين دورٌ فاعل وأساسى فيه.

الهوامش:

(١) الحنبلى - مجير الدين: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل - مكتبه دنديس - عمان ١٩٩٩ ج ١، ص ٣٦٠.

(*) بكار، يوسف حسين: نحن وتراث فارس. منشورات المستشاريه الثقافيه الإيرانيه ٢٠٠٠ م.

(٢) بكار، يوسف حسين: المرجع السابق ص ١٠٣.

(٣) بكار، يوسف حسين: المرجع نفسه ص ١٠۴.

(۴) بكار، يوسف حسين: المرجع نفسه ص ١٠٧.

(۵) بكار، يوسف حسين: المرجع نفسه ص ١٠٧.

(۶) بكار، يوسف حسين: المرجع نفسه ص ١٠٩.

(٧) بهلوان - سمر: العلاقات السوريه الإيرانييه منذ نهايه الحرب الثانيه حتى قيام الثوره - مجله جامعه دمشق مجلد (٢٢) العدد (٣-۴)٢٠٠۶. ص ٣١٧-٣١٨.

(٨) نص نداءالإمام على الخامنئى إلى حجاج بيت الله الحرام ١۴٢٠ ه مجله الثقافيه الإسلاميه. المستشاريه الإسلاميه.

(٩) المصدر السابق: ص ١٣

(١٠) فيض الإسلام، جهاد - القدس فى الشعر العربى الحديث، رساله دكتوراه فى جامعه دمشق ٢٠٠٧، المقدمه، ص أ.

(١١) المرجع السابق، ص ب.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع الدينيه والمقدسه

١. القرآن الكريم.

٢. الكتاب المقدس، دار الشرق، بيروت، ١٩٨١.

٣. محمد فؤاد عبد الباقی، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار المعرفه، ط ۴، بيروت، ١٩٩۴.

۴. آيه الله ناصر مكارم شيرازی، تفسير القرآن الكريم (تفسير الأمثل)، قم، ٢٠٠٣.

۵. التفسير التطبيقی للكتاب المقدس، القاهره، ١٩٩٧.

ثانياً: المصادر والمراجع العامه

۶. ابن أبی الحديد، شرح نهج البلاغه، دار إحياء الكتب العربيه، ١٩۶۵.

٧. ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، مؤسسه الأعلمی، بيروت، ١٩٧١.

٨. ابن سينا، الشفاء، تحقيق أحمد نواد الأهوانی، وزاره التربيه والتعليم، القاهره، ١٩۵٨.

٩. ابن عساكر، التاريخ الكبير، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٧. (تاريخ مدينه دمشق).

١٠. ابن فارس، مقاييس اللغه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الدار المصريه، ١٩۶۴.

١١. ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ١٩٩٦.

١٢. الأزهرى، تهذيب اللغه، ج ١٢، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دارالفكر،

د. ت.

١٣. البستانى، محيط المحيط، مكتبه لبنان، بيروت، ١٩٨٣.

١٤. الجاحظ، الحيوان، ج ٣، دار الجليل، بيروت، ١٩٩٦.

١٥. الجوهرى، الصحاح، ج ١، دار الحضاره العربيه، بيروت، ١٩٧٤.

١٦. الطبرى، تاريخ الطبرى، ج ٣، دار سويدان، بيروت، د. ت.

١٧. عبد العزيز سعود البابطين، معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، هيئه المعجم، ٢٠٠٢.

١٨. القلقشندى، صبح الأعشى فى صناعه الإنشاء، ج ۴، دار الكتب العلميه بيروت، ١٩٨٧.

١٩. المجلسى، بحار الأنوار، ج ١٢، مؤسسه الوفاء - دار إحياء التراث العربى، بيروت، ١٩٨٣.

٢٠. المنجد فى اللغه والإعلام، دار الشرق، بيروت، ٢٠٠٠.

٢١. محمد محمود، الموسوعه الأدبيه، دار الفكر اللبنانى، بيروت، ٢٠٠١.

٢٢. الموسوعه العربيه العالميه، مؤسسه أعمال الموسوعه، الرياض، ١٩٩٦.

٢٣. الموسوعه الفلسطينيه، هيئه الموسوعه، دمشق، ١٩٨۴.

٢۴. ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج ۵، دار بيروت للطباعه والنشر، بيروت، ١٩۵٧.

٢۵. يعقوب أميل، قاموس المصطلحات اللغويه والأدبيه، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧.

ثالثاً: المصادر والمراجع الخاصه

٢۶. ابن الجوزى، تذكره الخواص، مؤسسه آل البيت عليهم السلام، بيروت، ١٩٨١.

٢٧. ابن رشيق، العمده فى محاسن الشعر وآدابه ونقده، دار المعرفه، بيروت، ١٩٨٨

٢٨. أبو أصبع صالح، الحركه الشعريه فى فلسطين المحتله، المؤسسه العربيه للدراسات، بيروت، ١٩٧٩.

۲۹. أبو ناصر عدنان حسین، فلسطین فی خطاب الإمام الخمینی، مطبعه إخوان، دمشق، ۲۰۰۰.

ص:۳۴۴

٣٠. أبو نضال نزيه، الشعر الفلسطينى المقاتل، اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، ١٩٧٤.

٣١. أدونيس، زمن الشعر، دار العوده، بيروت، ١٩٧٢.

٣٢. أرسطو، فن الشعر، شرح وتحقيق عبد الرحمن بدوى، دار الثقافه، بيروت، د. ت.

٣٣. أسعد على، صناعه الكتابه، دار السؤال، ط ٤، دمشق، ١٩٨١.

٣٤. أنيس إبراهيم، موسيقى الشعر، مكتبه الأنجلو المصريه، ط ٤، القاهره، ١٩٧٢.

٣٥. موسى باشا عمر، الأدب فى بلاد الشام عصر الزنكيين والأيوبيين والمماليك، دمشق، ١٩٦٤.

٣٦. بركات جميل، فلسطين والشعر، دار الشروق، عمان، ١٩٨٩.

٣٧. توما أميل، ستون عاماً على الحركه القوميه الفلسطينيه، دار ابن رشيد، ١٩٧٨.

٣٨. جيده عبد المجيد، الاتجاهات الجديده فى الشعر العربى المعاصر، مؤسسه نوفل، بيروت، ١٩٨٠.

٣٩. الجيوسى سلمى خضراء، موسوعه الأدب الفلسطينى، المؤسسه العربيه للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٧.

٤٠. حاطوم نوم الدين، نحو الوحده العربيه، معهد البحوث والدراسات العربيه، القاهره، ١٩٦٩.

٤١. حاوى إيليا، نزار قبانى شاعر قضيه والتزام، ج ٣، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ١٩٧٣.

٤٢. حتى فليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، دار الثقافه، بيروت، ١٩٨٢.

٤٣. حسان عبد الحكيم، النظريه الرومانتيكيه، دار المعارف، ١٩٧١.

٤٤. الدقاق عمر، فنون الأدب المعاصر فى سوريه، دار الشرق، حلب، ١٩٧١.

٤٥. الدقاق عمر، تاريخ الأدب الحديث فى سوريه، منشورات جامعه حلب، ط ٢، ١٩٧٩.

٤٦. الدهان سامى، الشعر العربى الحديث فى الإقليم السورى، جامعه الدول العربيه – معهد الدراسات العربيه العالميه، ١٩٩٧.

٤٧. رمزى هيام، فدوى طوقان شاعره أم بركان، دار الكرمل، عمان.

٤٨. الزيات أحمد حسن، الرساله، ج ٤، دار الثقافه، ط ٣، بيروت، ١٩٧٣.

۴۹. سقیرق طلعت، الانتفاضه فی شعر الوطن المحتل، دار الجلیل، دمشق، ۱۹۹۹.

۵۰. سماره منیه، فلسطین فی ذاکره العالم، دار طبریا، الأردن، ۱۹۸۸.

۵۱. السوافیری کامل، الشعر العربی الحدیث فی مأساه فلسطین، مکتبه نهضت مصر، ۱۹۶۴.

۵۲. السوافیری کامل، الاتجاهات الفنیه فی الشعر الفلسطینی المعاصر، مکتبه الأنجلو المصریه، القاهره، ۱۹۷۳.

۵۳. السید أحمد عزت، انهیار أسطوره السلام، دار الفکر الفلسطینی، ط ۲، دمشق، ۲۰۰۳.

۵۴. الشایب أحمد، أصول النقد الأدبی، مکتبه النهضه المصریه، ط ۸، القاهره، د. ت.

۵۵. شراد شلتاغ عبود، تطور الشعر العربی الحدیث، دار مجدلاوی، عمان، ۱۹۹۸.

۵۶. صبح علی، الصوره الأدبیه تاریخ ونقد، دار إحیاء الکتب العربیه، القاهره، د. ت.

۵۷. صبحی محیی الدین، الکون الشعری عند نزار قبانی، الدار العربیه للکتاب، تونس، ۱۹۸۲.

۵۸. صدوق راضی، شعراء فلسطین فی القرن العشرین، المؤسسه العربیه للدراسات والنشر، بیروت، ۲۰۰۰.

۵۹. الصوّاف محمد توفیق، الانتفاضه فی أدب الوطن المحتل، اتحاد الکتاب العرب، دمشق، ۱۹۸۲.

۶۰. ضیف شوقی، فی النقد الأدبی الحدیث، دار المعارف، القاهره، ۱۹۷۷.

۶۱. العارف عارف باشا، نکبه بیت المقدس والفردوس المفقود، المکتبه العصریه، بیروت، ۱۹۵۲.

۶۲. عباس إحسان، فن الشعر، دار بیروت، ط ۳، بیروت، ۱۹۵۹.

۶۳. عبود حنا، النزوحات الکبری ومعالم الأدب العربی، اتحاد الکتاب العرب، دمشق، ۱۹۷۹.

۶۴. عسّاف ساسین، الصوره الشعریه، دار مارون عبود، ۱۹۸۵.

۶۵. عساف ساسین، الصوره الشعریه ونماذجها فی إبداع أبی نواس، بیروت، المؤسسه الجامعیه للدراسات، ۱۹۸۲.

۶۶. العسلی کامل جمیل، القدس فی التاریخ، مطبعه جامعه الأردن، عمان، ۱۹۹۲.

۶۷. عصفور جابر، النقد الأدبی، دار الکتاب العربی، ۲۰۰۳.

٦٨. عطاء الله موسى، نقاط على حروف السلام، مكتب الأسره، القاهره، ٢٠٠٢.

٦٩. العلايلى عبد العلى، تهذيب المقدمه اللغويه، دار النعمان، لبنان، ١٩٦٨.

٧٠. عوض ريتا، بنيه الشعر الجاهلى والصوره الشعريه لدى امرئ القيس، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٢.

٧١. عياد شكرى معين، مدخل إلى علم الإسلوب، دار العلوم للطباعه والنشر، الرياض، ١٩٨٢.

٧١.٧٢. الفارابى محمد بن محمد، الموسيقى الكبير، دار الكتاب العربى، القاهره، د. ت.

٧٢.٧٣. الفراء محمد على عمر، السلام الخادع، دار مجدلاوى، عمان، ٢٠٠١.

٧٣.٧٤. القبانى نزار، مع الشعر، منشورات نزار قبانى، بيروت، ١٩٩٧.

٧٤.٧٥. القط عبد القادر، الاتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر، دار النهضه العربيه، بيروت، ١٩٧٨.

٧٦. المسيرى عبد الوهاب، من الانتفاضه إلى حرب التحرير الفلسطينيه، دار الفكر المعاصر، دمشق، ٢٠٠٢.

٧٧. المصرى حسين مجيب، القدس بين شعراء الشعوب الإسلاميه، دار الثقافه للنشر، ٢٠٠٢.

٧٨. مكى الطاهر أحمد، الشعر العربى المعاصر، دار المعارف، ط ٤، القاهره، ١٩٧٢.

٧٩. الملائكه نازك، قضايا الشعر المعاصر، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٢.

٨٠. ميرفت دهان، نزار قبانى والقضيه الفلسطينيه، بيسان، بيروت، ٢٠٠٢.

٨١. نجم محمد يوسف، نزار قبانى شاعر لكل الأجيال، دار سعاد الصباح، الكويت، ١٩٩٨.

٨٢. وحيد علاء الدين، شعر اليقظه الإسلاميه فى بدايه القرن العشرين، دار سنابل، ١٩٩٥.

٨٣. الولى محمد، الصوره الشعريه فى الخطاب البلاغى والنقدى، المركز الثقافى العربى، بيروت، ١٩٩٠.

رابعاً: الدواوين والمجموعات الشعريه

٨٤. ابن الساعاتى، الديوان، ج ٢، المطبعه الأمريكيه، بيروت، ١٩٣٩.

٨٥. أبو خالد خالد، وسام على صدر الميليشيا، دار الآداب، بيروت، ١٩٧١.

٨٦. أبو خالد خالد، شاهراً سلاسلي أجيء، اتحاد الكتاب العرب والصحفيين الفلسطينيين، بيروت، ١٩٧٤.

٨٧. أبو ريشه عمر، الديوان، ج ١، دار العوده، بيروت، ١٩٧١ م.

٨٨. أبو ريشه عمر، الديوان، ج ٢، دار العوده، بيروت، ١٩٧١ م.

٨٩. أبو سلمى، عبد الكريم الكرمى، المشرد، دمشق، ١٩٦٣.

٩٠. أسرحنا، أمه وجراح، دار ميسلون، بوينس آيرس، ١٩٨٠ م

٩١. أبو الطيب المتنبى، ديوان المتنبى، شرح العكبرى، دار المعرفه، بيروت، د. ت.

٩٢. أبو العتاهيه، ديوان أبى العتاهيه، تحقيق شكرى فيصل، جامعه دمشق، ١٩٦٥.

٩٣. امرئ القيس، ديوان امرئ القيس، مؤسسه الأعلمى، بيروت، ٢٠٠١.

٩٤. البحيرى حسن، حيفا فى سواد العيون، مطابع العلم، دمشق، ١٩٧٣.

٩٥. البحيرى حسن، لفلسطين أغنى، دار الحياه، دمشق، ١٩٨٢.

٩٦. البحيرى حسن، لعينى بلادى، مطبعه الصباح، دمشق، ١٩٩١.

٩٧. البرادعى خالد محيى الدين، مجله الثقافه الإسلاميه، المستشاريه الثقافيه الإيرانيه، دمشق، ٢٠٠٤.

٩٨. البستانى وديع، فلسطينيات، دار البشائر، بيروت، ١٩٨١.

٩٩. الجبل بدوى، ديوان بدوى الجبل، دار العوده، بيروت، ١٩٧٨ م.

١٠٠. جمال الدين نجيب مصطفى، الكتابه على أعمده الشمس، وزاره الثقافه، دمشق، ١٩٧٦.

١٠١. جمال الدين مصطفى، قصائد إلى عاصمه المده الشرقيه، إداره المساحه العسكريه، دمشق، ١٩٨٢.

١٠٢. الحاج عيسى محيى الدين، من فلسطين وإليها، المطبعه السوريه، حلب، ١٩٧٥.

١٠٣. الحامد بدر الدين، ديوان بدر الدين الحامد، وزاره الثقافه، دمشق، ١٩٧٥.

١٠٤. حامد محمود، موت على ضفاف المطر، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨٣.

١٠٥. حامد محمود، شهقه الأرجوان، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠.

۱۰۶. حامد محمود، بیسان، وزاره الثقافه العسکریه، دمشق، ۲۰۰۲.

۱۰۷. حاوی خلیل، دیوان خلیل حاوی، دار العوده، بیروت، ۱۹۷۲.

۱۰۸. حجازی عذیران، القدس فی القلب وفی الأسر، الدار البیضاء، المغرب، دون تاریخ.

ص:۳۴۸

١٠٩. الحصنى عفيفه، شهيد التضحيات، مطابع الناشر العربى، القاهره، ١٩٧٠.

١١٠. حلاق عبد الله يوركى، حصاد الذكريات، مطبعه الضاد، حلب، ١٩٦٦.

١١١. حلاق عبد الله يوركى، أسديات، دمشق، ١٩٩٣.

١١٢. حلاق عبد الله يوركى، عصير الحرمان، وزاره الثقافه، دمشق، ١٩٩٠.

١١٣. حمصى عبد الكريم، ألحان من اليرموك، مطبعه الاتحاد، دمشق، ١٩٩٢.

١١٤. الحمصى الخضر، الليل والطريق، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١.

١١٥. الحوت محمود، المهزله العربيه، منشورات البصرى، بغداد، ١٩٥١.

١١٦. الخطيب يوسف، العيون الظمأى للنور، المطبعه العموميه، دمشق، ٢٠٠١.

١١٧. الخطيب يوسف، واحه الجحيم، دار الطليعه، بيروت، ١٩٦٤.

١١٨. الخورى رشيد سليم، ديوان القروى، دار المسيره، بيروت، ١٩٧٨.

١١٩. الخورى ناصر، سنابل، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٧٩.

١٢٠. خيربك جابر، شوارد النقم، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢.

١٢١. درويش محمود، ديوان محمود درويش، دار العوده، بيروت، ١٩٩٤.

١٢٢. دمّر على، الديوان، النادى الأدبى الثقافى، جده، ١٩٨٧.

١٢٣. رشيد كمال، شدو الغرباء، مؤسسه الجمعيه العلميه للطباعه والنشر، عمان، ١٩٨٣.

١٢٤. رشيد كمال، القدس فى العيون، دار الوفاء للطباعه والنشر، القاهره، ١٩٩٠.

١٢٥. الرفاعى عبد المنعم، المسافر، الدار المتحده للنشر، بيروت، ١٩٧٩.

١٢٦. رشيد هارون هاشم، عوده الغرباء، المكتب التجارى، بيروت، ١٩٥٦.

١٢٧. رشيد هارون هاشم، مفكره عاشق (قصائد للقدس) المطابع الموحده، ١٩٨٠.

١٢٨. رشيد هارون هاشم، ديوان هارون هاشم رشيد، دار العوده، بيروت، ١٩٨١.

۱۲۹. رشید هارون هاشم، ثوره الحجاره، دار العهد الجدید، تونس، ۱۹۸۸.

۱۳۰. رشید هارون هاشم، طیور الجنه (قصائد للشهداء) دار الشروق، القاهره، ۱۹۹۸.

۱۳۱. رشید هارون هاشم، ورده علی جبین القدس، (قصائد للسجناء والمبعدین) دار الشروق، القاهره، ۱۹۹۸.

۱۳۲. رشید هارون هاشم، الصمود والحزن، تونس، ۱۹۸۳.

۱۳۳. رشید هارون هاشم، قصائد فلسطینیه، دار مجدلاوی، عمان، ۲۰۰۳.

۱۳۴. الزرکلی خیر الدین، دیوان خیر الدین الزرکلی، مؤسسه الرساله، بیروت، ۱۹۸۰.

ص:۳۴۹

١٣٥. زياد توفيق، الأعمال الشعريه الكامله، مطبعه الاتحاد، حيفا، ١٩٦٦، ودار العوده، ١٩٧١.

١٣٦. شمس الدين محمد حسين، النازحه، كليه الحقوق، ١٩٥٠.

١٣٧. طوقان فدوى، الليل والفرسان، دار العوده، بيروت، ١٩٨٢.

١٣٨. طوقان فدوى، ديوان فدوى طوقان، دار العوده، بيروت، ١٩٨٤.

١٣٩. طوقان فدوى، الأعمال الكامله، المؤسسه العربيه للدراسات، بيروت، ١٩٩٣.

١٤٠. العبوشى برهان الدين، جبل النار، بغداد، ١٩٥٦.

١٤١. العبوشى برهان الدين، إلى متى، مطبعه المعارف، بغداد، ١٩٧٢.

١٤٢. العدنانى محمد، اللهيب، المكتبه العصريه، بيروت، ١٩٥٤.

١٤٣. العدنانى محمد، العدنانيات، المكتبه العصريه، بيروت، ١٩٦٠.

١٤٤. عرسان على عقله، فلسطينيات، وزاره الثقافه، دمشق، ١٩٧١.

١٤٥. عرسان على عقله، الأعمال الشعريه الكامله، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢.

١٤٦. عكاوى محمد إياد، لبيك يا أقصى، المكتب الإسلامى، بيروت، ٢٠٠١.

١٤٧. علّوش جميل، صوت الشعر، دار الينابيع، ١٩٩١.

١٤٨. العيسى سليمان، فلسطينيات، دار فلسطين، دمشق، ١٩٩٥.

١٤٩. العيسى سليمان، الأعمال الشعريه، المؤسسه العربيه للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٥.

١٥٠. الكيلانى حسين زيد، أطياف وأغاريد، وزاره الثقافه، عمان، ١٩٩٠.

١٥١. القاسم سميح، الوطن المحتل، دار فلسطين، دمشق، ١٩٦٧.

١٥٢. القاسم سميح، الأعمال الكامله، ج ١، دار سعاد الصباح، ١٩٩٣.

١٥٣. قبانى نزار، الأعمال الكامله، منشورات نزار قبانى، ط ٥، بيروت، ١٩٩٣.

١٥٤. قنصل زكى، الأعمال الكامله، جده، ١٩٩٥.

١٥٥. قنصل إلياس، ألحان الغروب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٧٨.

١٥٦. محرز عبد اللطيف، أناشيد الحق فی رحاب علی علیه السلام، دمشق، ١٩٩٤.

١٥٧. محرز عبد اللطيف، شجرات الدماء، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠.

١٥٨. محرز عبد اللطيف، حقائق وأوهام، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣.

١٥٩. مفلح محمود، المرايا، مؤسسه الرساله، بيروت، ١٩٧٩.

١٦٠. مردم بك خليل، الديوان، المجمع العلمی العربی، دمشق، د. ت.

ص:٣٥٠

۱۶۱. محمود عبد الرحيم، ديوان محمود عبد الرحيم، دار العوده، بيروت، ۱۹۷۴.

۱۶۲. المناصره عز الدين، الأعمال الكامله، المؤسسه العربيه للدراسات، بيروت، ۱۹۹۴.

۱۶۳. النابلسی، عفيف، نفحات عامليه، قصائد للمقاومه والشهداء، دار الهادی، ۲۰۰۱.

۱۶۴. هارون هند، سارقه المعبد، دار الأنوار للطباعه، دمشق، ۱۹۷۷.

خامساً: الرسائل والأطروحات الجامعيه

۱۶۵. بكری عكو، الثوره وقاضاياها فی الشعر العربی المعاصر فی سوريه من (۱۹۴۸-۱۹۶۷ م)، رساله ماجستير، إشراف أ. د. عمر الدقاق. جامعه حلب، ۱۹۹۱ (مخطوط).

۱۶۶. عربيه هيفا، الصوره الفنيه فی الشعر العربی الحديث، الإحيائيه والرومانسيه والمعاصره، رساله دكتوراه، إشراف أ. د. عصام قصبجی، جامعه دمشق، ۱۹۹۸ م.

۱۶۷. د. الكيالی عبد الرحمن، الشعر الفلسطينی فی نكبه فلسطين، رساله دكتوراه، بيروت، المؤسسه العربيه للدراسات، ۱۹۷۵ (مطبوع).

سادساً: الكتب المترجمه

۱۶۸. أوستن وادری وصاحبه، نظريه الأدب، ترجمه محيی الدين الصبحی، دمشق، ۱۹۷۲.

۱۶۹. العسلی، كامل جميل، القدس فی التاريخ، عمان، مطبعه الجامعه الأردنيه، ۱۹۹۲.

۱۷۰. دی لويس، سيسل، الصوره الشعريه، ترجمه أحمد نصيف الجنابی وآخرون، بغداد، وزاره الثقافه، ۱۹۸۲.

۱۷۱. مطهری، مرتضی، الملحمه الحسينيه، تعريب: محمد الخاقانی، بيروت، الدار الإسلاميه ط ۲، ۱۹۹۲.

۱۷۲. مطهری، مرتضی، الشهيد يتحدث عن الشهيد، تعريب: محمد الخاقانی، بيروت، الدار الإسلاميه، ۲۰۰۰.

سابعاً: الكتب الأجنبيه

أ) اللغه الفارسيه

١٧٣. سليمان حييم، القاموس المعاصر، طهران، مؤسسه القاموس المعاصر، ٢٠٠١.

١٧٤. السيد هادى خسروشاهى، تاريخ بيت المقدس ومسأله فلسطين، نشر كتاب، قم، ١٩٧٥.

١٧٥. موحد الخوئى، المسجد الأقصى وبيت المقدس، قم، منشورات الكتاب، ١٩٨٢.

ب) اللغه الانجليزيه

١٧٦. Cattan Henry, the Question of Jerusalem. London, ١٩٨٠.

١٧٧. Haim S. the Shorter English - Persian Dictionary, Tehran, ١٩٩٣.

١٧٨. Grabar O. Encyclopaedia of islam, voluue٥, Leiden ١٩٧٩.

ثامناً: الدوريات

١٧٩. جريده تشرين، دمشق.

١٨٠. مجله الثقافه الإسلاميه، دمشق.

١٨١. مجله عالم الفكر، الكويت.

١٨٢. الرساله، القاهره.

١٨٣. مجله الوسط، لندن.

١٨٤. المعرفه، دمشق.

اكتفيت بذكر أسماء الدوريات التى أخذت أو استفدت منها، أما الجزئيات فقد أشرت إليها فى هوامش الصفحات.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان بإشراف آیة الله الحاج السید حسن فقیه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدینیة والثقافیة والعلمیة معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائیین والمثقفین فی الجامعات والحوزات العلمیة.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراکز القائمة بتوفیر المصادر فی العلوم الإسلامیة وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحیاناً، تهدف مؤسسة القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان إلی التوفیر الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثین فی العلوم الإسلامیة وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الکترونیة من الکتب والمقالات العلمیة والدراسات المفیدة وهی منظمة فی برامج إلکترونیة وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثین والمثقفین والراغبین فیها.

وتحاول المؤسسة تقدیم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمیة البحتة البعیدة من التعصبات الشخصیة والاجتماعیة والسیاسیة والقومیة وعلی أساس خطة تنوی تنظیم الأعمال والمنشورات الصادرة من جمیع مراکز الشیعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامیة وتعالیم القرآن وآل بیت النبیّ علیهم السلام

تحفیز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدینیة

تنزیل البرامج المفیدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثین والمحققین فی الحوازت العلمیة والجامعات

توسیع عام لفکرة المطالعة

تهمید الأرضیة لتحریض المنشورات والکتّاب علی تقدیم آثارهم لتنظیمها فی ملفات الکترونیة

السیاسات:

مراعاة القوانین والعمل حسب المعاییر القانونیة

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراکز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتینیة وتکرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن یتحمل المؤلف مسؤولیۀ العمل.

نشاطات المؤسسۀ:

طبع الکتب والملزمات والدوریات

إقامۀ المسابقات فی مطالعۀ الکتب

إقامۀ المعارض الالکترونیۀ: المعارض الثلاثیۀ الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمکنۀ الدینیۀ والسیاحیۀ

إنتاج الأفلام الکرتونیۀ والألعاب الکمبیوتریۀ

افتتاح موقع القائمیۀ الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافیۀ وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلۀ والاستفسارات الدینیۀ والأخلاقیۀ والاعتقادیۀ والردّ علیها

تصمیم الأجهزۀ الخاصۀ بالمحاسبۀ، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ویب کیوسک kiosk، الرسالۀ القصیرۀ ((sms

إقامۀ الدورات التعلیمیۀ الالکترونیۀ لعموم الناس

إقامۀ الدورات الالکترونیۀ لتدریب المعلمین

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسۀ وتطبیقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ویمکن تحمیلها علی ۸ أنظمۀ؛

۱.JAVA

۲.ANDROID

۳.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

۷.CHM

۸.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلکترونیۀ للکتاب علی موقع القائمیۀ ویمکن تحمیلها علی الأنظمۀ التالیۀ

۱.ANDROID

۲.IOS

۳.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربیۀ والانجلیزیۀ والفارسیۀ

الکلمۀ الأخیرۀ

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.



مركز القائمية اصبهان للبحوث والتحريات الكمبيوترية
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹